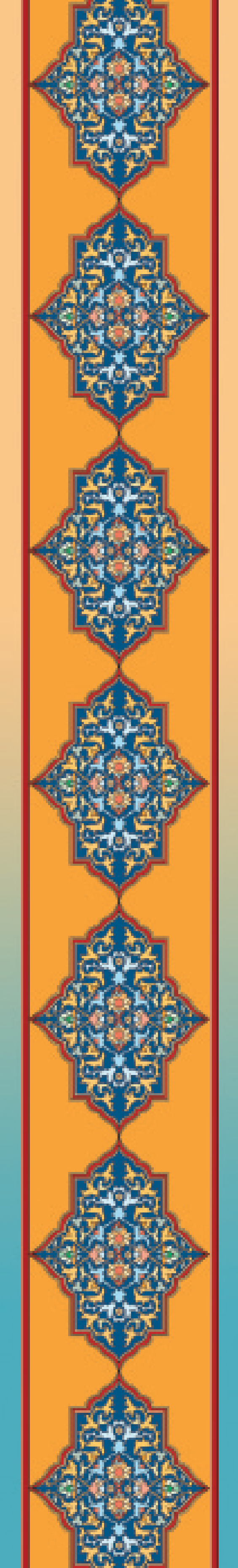


مجلة كويتية شهرية جامعة



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية





تأليف

أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري
شيخ الجامع الأزهر المتوفى ١١٩٢هـ

تحقيق

الدكتور/ محمود محمد الكبش

الإصدار الثامن والتسعون
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

إتحاف المهتدين

بمناقب أئمة الدين



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م



AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة الكويت - في مطلع كل شهر هجري

الإصدار الثامن والتسعون
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م

العنوان:
ص.ب ٢٣٦٦٧
الرمز البريدي ١٣٠٩٧ الكويت
هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني
info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني
www.alwaei.gov.kw

الإشراف العام
رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي





وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

إتحاف المهتدين

بمناقب أئمة الدين

تأليف

أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري

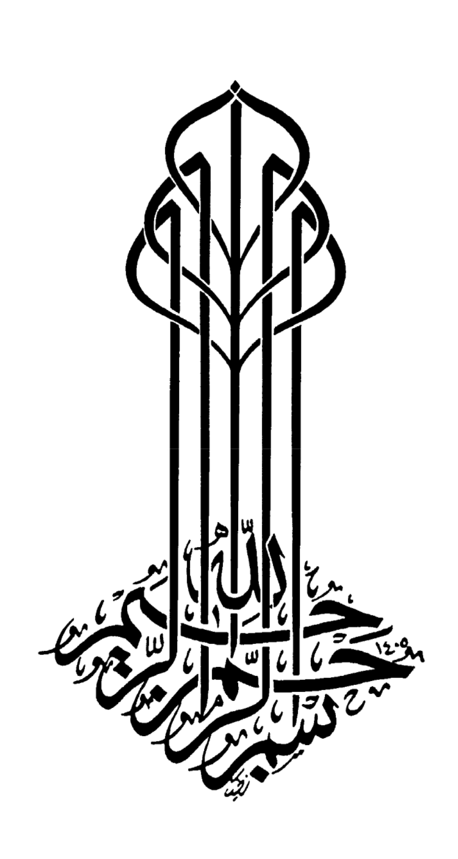
شيخ الجامع الأزهر المتوفى ١١٩٢هـ

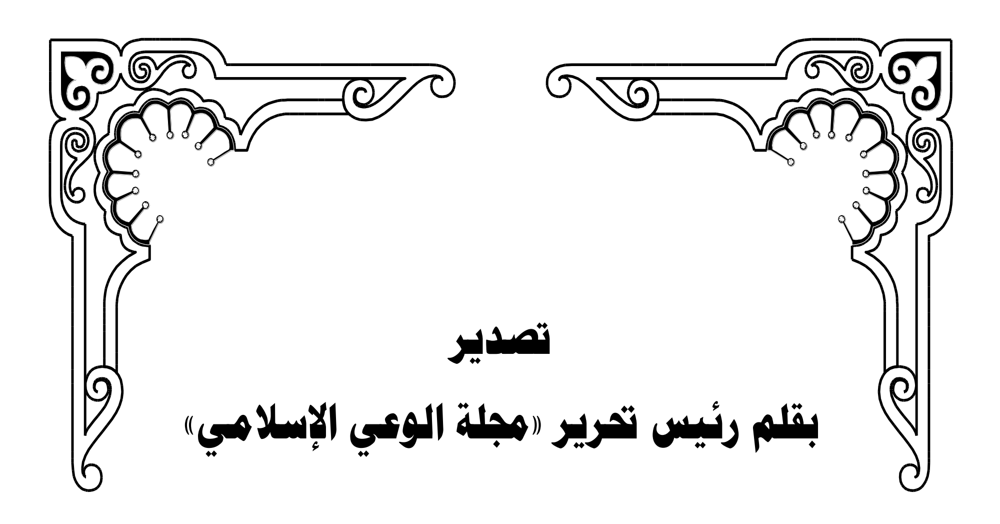
تحقيق

الدكتور/ محمود محمد الكبش

الإصدار الثامن والتسعون

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م


بسم الله الرحمن الرحيم



تصدير
بقلم رئيس تحرير «مجلة الوعي الإسلامي»

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلَّمه البيان، ووهب له العقل ليعقل عن ربِّه ما شرعه وأبان، وأنزل القرآن تبصرة للعقول والأذهان، وأرسل رسوله بالهدى والبلاغ والتبيان، وقيَّض من عباده من نظم الفقه بأفصح لسان، أحمده حمدا يملأ الميزان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كل يوم هو في شان، وأشهد أن سيَّدنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الناس كافة بالدليل والبرهان، اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فإنَّ العلم والثقافة العربية ميدانٌ خصبٌ لكلِّ متعلِّم؛ إذا أراد أن يستزيد من الإحاطة بلغته، ودينه، ومبادئ أمَّته.

وحتَّى ينتشر هذا الوعي ويعمّ، كان لابد من توفير المواد العلميّة اللَّازمة له.

ومن أهم تلك الموادّ: الكتب بمختلف أنواعها ومناهجها ومستوياتها، شريطة أن تكون نافعة بنّاءة جادّة.

ولأجل تواصل المثقَّفين شرقًا وغربًا، وتنامي الشعور بالانتماء، وتقوية أواصر الارتباط الثقافي بين شعوب الأمّتين العربيّة والإسلامية، كانت فكرة الاجتهاد في إخراج الكنوز التراثية، وطباعة الرسائل العلميّة أولوية عمليَّة في مجلة **"الوعي الإسلامي"**، فهي بذلك تسعى لزرع الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة، بشتَّى صنوفها، في الناشئة والمبتدئين، وفي الصغار والكبار على حدٍّ سواء.

وقد جَمعتْ مجلَّة **"الوعي الإسلامي"** طاقاتها وإمكاناتها العلميّة والمادِّيَّة لتحقيق هذا الهدف السامي، فَتيسَّر لها بفضل الله تعالى إخراج عدد ليس بالقليل من هذه الكتب، وكان لها نصيب وافر من الحفاوة والتكريم في كثير من المجتمعات داخل الكويت وخارجها، وذلك لما تميَّزت به هذه الإصدارات من أصالةٍ وقوّةٍ ووضوحِ منهج، ومراعاةٍ لمصلحة المثقَّف، وحاجته العلميّة.

ومن هذه الإصدارات النافعة، كتاب **" إتحاف المهتدين بمناقب أئمة الدين"** للعلامة الشيخ أحمد بن عبدالمنعم الدمنهوري يرحمه الله تعالى، تحقيق الدكتور محمود محمد الكبش.

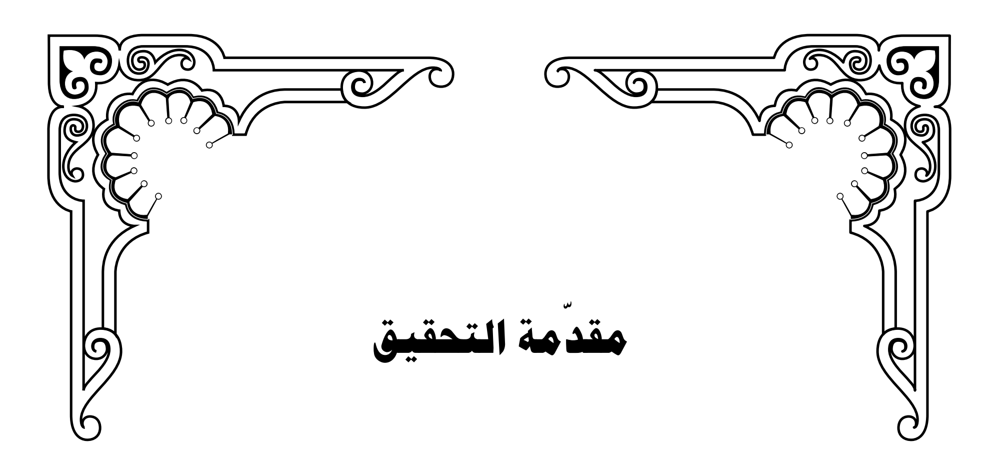
ومجلة **"الوعي الإسلامي"** إذ تقدّم هذا الإصدار لقرائها، فإنها تتوجه بخالص الشكر والتقدير للدكتور الفاضل على إذنه الكريم بطباعة هذا الكتاب، نسأل الله له التوفيق والسداد.

والحمد لله رب العالمين

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي





مقدّمة التحقيق

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسّلامُ على أشرفِ المرسلِين؛ سيِّدِنا محمّدٍ، وعلى آلهِ، وصحبِهِ أجمعين؛ وبعد:-

فإنّ علم التّاريخ مِن العلوم الّتي يُحتاج إليها، إذ به يَعرف الخلفُ أحوالَ سَلَفِهم، وما كانوا عليه من صفاتٍ أهّلتْهُم ليكونَ لهم لسانُ صدْق في الآخرين.

قال السّعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول الله تعالى حكايةً عن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤]؛ أي: اجعَلْ لي ثناءَ صدْقٍ مستمرٍّ إلى آخر الدّهر؛ فاستجابَ اللهُ دعاءَهُ، فَوَهَب له من العلمَ والحكم، ما كان به من أفضل المرسلِين، وألحَقَهُ بإخوانِهِ المرسلِين، وجعَلَهُ محبوبًا مقبولاً معظّمًا مثنًى عليه، في جميع

الملل، في كلّ الأوقات»[1].

ولا شكّ أنّ فنّ التّراجمِ وسيرِ العلماءِ مِن أفضلِ الفنونِ الّتي تحفَظُ الأنسابَ مِن أن تنسابَ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

ولقد أدرك العقلاءُ والفضلاءُ في كلِّ زمانٍ: أهمّيّةَ علمِ التّراجم وسير العلماء[2]؛ وذلك أنّ ذِكْرَ رجالاتِ الأمم والبلدان فيه إحياءُ الأولين والآخرين من علمائها؛ فإنّ ذِكْرَها حياةٌ جديدة، ومَن أحياها؛ فكأنّما أحيا النّاس جميعًا[3].

قال الحافظ ابن الجوزيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أنّ في ذكر السّير والتّواريخ فوائدَ كثيرةً؛ أهمُّها فائدتان؛ أحدُهما: أنّه إذا ذُكِرَت سيرة

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٥٩٣).

(٢) مِن طريف ما ورد عن العلماء في هذا الموضوع: ما جاءَ عن أبي علي الحسن بن أحمد القرشي الحنبلي البغدادي المعروف بابن البناء (ت٤٧١هـ) أنه قال لأحدهم: «هل ذكرني الخطيب البغدادي في تاريخه في الثقات أو مع الكذابين؟ فقيل له: ما ذكرك أصلاً، فقال: يا ليتَهُ ذَكَرَني؛ ولو مع الكذابين». وقال السّخاوي: «ونحوه قول بعضهم مِمَّن توهَّم اقتصاري على تراجم الأموات: ليتَنِي أموت في حياة السّخاوي حتّى يترجمني». كلاهما في «الإعلان بالتوبيخ» للسخاوي (ص٣٣).

(٣) «الإعلان بالتّوبيخ» (ص٤١-٤٢).

حازِمٍ، ووُصفت عاقبةُ حالِهِ؛ أفادت حسنَ التّدبير واستعمالِ الحزْم، أو إن ذُكرَت سيرةُ مفرّط، ووُصفت عاقبته؛ أفادت الخوف من التّفريط، فيتأدّب المتسلّط، ويعتبر المتذكّر، ويتضمّن ذلك شحذَ صوارم المعقول، ويكون روضةً للمتنزِّه في المنقول»[1].

وها هو بين يديك أيّها القارئ الكريم كتابٌ حافلٌ في موضوعِهِ، مفيدٌ في بابِهِ، لمصنّفه العلّامة شيخ الجامع الأزهر أحمدِ بنِ عبد المنعمِ ابنِ يوسفَ بنِ صيام الدّمنهوريّ؛ المتوَفّى سنة (١١٩٢هـ)؛ جمَعَ فيه جملةً مِن **تراجمِ الأئمّة الأربعة**؛ أبي حنيفة، ومالك، والشّافعيّ، وأحمد؛ الّذين رَفَعَ اللهُ من شأنِهم، وأعزَّ من قدرهم، فكانوا ورّاثَ نبيّه، وحملةَ علمه، والدّاعين إلى شريعتِهِ؛ ينفون عنها تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين.

قال مؤلّفه في مقدّمته واصفًا عملَه في الكتاب، وأصلَهُ الّذي لخَّصَه منه: «هذا ما اشتدّت حاجةُ الطّالبين إليه؛ من مناقب **الأئمّة الأربعة، ممّا** هو معوّل عليه؛ ليحيط كلُّ طالب بمناقب إمامه؛ فيصير على بصيرة من علوِّ شأنه ورفيع مقامه. لخّصته من رسالة الشيخ مرعي الحنبليّ[2]؛

---

(١) «المنتظم» (١/١١٧).

(٢) وهي: «تنوير بصائر المقلِّدين بمناقب أئمّة الدِّين»؛ طُبع بتحقيق: يحيى الكندريّ، =

لأنّها أجلُّ ما ألّف في هذا المقام العليّ؛ مسميًّا له بـ (**إتحاف المهتدين بمناقب أئمّة الدِّين**)؛ مرتّبًا له على مقدّمة، وأربعة أبواب، وخاتمة؛ وهي آخر ما ذكر في هذا الكتاب.

فالمقدّمة في ذكر بعض المجتهدين من هذه الأمّة، **والأبواب** في مناقب المتقدِّمين من الأئمّة، **والخاتمة** في مسائل لها تعلّق بذلك».

۞ وصف المخطوط:

وقد اعتمدتُ في تحقيق هذا الكتاب على أربع نسخ خطيّة:

الأولى: وهي النّسخة المحفوظة في المكتبة الأزهريّة تحت رقم (٣٥٧٣) تاريخ، وتقع في (٤٢) لوحة، ومسطرتها (٢١) سطرًا تقريبًا، وكتبت بخطِّ النّسخ، وهي مقابلة على نسخة المؤلف، ورمزت إليها بـ(أ).

وفي آخرها تاريخ انتهاء مؤلّفها من كتابتها؛ وهو سنة: (١١٧٣هـ).

الثّانية: وهي النّسخة المصوّرة المحفوظة في دار الكتب المصريةّ تحت رقم (١٨٩٤) تاريخ، وتقع في (٤٢) لوحة أيضًا، ومسطرتها (٢١) سطرًا تقريبًا، وكتبت بخطّ النّسخ، وهي مقابلة على نسخة مصحّحة، ورمزت إليها بـ(ر).

= بدار ابن حزم؛ بيروت.

وفي آخرها تاريخ الفراغ من تسويدها وهو: يوم الاثنين ختام صفر الخير سنة: (١٢٦٣هـ)، والنّاسخ هو علي حسين، وكتب أنّه شافعيّ المذهب.

الثّالثة: وهي النّسخة المصوّرة المحفوظة أيضًا في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٩٢١/٤٦٧٨)، وعلى غلافها توقيف للسيّد حسين الحسيني، وختم بذلك، لدار الكتب السلطانية، وتقع في (٣٤) لوحة، ومسطرتها (١٩) سطرًا تقريبًا، وكتبت بخط معتاد واضح قريب من النّسخ، ورمزتُ إليها بـ (ص).

وفي آخرها تاريخ الفراغ من تسويدها؛ وهو: جمادى الثّاني سنة: (١٢٨٩هـ)، **والنّاسخ** هو السّيّد أحمد بن السّيّد مصطفى بن السّيّد أحمد بن السّيّد يوسف بن السّيّد محمّد الأزهريّ الحنفيّ.

الرّابعة: وهي النّسخة المحفوظة في مكتبة الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، وهي نسخة رديئة جدًا، لا تكاد تُقرأ من فساد حروفها بسبب التّصوير السّيّء.

وقد كُتبت بخطٍّ معتادٍ قريب من النّسخ، ولو كان تصويرها جيِّدًا لكانت كَسَابِقَتِها وضوحًا.

واعتمدتُها فقط عند المقارنة والتّثبُّت، ولم أرمزْ لها بشيء.

۞ خطّة التّحقيق:

لكي يخرجَ الكتاب على الصّورة الّتي هو عليها الآن قُمْتُ بالتّالي:

١- نسختُ الكتاب حسب القواعد الإملائيّة الحديثة، وقابلتُه على ثلاث نسخ خطّيّة، ولفّقتُ عند كتابة النّصّ بينها، وأمّا الرّابعة المشار إليها آنفًا؛ فقد جعلتُها للمقارنة فقط.

٢- ضبطتُ النّصّ المحقَّق كاملاً، وراجعتُه أكثر من مرّة.

٣- عزوتُ الآياتِ؛ وهي قليلة، وخرّجتُ الأحاديث.

٤- وثَّقتُ أقوال العلماء إلى أصحابها معتمدًا على كتبهم أوّلاً، فإن لم يتيسَّرْ لي؛ فإنّي أنقل ذلك ممّن نقل عنهم، أو عمّن وُجدت الرّواية عندهم.

٥- علّقْتُ على بعض المواضع بما يناسب.

٦- قدّمْتُ للكتاب، وترجمْتُ للمؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧- وضعْتُ فهرسًا تفصيليًّا للكتاب.

وأخيرًا؛ أحمَدُ اللهَ تعالى في الختام والتّوفيق للتّمام، وأضرع إلى الله أن يوفِّقني إلى إخلاص النّيّة في هذا العمل، وأن يجزلَ لي ولأخي الشّيخ

الفاضل فيصل بن يوسف العليّ رئيس تحرير «مجلّة الوعيّ الإسلاميّ» المثوبةَ والأجر، وأن يعمَّ المسلمين بنفع هذا الكتاب، إنَّه سميعٌ مجيب.

المحقّـق

الدّكتور محمود محمّد الكبش

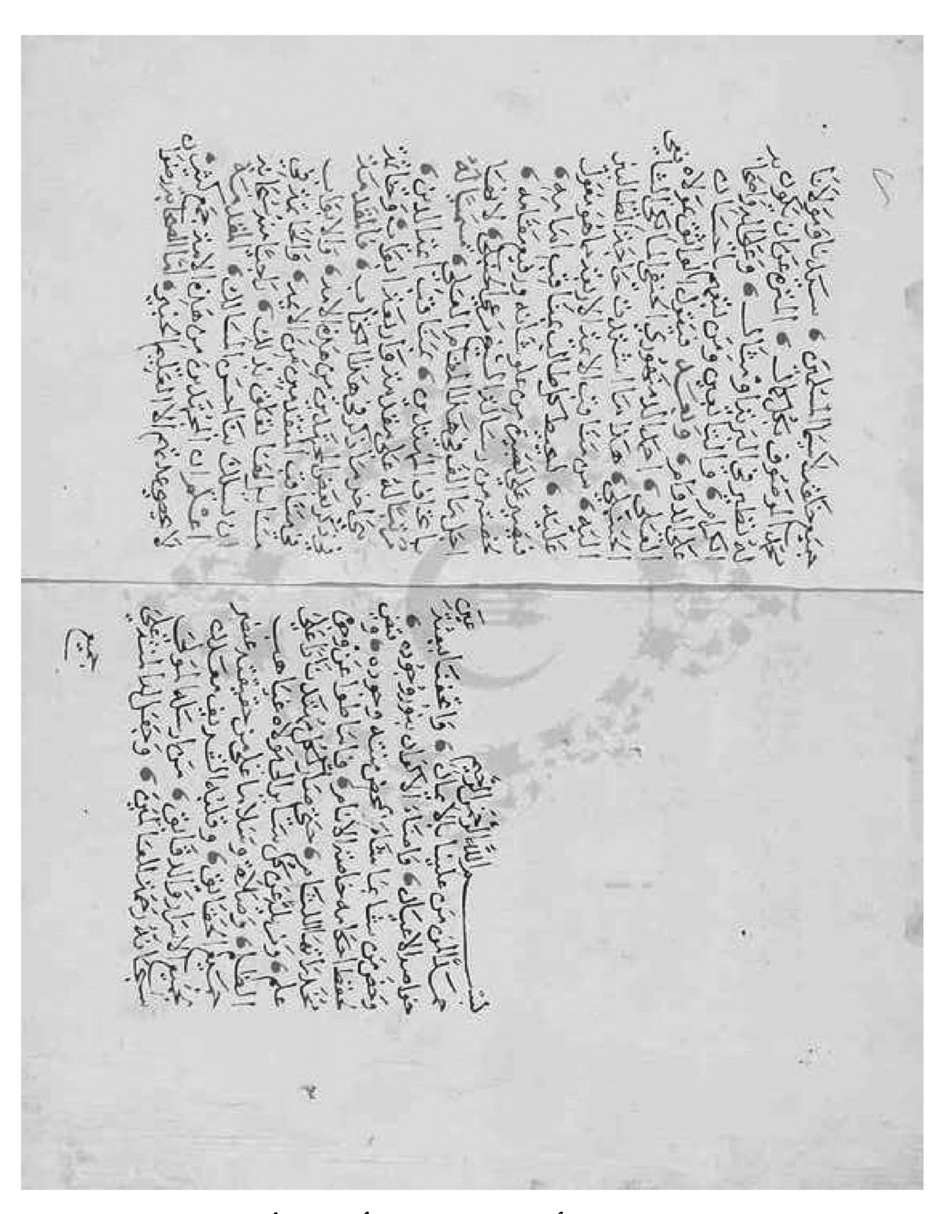
١/ ٤/ ٢٠١٤م



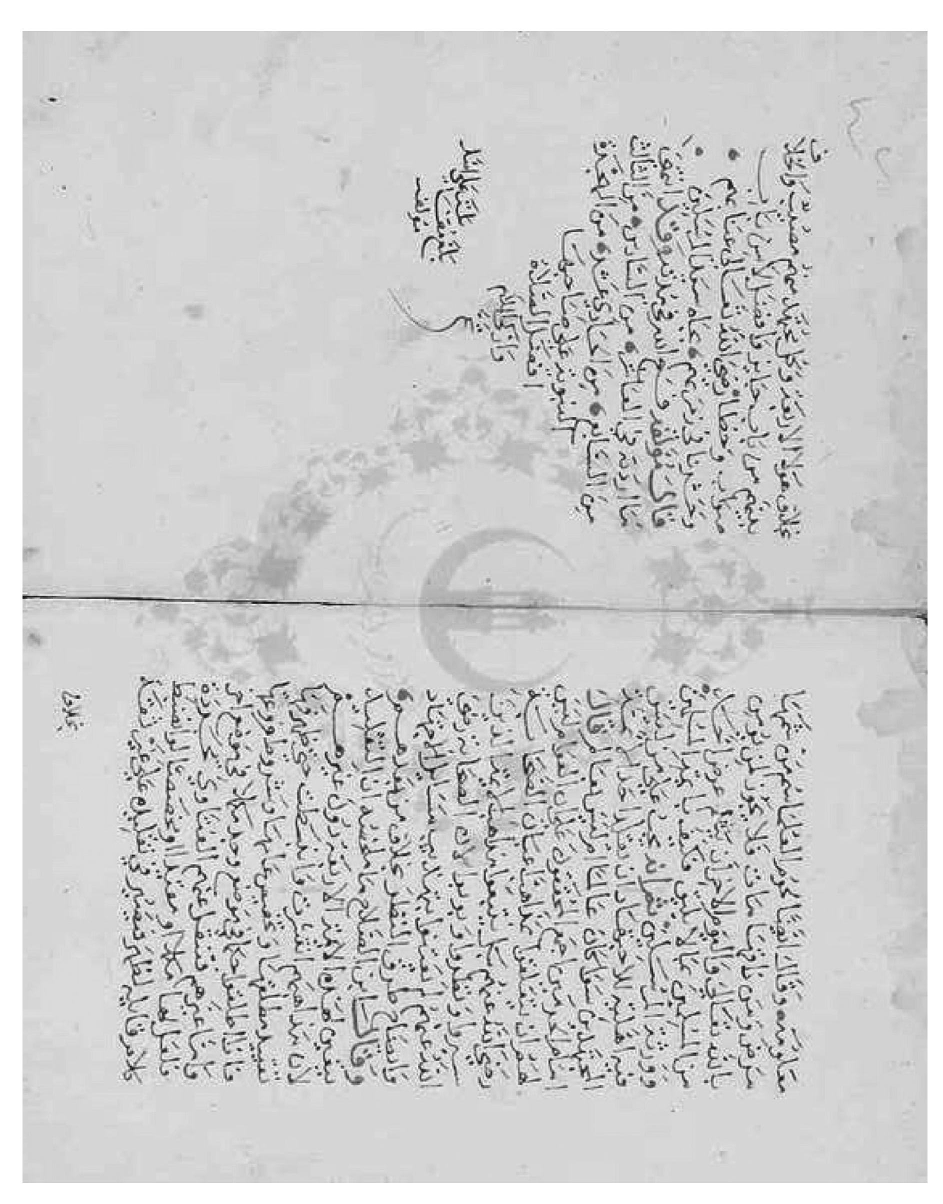




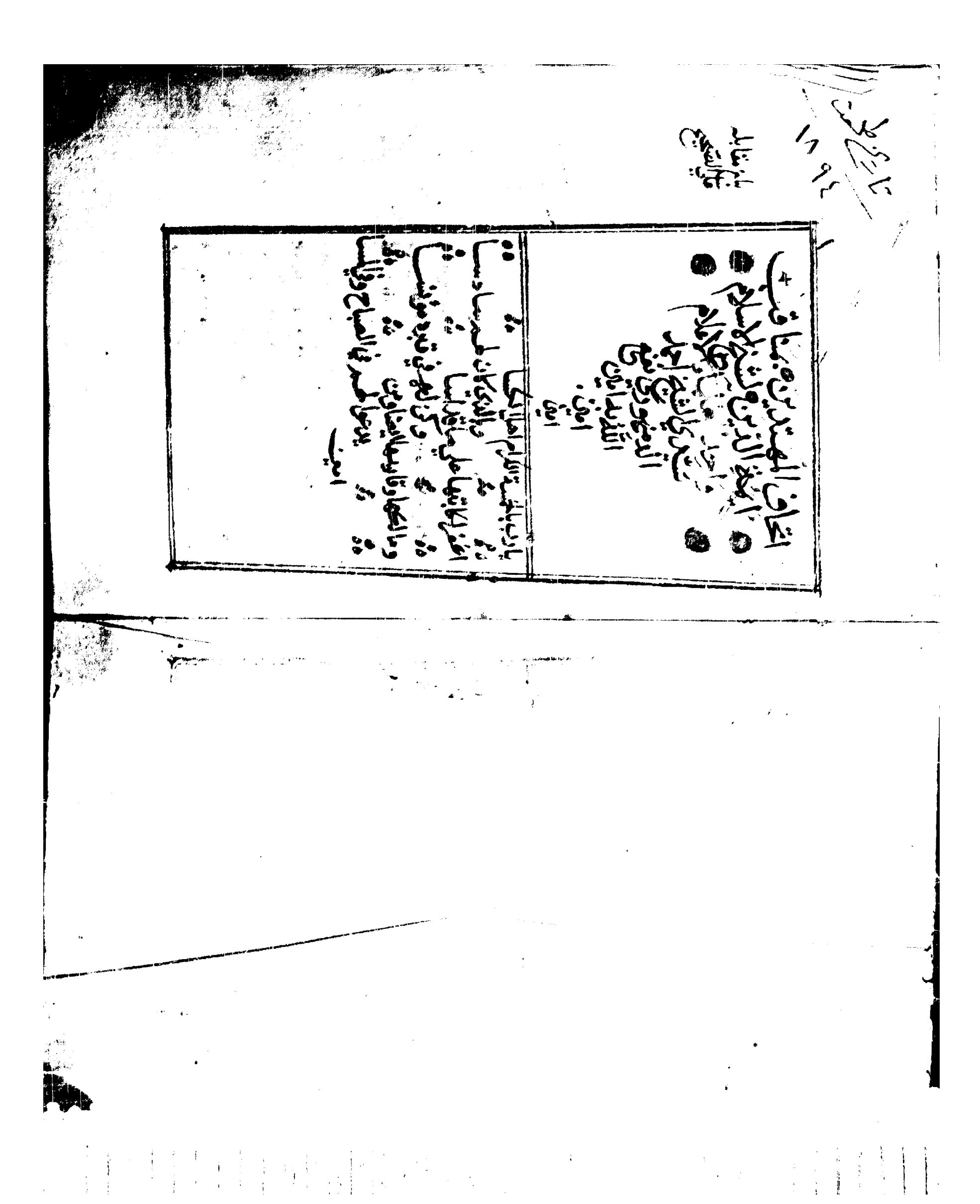

غلاف النسخة الأزهرية (أ)



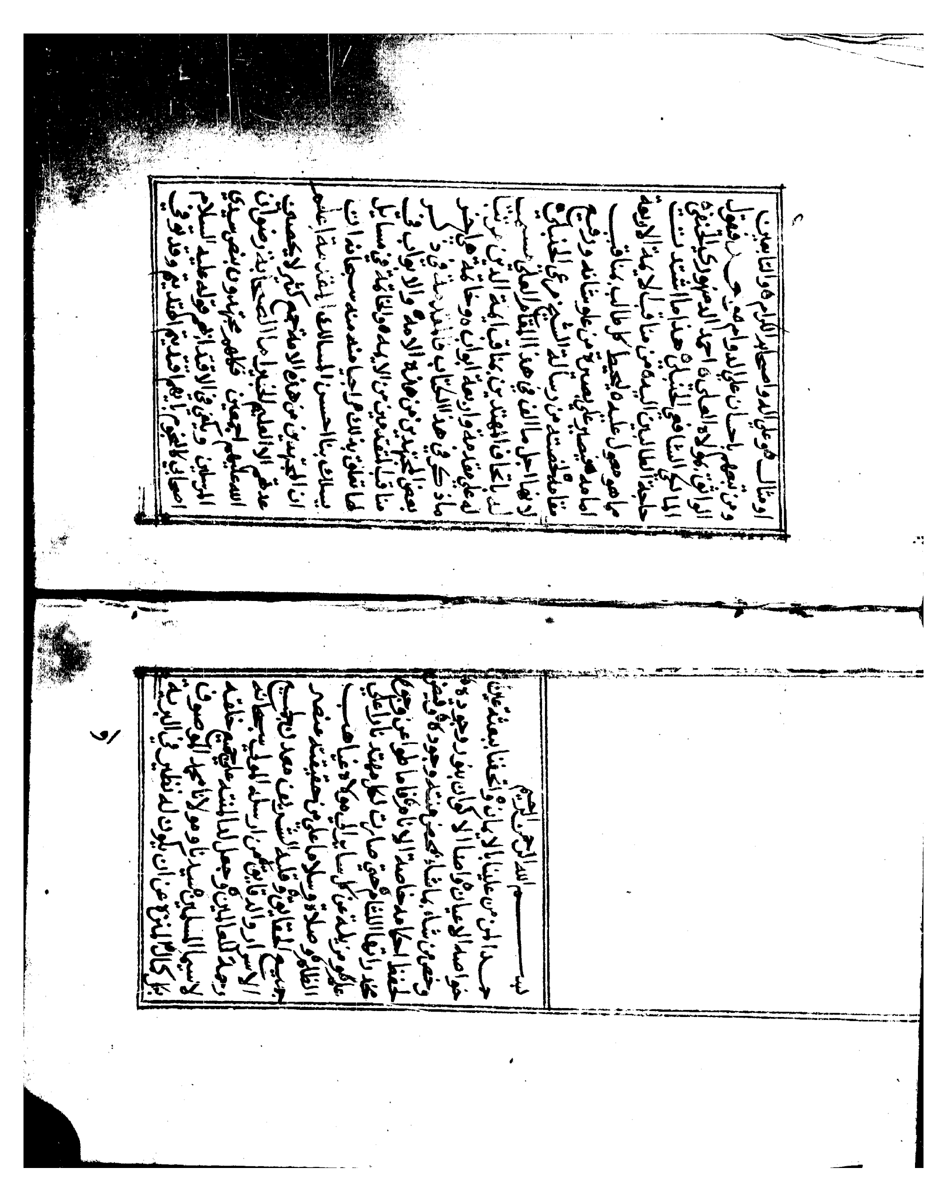
الورقة الأولى من النسخة الأزهرية (أ)



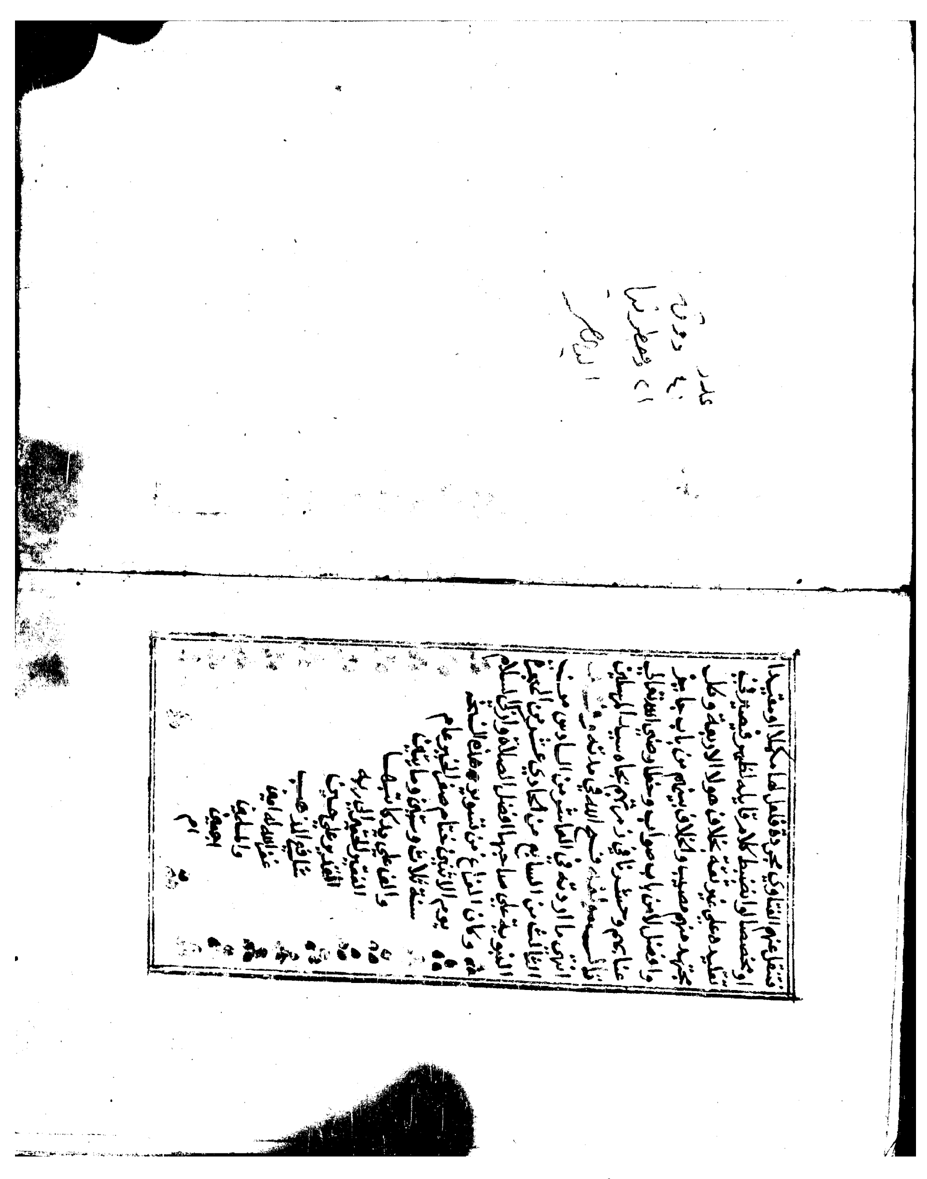
الورقة الأخيرة من النسخة الأزهرية (أ)



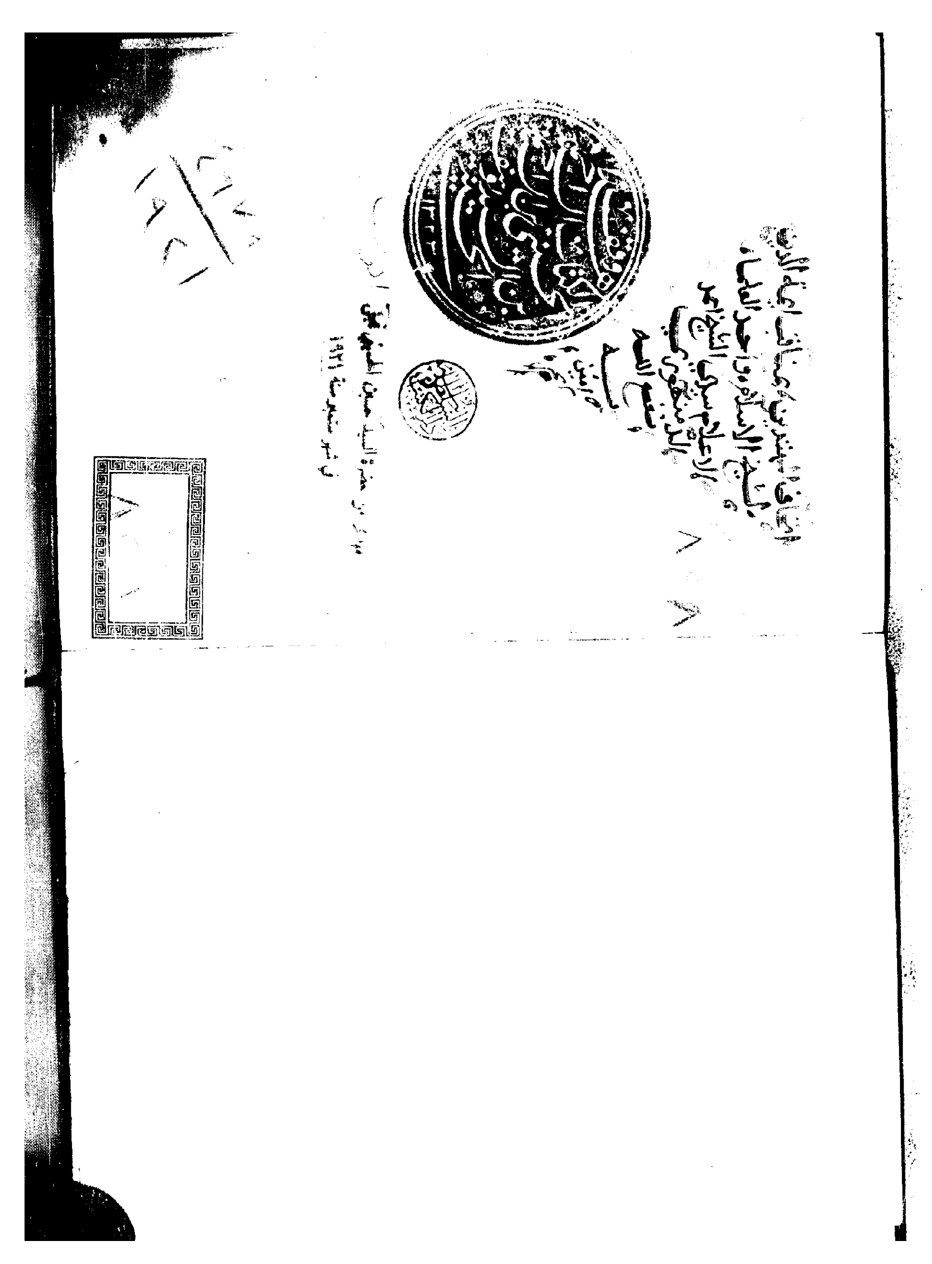
غلاف نسخة دار الكتب المصرية (ر)



الورقة الأولى نسخة دار الكتب المصرية (ر)

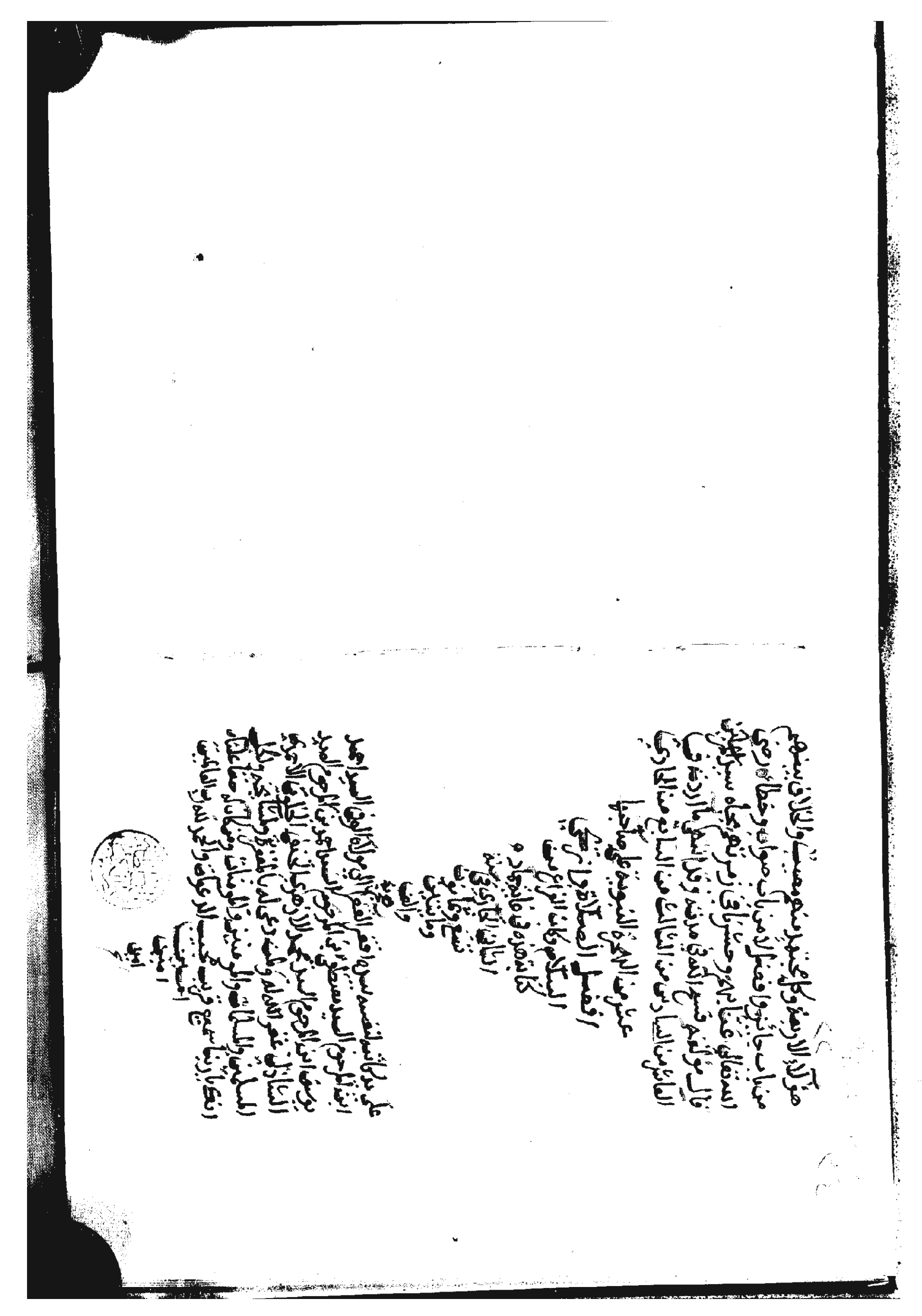


الورقة الأخيرة نسخة دار الكتب المصرية (ر)

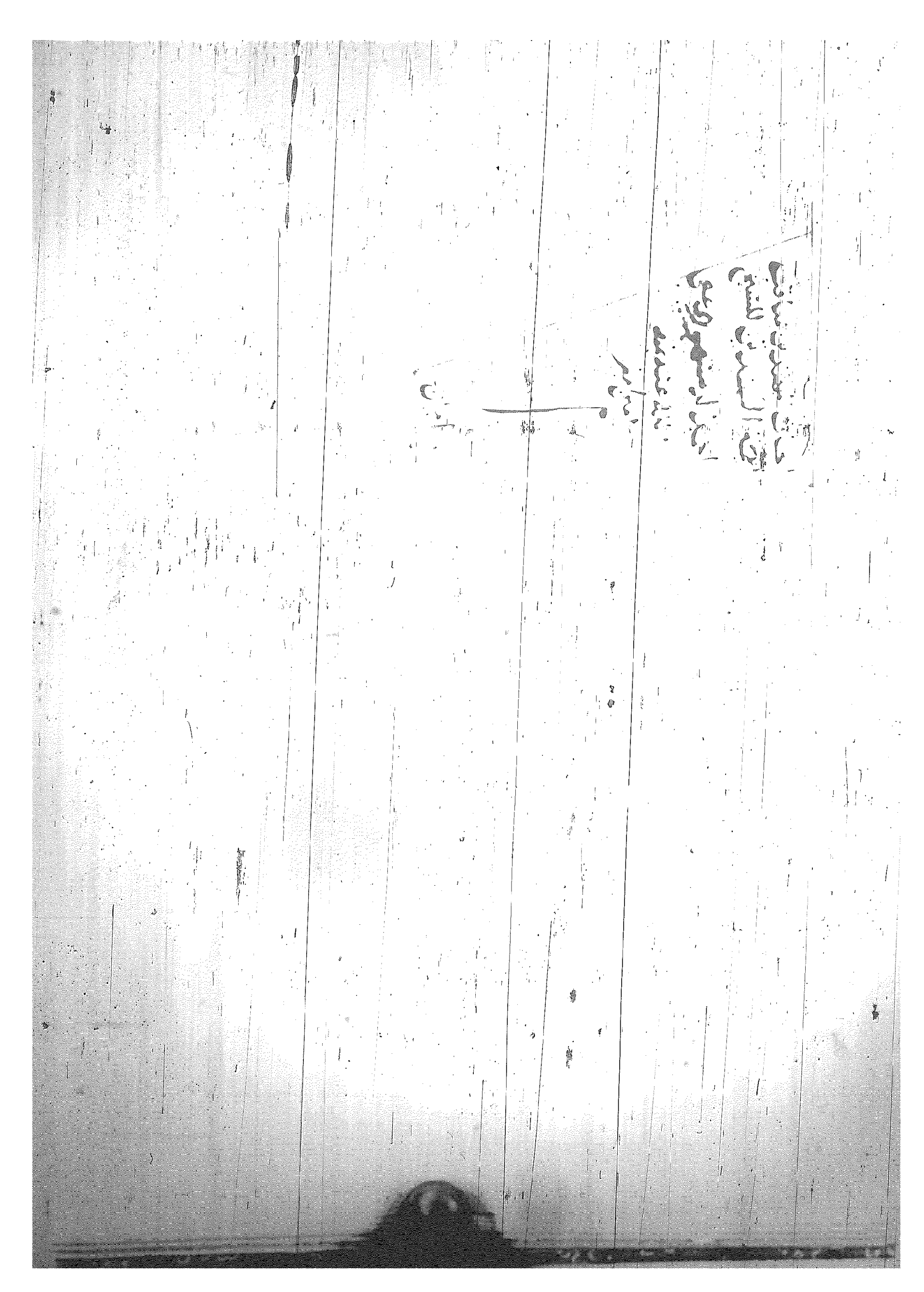


غلاف نسخة دار الكتب المصرية (ص)

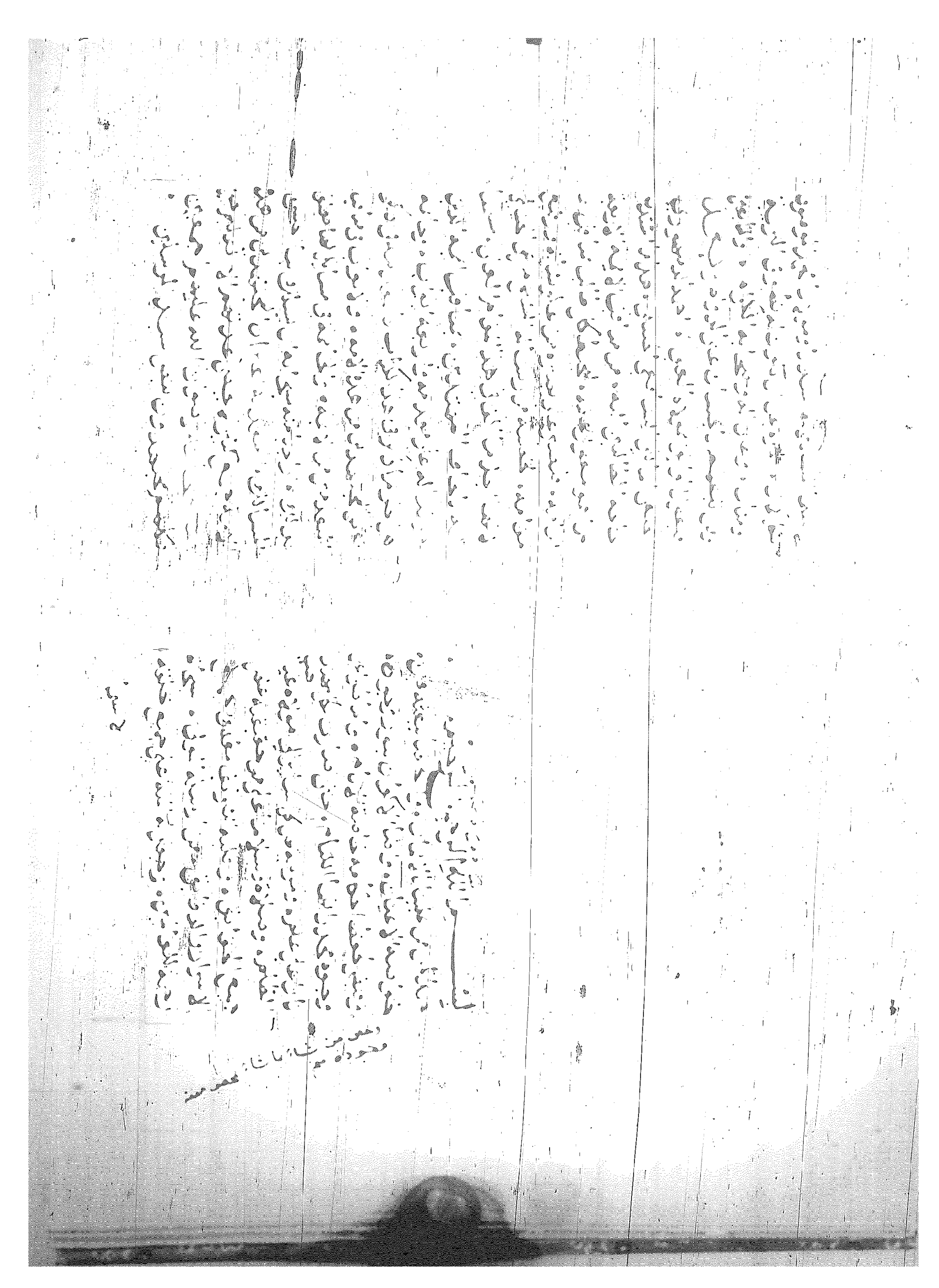
الورقة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية (ص)



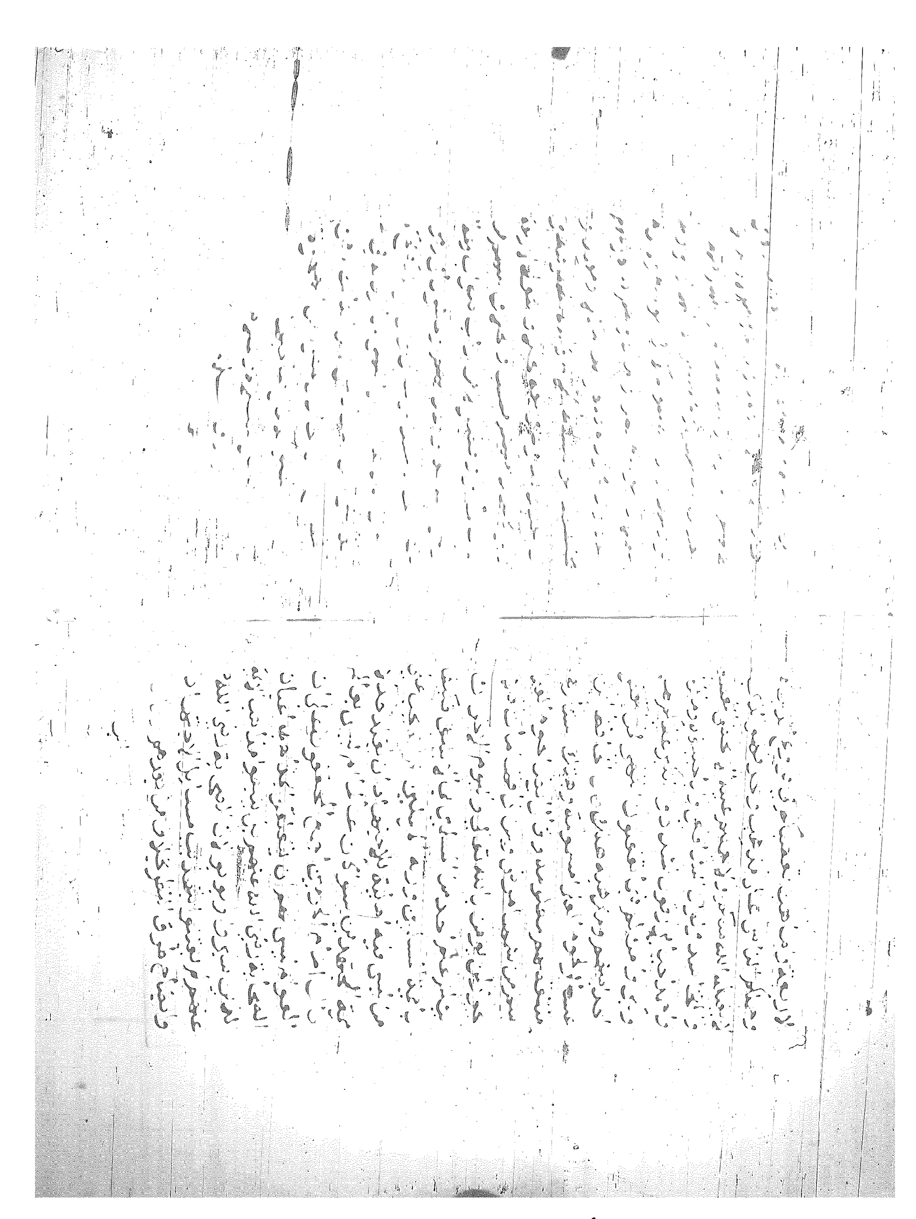
الورقة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية (ص)



غلاف نسخة الجامعة الإسلامية



الورقة الأولى من نسخة الجامعة الإسلامية



الورقة الأخيرة من نسخة الجامعة الإسلامية



ترجمة المؤلّف

۞ اسمُهُ، ونسبُه:

هو العلّامة الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام المصري الشهير بالدّمنهوريّ نسبة إلى البلدة التي ولد فيها وهي (دمنهور)[1].

وذكر المراديُّ اسمَه في «سلك الدّرر» بإسقاط جدِّه الأوّل (يوسف)؛ فقال: «أحمد بن عبد المنعم بن خيام»، ومثله فعل الغزي في «النّعت الأكمل»[2].

---

(١) ينظر في الترجمة: «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» للمرادي (١/١١٧)، و«النعت الأكل لأصحاب الإمام أحمد» للغزي (ص٣١٧)، و«كنز الجوهر في تاريخ الأزهر» لسليمان رصد (ص١٣٠-١٣٢)، و«فهرس الفهارس» للكتاني (١/٢٠٣-٣٠٣)، و«فهرس دار الكتب المصرية» (٢/١٧٨، ١٩٤)، و«عجائب الآثار» (١/٢٥-٢٧)، وهي منقولةٌ بتصرُّف من مقدَّمة كتابه «الفتح الرّبّانيّ».

(٢) «سلك الدرر» (١/١١٧)، و«النعت الأكمل» (ص ٣١٧)، كما سمّيا جدّه الثّاني بـ«خيام» بدل «صيام».

ويلقّب بـ «الدّمنهوريّ»، وبـ «المذاهبيّ»؛ **لعلمه بالمذاهبِ الأربعة**، وذَكَرَ له الغزّيّ لقباً ثالثاً؛ وهو «شهاب الدّين»[1]، وأشهرُ هذه الألقاب: الأوّل.

۞ مولدُه:

وُلد الشّيخ الدّمنهوريُّ في بلدة «دمنهور الغربية» في مصر سنة (١١٠١هـ، ١٦٩٠م)[2]، وذكر الغزيُّ في «النّعت الأكمل»، والمراديُّ في «سلك الدّرر» أنّه وُلد في حدود التّسعين وألف من الهجرة[3]، ثمّ قَدِم القاهرة وهو صغير، ونشأ بها يتيماً.

۞ طلبُه للعلم:

انتقل الشّيخ الدّمنهوريّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أثناء طفولته، وبعد موْتِ أبيه، مِن مسقط رأسه «دمنهور» إلى البلد الزّاخر بالعلم والثّقافة: «القاهرة»، فنشأ فيها يتيماً بين أروقة الأزهر العامر بالعلم وأهله، فأخذ يشتغل بالعلم وتحصيله، وينهل من معينه في مختلف الفنون، حتّى نبَغ في

---

(١) «سلك الدرر» (١/ ١١٧).

(٢) «كنز الجوهر» (ص١٣٠)، و«الأعلام» (١/ ١٦٤)، و«معجم المؤلّفين» (١/ ٣٠٣).

(٣) «النعت الأكمل» (ص٣١٧)، و«سلك الدرر» (١/ ١١٧).

مختلف العلوم، وأجازه علماء المذاهب الأربعة، وغيرُهم.

قال عنه سليمان رصد الحنفيّ: «قدم القاهرة وهو صغير، وكان يتيماً، فاشتغل بالعلم، واجتهد في تحصيله؛ فنَبَغَ في العلوم، وأجازَهُ علماءُ المذاهب الأربعة وغيرهم، وكانت له حافظة ومعرفة في فنون غريبة»[1].

وقال عنه المراديُّ: «نشأ طالباً للعلوم، فأخذ عن جملة من العلماء...»[2].

۞ مشايخه:

كان لنشأة الشيخ الدّمنهوريّ بين أروقة الأزهر أثر في التحصيل على عدد كبير من علماء ذلك الوقت، و مِن أشهر مشايخِهِ:

- **منصور المنوفيّ**: وهو منصو بن عليّ بن زين العابدين المنوفيّ؛ البصير، من فقهاءِ الشّافعيّة، وكان محدِّثًا، ناظمًا، ومشاركًا في العلوم العقليّة والنقليّة؛ من مؤلّفاته: «نظم الموجهات»، وشرحها، توفي بمنوف سنة (١١٣٥هـ)، وقد جاوز التّسعين[3].

---

(١) «النعت الأكل» (ص٣١٧)، و«سلك الدرر» (١/ ١١٧).

(٢) «كنز الجوهر» (ص١٣٠-١٣١).

(٣) تنظر ترجمته في: «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ٧٤)، و«معجم المؤلفين» (١٣/ ١٦).

- **محمد الغمريّ الحسَنيّ، الشّافعيّ**: فلكيٌّ، حاسب، نباتيٌّ، نحويّ؛ له مؤلّفات؛ منها: «القواعد الحسابية في تحويلات الأكياس الرّوميّة إلى الأكياس المصرية»، و«القواعد المقنعة في تحويلات المقادير الأربعة»، و«ريحانة الألِبَّا في معاني البا»، كان حيّاً سنة (١١٢٤هـ)(١).

- **أحمد بن غانم النفراويّ المالكيّ**: قاهريّ، يُعَدُّ من فقهاء المالكيّة، وهو أيضاً محدِّث، أخذ عن محمد البابلي وطبقته، توفي سنة (١١٢٠هـ)(٢).

- **أحمد الهشتوكي**: وهو أحمد بن محمد التمكيّ نسباً، المنصوري أصلاً، الشهير بـ «الهشتوكي»، يكنى بأبي العباس. نحوي، له كتاب «الدُّرَّة النفيسة السَّنيَّة في بعض المسائل النّحويَّة»، توفِّيَ عام (١١٢٧هـ)(٣).

ومن مشايخه كذلك: الشهاب أحمد الحليفيّ، وعبد ربه الدّيويّ، وعبد الجواد الميدانيّ، وعلي أبو الصفا الشنواني، وعبد الوهاب الشنوانيّ، وعبد الرؤف البشبيشيّ، وعبد الجواد المحروميّ، وعبد الدائم الأجهوريّ،

---

(١) تنظر ترجمته في: «هداية العارفين» للبغدادي (٢/٣١١)، و«معجم المؤلفين» (١١/١١٣).

(٢) تنظر ترجمته في: «سلك الدرر» (١/١٤٨-١٤٩).

(٣) تنظر ترجمته في: «فهرس دار الكتب المصرية» (٢/١٠٩)، و«معجم المؤلفين» (٢/٨٧).

ومحمد بن عبد العزيز الحنفيّ، الزياديّ، ومحمد الورزازيّ، ومحمد بن عبد الله السجلماسيّ، والسيد محمد سلمونيّ المالكيّ، والشهاب أحمد المقدسيّ الحنبليّ(١).

۞ مكانتُهُ العِلميّة:

كانت للدّمنهوريّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مكانة علميّة عالية؛ فقد كان عالماً بالمذاهبِ الأربعةِ، ولذلك لُقِّب بـ«المذاهبيّ»؛ كما تقدّم.

قال المرادي: «أحمد بن عبد المنعم بن خيام الشافعيّ، الحنفيّ، المالكيّ، الحنبليّ، هكذا كان يكتب بخطِّه»(٢).

بل قال عنه المراديّ: «وكان عالماً بالمذاهب الأربع أكثر من أهليها»(٣)، وقال سليمان رصد الحنفيّ: «أفتى على المذاهب الأربعة»(٤).

وقال الغزّيّ العامريّ: «أحمد بن عبد المنعم بن خيام الحنفيُّ، المالكيُّ، الشّافعيُّ، الحنبليُّ المكّي، الشهير بالدمنهوريِّ، العلّامة، المتفنّن، المستكمل

---

(١) ينظر هؤلاء جميعهم في: «سلك الدرر» (١/١١٧).

(٢) «سلك الدرر» (١/١١٧).

(٣) المرجع السابق.

(٤) «كنز الجوهر» (ص١٣١).

للفتيا بسائر مذاهب الأئمة الأربعة، الحائز من العلم أنفعَه وأرفعَه»[1].

ولم يقتصر أمره -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- على العلم بالفقه، بل كان عالمًا بالنّحو، والبلاغة، والطّبّ، والكيمياء، وغيرها، وألّف فيها كما سيأتي في مؤلفاته إن شاء الله .

قال المراديّ: «آية الله الكبرى في العلوم والعرفان، المتفنّن في جميع العلوم معقولاً ومنقولاً .. وله اليد الطولى في سائر العلوم؛ منها الكيمياء، والأوفاق، والهيئة، والحكمة، والطبّ، وله في كلِّ علم منها تآليف عديدة»[2].

۞ مكانتُه الاجتماعيّة:

كانت للدمنهوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مكانة خاصّة في قلوب الناس؛ فقد حاز على رضى العامّة والخاصّة، وذلك عائد إلى ما كان عليه من مكانة علمية، وما يتّصف به من زهد وتقى وحلم وورع.

ويدلّ على علوِّ مكانته في مجتمعه: هيبةُ الأمراء له، وقصدهم له، ومهاداتهم له بالهدايا.

---

(١) «النعت الأكمل» (ص٣١٧).

(٢) «سلك الدرر» (١/ ١١٧).

قال سليمان رصد الحنفيّ: «وهابتُه الأمراء لكونه قوّالاً للحقّ؛ أمّارًا بالمعروف، وقصَدَتْهُ الملوكُ من الأطراف، وهادَتْهُ بالهدايا»[1].

وقال الزّركليّ: «وكان قوّالاً للحقّ، هابَتْهُ الأمراءُ، وقصَدَتْهُ الملوك»[2].

۞ آثارُه العلميّة:

تتجلّى الآثار العلميّة للدمنهوريّ فيما خلَّفَهُ لنا من تصانيفَ ومؤلفاتٍ كثيرةٍ، والّتي لم تقتصر على نوع خاصٍّ، أو جانب معيَّن من العلوم، بل إنّه تناول كثيرًا من العلوم والفنون، وجوانب متعدّدة من المعارف، وكانت هذه التّصانيف والمؤلّفات بالإضافة إلى كثرة عددِها جمّةَ المنافع، عظيمةَ الفائدة، وقد طُبع عددٌ منها، ومن هذِهِ المصنّفاتِ والمؤلّفاتِ ما يلي:

- «سبيل الرّشاد إلى نفع العباد»، قال عنه الغزي العامري: «مشتمل على فوائد جليلة؛ التقطها من كلام أهل الأدب، مرتِّباً لها على حروف المعجم»[3].

---

(١) «كنز الجوهر» (ص١٣١).

(٢) «الأعلام» (١/ ١٦٤).

(٣) «النعت الأكمل» (ص٣١٧)، وقد أشار الزركلي في «الأعلام» (١/ ٦٤) إلى أنّه مطبوع.

- «حلية اللّبّ المصون بشرح الجوهر المكنون»[1]، وهو في البلاغة.

- «نهاية التّعريف بأقسام الحديث الضّعيف».

- «الفتح الربانيّ بمفردات ابن حنبل الشّيبانيّ»[2].

- «طريق الاهتداء بأحكام الإمامة والاقتداء على مذهب الإمام أبي حنيفة».

- «إحياء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد».

- «الرّقائق الألمعيّة على الرّسالة الوضعيّة».

- «عين الحياة في استنباط المياه»، وهو رسالة.

- «القول الصّريح في علم التّشريح»، وهو في الطّبّ.

- «إقامة الحجّة الباهرة على هدم كنائس مصر والقاهرة».

- «الزّهر الباسم في علم الطلاسم».

- «منتهى الإرادات في تحقيق الاستعارات».

---

(١) وقد أشار الزركلي في «الأعلام» (١/ ١٦٤) إلى أنّه مطبوع.

(٢) وقد حقّقه أ. د. ياسين بن ناصر الخطيب في غلاف كرتوني، وكذلك الشيخان الفاضلان: د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، ود. عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الحجيلان، طبع دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥ هـ.

- «سبيل الرّشاد إلى نفع العباد»[1]، وهو في المواعظ.
- «منهج السّلوك في نصيحة الملوك».
- «إتحاف المهتدين بمناقب أئمّة الدِّين»، وهو كتابنا هذا.
- «الفيض العميم في معنى القرآن العظيم».
- «إيضاح المبهم في معاني السّلم للأخضريّ»، وهو في المنطق.
- «درّة التّوحيد».
- «القول المفيد في درّة التّوحيد»، وهو شرح لما قبله.
- «إيضاح المشكلات من متن الاستعارات» للسمرقندي.
- «إرشاد الماهر إلى كنز الجواهر في علم الحروف والأسماء».
- «خلاصة الكلام على وقف حمزة وهشام». وغيرها[2].

۞ أعمالُـــه:

تولَّى الشّيخ الدّمنهوريُّ عدّةَ أعمال؛ أهمُّها:

---

(١) وقد أشار الزركلي في «الأعلام» (١/١٦٤) إلى أنّه مطبوع.

(٢) ينظر في جميع هذه المؤلفات: «كنز الجوهر» (ص١٣١)، و«سلك الدرر» (١/١١٧)، و«النعت الأكمل» (ص٣١٧)، و«الأعلام» (١/١٦٤)، و«معجم المؤلفين» (١/٣٠٣).

أوّلاً: مشيخةُ الأزهر:

وكان ذلكَ بعدَ وفاةِ شيخة الشيخ عبد الرؤوف بن محمّد بن عبد الرَّحمن بن أحمد السجنيّ، وذلك بسنة (١١٨٢هـ)، واستمرّ في ذلك حتّى توفّي سنة (١١٩٢هـ)، وقد ذكر سليمان رصد الحنفيّ في كنز الجوهر في تاريخ الأزهر أنّه -أي الدّمنهوريّ- الشيخ التّاسع للأزهر[١].

ثانياً: التّدريس:

قام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بتدريس العلوم الشرعيَّة، وغيرِها من فنون العلم التي كان ملمًّا بها، وذلك في الأزهر قبل تولّيه مشيختَه وبعدها، وفي غير الأزهر كذلك.

قال سليمان رصد: «وكان يدرّس بالمشهد الحسينيّ في شهر رمضان»[٢].

۞ وفاتُــه:

بعد أن قضى الدّمنهوريّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- حياتَه في سبيل خدمة العلم وأهله، تعلُّمًا وتعليمًا، وقراءةً، وتأليفًا؛ توفّي في القاهرة في العاشر من

---

(١) ينظر في ذلك: «كنز الجوهر» (ص١٣٠)، و«سلك الدرر» (١/ ١١٧)، و«الأعلام للزركلي» (١/ ١٦٤)، و«معجم المؤلفين» (١/ ٣٠٣).

(٢) «كنز الجوهر» (ص١٣١).

شهر رمضان سنة (١١٩٢هـ)، وشُيّعت جنازته في مشهد حافل، وصُلِّي عليه بالأزهر، ودفن بالبُستان، رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

❁ ❁ ❁

(١) ينظر في وفاته: «سلك الدرر» (١١٧/١)، و«كنز الجوهر» (ص١٣١)، و«النعت الأكمل» (ص٣١٧)، و«الأعلام» ١(/١٦٤)، و«معجم المؤلفين» (٣٠٣/١).





وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

إتحاف المهتدين

بمناقب أئمة الدين

تأليف

أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري
شيخ الجامع الأزهر المتوفى ١١٩٢هـ

تحقيق

الدكتور/ محمود محمد الكبش

الإصدار الثامن والتسعون
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



[مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ]

حَمْدًا لِمَنْ مَنَّ عَلَيْنَا بِالإِيمَانِ، وَأَتْحَفَنَا بِبِعْثَةِ عَيْنِ خَواصِّهِ الأَعْيَانِ، وَأَضَاءَ الأَكْوَانَ بِنُورِ وُجُودِهِ، وَخَصَّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ بِمَحْضِ مِنَّتِهِ وَجُودِهِ، وَقَيَّضَ لِحِفْظِ أَحْكَامِهِ خَاصَّةَ الأَنَامِ؛ فَأَمَاطُوا عَنْ وُجُوهِ مُخَدَّرَاتِهَا اللِّثَامَ، حَتَّى صَارَتْ لِكُلِّ مُهْتَدٍ نَارًا عَلَى عَلَمٍ، وَمُزِيلَةً عَنْ كُلِّ سَائِرٍ إِلَى مَوْلَاهُ غَيَاهِبَ الظُّلَمِ.

وَصَلَاةً وَسَلَامًا عَلَى مَنْ حَقِيقَتُهُ عُنْصُرُ جَمِيعِ الْحَقَائِقِ، وَقَلْبُهُ الشَّرِيفُ مَعْدِنٌ لِجَمِيعِ الأَسْرَارِ وَالدَّقَائِقِ[1]، مَنْ أَرْسَلَهُ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ لَهُ الْمِنَّةَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ؛ لَاسِيَّمَا الْمُسْلِمِينَ؛ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ الْمَوْصُوفِ بِكُلِّ كَمَالٍ، الْمُنَزَّهِ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ نَظِيرٌ فِي الْبَرِيَّةِ أَوْ مِثَالٌ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، [وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ

(١) رحم الله المؤلف فقد أجاد في صدر مقدمته، غير أنه هنا ينبغي أن نتذكر حديث النبي ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبدالله ورسوله» البخاري (٣٤٤٥)، ولا يخفى على القارىء ما في عبارة المؤلف من غلوّ.

تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ عَلَى الدَّوَامِ][1].

وَبَعْدُ:

فَيَقُولُ الْوَاثِقُ بِمَوْلَاهُ الْعَلِيِّ؛ **أَحْمَدُ الدَّمَنْهُورِيُّ الْحَنَفِيُّ الْمَالِكِيُّ الشَّافِعِيُّ الْحَنْبَلِيُّ**-: هَذَا مَا اشْتَدَّتْ حَاجَةُ الطَّالِبِينَ إِلَيْهِ؛ مِنْ مَنَاقِبِ **الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ** مِمَّا هُوَ مُعَوَّلٌ عَلَيْهِ؛ لِيُحِيطَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَنَاقِبِ إِمَامِهِ؛ فَيَصِيرَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ عُلُوِّ شَأْنِهِ وَرَفِيعِ مَقَامِهِ. لَخَّصْتُهُ مِنْ رِسَالَةِ الشَّيْخِ مَرْعِيٍّ الْحَنْبَلِيِّ؛ لِأَنَّهَا أَجَلُّ مَا أُلِّفَ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ؛ مُسَمِّيًا لَهُ بِـ «**إِتْحَافُ الْمُهْتَدِينَ بِمَنَاقِبِ أَئِمَّةِ الدِّينِ**»؛ مُرَتِّبًا لَهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ، وَأَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ، وَخَاتِمَةٍ؛ وَهِيَ آخِرُ مَا ذُكِرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ.

فَالْمُقَدِّمَةُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، **وَالْأَبْوَابُ** فِي مَنَاقِبِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَئِمَّةِ، **وَالْخَاتِمَةُ** فِي مَسَائِلَ لَهَا تَعَلُّقٌ بِذَلِكَ؛ رَاجِيًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَسْلُكَ بِنَا أَحْسَنَ الْمَسَالِكِ.



(١) ما بين معكوفتين ساقطٌ من (ص).



[ذِكْرُ بَعْضِ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ]

اِعْلَمْ أَنَّ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ جَمْعٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصِي عِدَّتَهُمْ إِلَّا الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ.

أَمَّا الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ؛ فَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدُونَ بِنَصِّ سَيِّدِ[1] الْمُرْسَلِينَ، وَيَكْفِي فِي الاقْتِدَاءِ بِهِمْ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ**»[2].

---

(١) في (ر): (سيدي).

(٢) موضوع، والحديث من طريق سلام بن سليم قال: حدثنا الحارث بن غصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعًا به؛ رواه ابن عبد البر في «جامع العلم» (٩١/٢)، وقال: «هذا إسناد لا تقوم به حجّة؛ لأنّ الحارث بن غصين مجهول». ورواه ابن حزم في «الإحكام» (٨٢/٦)، وقال: «هذه رواية ساقطة، أبو سفيان ضعيف، والحارث بن غصين هذا هو أبو وهب الثقفي، وسلام بن سليمان يروي الأحاديث الموضوعة، وهذا منها بلا شكّ»، ينظر: «السلسلة الضعيفة»؛ للألباني (١/ ١٤٤).

وَقَدْ تُوُفِّيَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَحْوِ مِائَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا.

وَأَمَّا التَّابِعُونَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى عَصْرِ الثَّلَاثِمِائَةِ؛ فَغَالِبُ الْفُقَهَاءِ مِنْهُمْ مُجْتَهِدُونَ.

فَمِنْهُمْ **عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ**. رَوَى عَنْ أَبِيهِ، وَأُمِّهِ أَسْمَاءَ، وَخَالَتِهِ عَائِشَةَ، وَخَلَائِقَ. وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ[1].

وَمِنْهُمُ **ابْنُ الْمُنْذِرِ؛ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ الْمَدَنِيُّ**. رَوَى عَنْ جَابِرٍ وَعَلْقَمَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَآخَرِينَ. تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ أَوْ عِشْرِينَ أَوْ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ[2].

وَمِنْهُمْ **عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ اللهِ النَّخَعِيُّ الْكُوفِيُّ**، وُلِدَ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَوَى عَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ. تُوُفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ، وَعَاشَ تِسْعِينَ سَنَةً[3].

وَمِنْهُمُ **[النَّخَعِيُّ إِبْرَاهِيمُ]**[4] **بْنُ يَزِيدَ بْنِ قَيْسِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَمْرِو**

---

(١) ينظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (١/ ٥٠)، «تهذيب التهذيب» لابن حجر (٧/ ١٦٣).

(٢) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٩٣)، «تهذيب التهذيب» (٩/ ٦).

(٣) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٣٩)، «تهذيب التهذيب» (٧/ ٢٤٤).

(٤) في (ص): (إبراهيم النخعي).

ابْنِ رَبِيعَةَ الْكُوفِيُّ. تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ، وَعَاشَ تِسْعًا وَأَرْبَعِينَ، وَقِيلَ أَكْثَرُ(١).

وَمِنْهُمْ **سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ الْقُرَشِيُّ الْمَدَنِيُّ**. رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَغَيرِهِ. وُلِدَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ، أَوْ سَبْعَ عَشْرَةَ، أَوْ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ(٢).

وَمِنْهُمْ **سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ أَبُو**(٣) **عَبْدِ اللهِ الْكُوفِيُّ**. سَمِعَ مِنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ وَغَيْرِهِ. تُوُفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ(٤).

وَمِنْهُمْ **قَتَادَةُ السَّدُوسِيُّ الْبَصْرِيُّ**، وَكَانَ أَكْمَهَ. رَوَى عَنْ أَنَسٍ وَغَيْرِهِ. وُلِدَ سَنَةَ سِتِّينَ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ أَوْ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ(٥).

وَمِنْهُمُ **ابْنُ سِيرِينَ؛ مُحَمَّدُ الْبَصْرِيُّ** مَوْلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ. رَوَى عَنْ زَيْدِ ابْنِ ثَابِتٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ آيَةً فِي التَّعْبِيرِ؛ رَأَى كَأَنَّ الْجَوْزَاءَ(٦)

---

(١) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٥٩)، «تهذيب التهذيب»(١/ ١٥٥).

(٢) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٤٤)، «تهذيب التهذيب» (٤/ ٧٤).

(٣) في (ر): (أبوا)، وهكذا في مواضع كثيرة، ولذا اكتفيتُ بالإشارة إليه هنا فقط.

(٤) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٥١)، «تهذيب التهذيب» (٤/ ٩٩).

(٥) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٩٢)، «تهذيب التهذيب» (٨/ ٣١٥).

(٦) في (ر): (الجوزي).

تَقَدَّمَتِ الثُّرَيَّا؛ فَأَخَذَ فِي وَصِيَّتِهِ، وَقَالَ: «يَمُوتُ الْحَسَنُ وَأَمُوتُ بَعْدَهُ هُوَ أَشْرَفُ مِنِّي»؛ فَكَانَ كَذَلِكَ. مَاتَا فِي سَنَةِ عَشْرٍ وَمِائَةٍ؛ مَاتَ الْحَسَنُ أَوَّلَ رَجَبٍ، وَابْنُ سِيرِينَ تَاسِعَ شَوَّالٍ(١).

وَمِنْهُمُ **الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ**؛ أَبُوهُ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأُمُّهُ مَوْلَاةُ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. وُلِدَ زَمَنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَحَنَّكَهُ عُمَرُ بِيَدِهِ.

وَتَقَدَّمَتْ وَفَاتُهُ(٢).

وَمِنْهُمْ **أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ الْمَدَنِيُّ**؛ اسْمُهُ: عَبْدُ اللهِ، وَقِيلَ: إِسْمَاعِيلُ، وَقِيلَ: مَالِكٌ. رَوَى عَنْ أَبِيهِ، وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَغَيْرِهِمَا. تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ، وَقِيلَ دُونَ ذَلِكَ(٣).

وَمِنْهُمُ **ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ؛ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الْقُرَشِيُّ الْمَدَنِيُّ**. رَوَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَغَيْرِهِمَا. وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ، وَقِيلَ أَكْثَرُ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ، أَوْ أَرْبَعٍ، أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ(٤).

---

(١) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٦٢)، «تهذيب التهذيب» (٩/ ١٩٠).

(٢) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٥٧)، «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٣١).

(٣) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٥٠)، «تهذيب التهذيب» (١٢/ ١٠٣).

(٤) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٨٣)، «تهذيب التهذيب» (٩/ ٣٩٥).

وَمِنْهُمُ **ابْنُ الْمُنْكَدِرِ؛ مُحَمَّدُ الْقُرَشِيُّ الْمَدَنِيُّ**. رَوَى عَنْ جَابِرٍ، وَعَائِشَةَ، وَأَنَسٍ فِي آخَرِينَ. تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ(١).

وَمِنْهُمُ **الْأَوْزَاعِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو**. والْأَوْزَاعُ: بَطْنٌ مِنْ هَمَذَانَ، وَقَرْيَةٌ بِقُرْبِ دِمَشْقَ.

حَدَّثَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ(٢)، وَخَلَائِقَ.

مَاتَ بِبَيْرُوتَ(٣) مُرَابِطًا سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمَائَةٍ(٤).

وَمِنْهُمْ **زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ الْمَدَنِيُّ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**؛ يُكْنَى أَبَا أُسَامَةَ. رَوَى عَنْ أَبِيهِ، وَابْنِ عُمَرَ، وَجَابِرٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَخَلْقٍ. تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ(٥).

وَمِنْهُمُ **الْأَعْرَجُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هُرْمُزَ الْمَدَنِيُّ**. رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ وَمُعَاوِيَةَ فِي آخَرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ. تُوُفِّيَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ(٦).

---

(١) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٩٥)، «تهذيب التهذيب» (٩/ ٤١٧).

(٢) في (ص): (عطاء بن باح).

(٣) في (ر): (يسيرون).

(٤) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٣٤)، «تهذيب التهذيب» (٦/ ٢١٦).

(٥) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٩٩)، «تهذيب التهذيب» (٣/ ٣٤١).

(٦) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٧٥)، «تهذيب التهذيب» (٦/ ٢٦٠).

وَمِنْهُمْ **نَافِعٌ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ** مِنَ الْمَغْرِبِ، وَقِيلَ مِنْ نَيْسَابُورَ، وَقِيلَ مِنْ سَبْيِ كَابُلَ. رَوَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمَا. تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ، أَوْ تِسْعَ عَشْرَةَ، أَوْ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ(١).

وَمِنْهُمْ **عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ**، وَكَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا. سَمِعَ مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(٢)، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْرِهِمَا.

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: «خَزَائِنُ الْعِلْمِ؛ لَا يُقِيمُهَا(٣) اللهُ تَعَالَى إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، وَلَوْ كَانَ يُخَصُّ بِالْعِلْمِ أَحَدٌ لَكَانَ أَهْلُ النَّسَبِ أَوْلَى؛ فَكَانَ عَطَاءٌ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ نُوبِيًّا، وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مَوْلًى، وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ مَوْلَى الأَنْصَارِ»(٤).انتهى.

حَجَّ عَطَاءٌ سَبْعِينَ حَجَّةً،وَعَاشَ مِائَةَ سَنَةٍ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ بِمَكَّةَ(٥).

وَمِنْهُمُ **الْأَعْمَشُ سُلَيْمَانُ بْنُ مِهْرَانَ الْكُوفِيُّ**. رَأَى أَنَسًا، وَرَوَى عَنْ

---

(١) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٧٦)، «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٣٦٨).

(٢) في (ص): (سمع ابن عباس)؛ هكذا بدون(من).

(٣) في (ر): (لا يقسمها).

(٤) ينظر: «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٣٩٣)، «المعرفة والتاريخ» (١/ ٧٠١).

(٥) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٧٥)، «تهذيب التهذيب» (٧/ ١٧٩).

عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى وَغَيْرِهِ.

قَالَ عِيسَى بْنُ يُونُسَ: «لَمْ نَرَ نَحْنُ وَلَا الْقَرْنُ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَنَا مِثْلَ الْأَعْمَشِ، وَمَا رَأَيْتُ الْأَغْنِيَاءَ وَالسَّلَاطِينَ عِنْدَ أَحَدٍ أَحْقَرَ مِنْهُمْ عِنْدَ الْأَعْمَشِ؛ مَعَ فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ»(١).

مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً(٢).

وَمِنْهُمْ **مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ الْأَزْدِيُّ**. رَوَى عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، وَعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، وَغَيْرِهِمَا. مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ(٣).

وَمِنْهُمُ **ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ؛ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ الْمَدَنِيُّ**. يُكْنَى أَبَا الْحَارِثِ.

رَوَى عَنْ خَالِهِ الْحَارِثِ الْقُرَشِيِّ، وَنَافِعٍ، وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ قَوَّامًا بِالْحَقِّ عِنْدَ السَّلَاطِينِ، وَلَمَّا حَجَّ أَبُو جَعْفَرٍ دَعَاهُ بِدَارِ النَّدْوَةِ؛ فَقَالَ لَهُ: «مَا تَقُولُ فِيَّ (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا)؛ فَقَالَ: وَرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ(٤) إِنَّكَ لَجَائِرٌ».

وَلَمَّا حَجَّ الْمَهْدِيُّ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ؛ فَقَامَ لَهُ النَّاسُ إِلَّا ابْنَ

---

(١) ينظر: «تاريخ بغداد» للخطيب (٨/٩).

(٢) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١١٦/١)، «تهذيب التهذيب» (١٩٥/٤).

(٣) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١٤٢/١)، «تهذيب التهذيب» (٢١٨/١٠).

(٤) أي: الكعبة. «لسان العرب» (٨٩/١٤).

أَبِي ذِئْبٍ؛ فَقَالَ لَهُ الْمُسَيِّبُ بْنُ زُهَيْرٍ: قُمْ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَقَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: إِنَّمَا يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَقَالَ الْمَهْدِيُّ: دَعْهُ؛ فَلَقَدْ قَامَ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِي.

وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانِينَ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ أَوْ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ[1].

وَمِنْهُمْ **سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ الْمَكِّيُّ؛ مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُزَاحِمٍ**. رَوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ وَالزُّهْرِيِّ وَغَيْرِهِمَا. حَفِظَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ، وَكَتَبَ الْحَدِيثَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ. مَاتَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ[2].

وَمِنْهُمُ **اللَّيْثُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمِصْرِيُّ**. يُكْنَى أَبَا الْحَارِثِ. رَوَى عَنْ نَافِعٍ، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَخَلَائِقَ.

قَالَ ابْنُهُ شُعَيْبٌ: «حَجَجْتُ مَعَ أَبِي؛ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَالِكٌ بِطَبَقِ رُطَبٍ؛ فَجَعَلَ عَلَى الطَّبَقِ أَلْفَ دِينَارٍ وَرَدَّهُ إِلَيْهِ. وَكَانَ أَبِي يَسْتَغِلُّ فِي السَّنَةِ مَا بَيْنَ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، تَأْتِي عَلَيْهِ

---

(١) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/١٤٣)، «تهذيب التهذيب» (٩/٢٧٠)، والقِصَّتان في أبي جعفر والمهدي في «التذكرة» دون «التهذيب».

(٢) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/١٩٣)، «تهذيب التهذيب» (٤/١٠٤).

السَّنَةُ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ».

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ: كَانَ دَخْلُهُ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ؛ مَا وَجَبَتْ عَلَيْهِ زَكَاةٌ؛ حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ أَنْشَدَ عِنْدَ مَوْتِهِ؛ فقال[1]:

بَذَرْتُ الْمَالَ فِي أَرْضِ الْعَطَايَا * فَأَصْبَحَتِ الْمَكَارِمُ مِنْ حَصَادِي
وَمَا وَجَبَتْ عَلَيَّ زَكَاةُ مَالٍ * وَهَلْ تَجِبُ الزَّكَاةُ عَلَى الجوادِ[2]؟!

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ[3].

وَمِنْهُمْ **يَحْيَى الْقَطَّانُ الْبَصْرِيُّ**. رَوَى عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الأَنْصَارِيِّ، وَخَلَائِقَ. وُلِدَ سَنَةَ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ[4].

وَمِنْهُمْ **عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ**. رَوَى عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، وَسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، وَغَيْرِهِمَا. وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ، وَمَاتَ مُنْصَرِفًا مِنَ الْغَزْوِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ[5].

---

(١) (فقال): ساقطة من (ر).

(٢) في جميع النسخ: (الجوادي)، ولعل الصواب ما أثبتُّه.

(٣) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٦٤)، «تهذيب التهذيب» (٨/ ٤١٢).

(٤) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢١٨)، «تهذيب التهذيب» (١١/ ١٩٠).

(٥) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٠١)، «تهذيب التهذيب» (٥/ ٣٣٤).

وَمِنْهُمْ **يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ الْغَطَفَانِيُّ الْبَغْدَادِيُّ**.

رَوَى عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَغَيْرِهِمَا. وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ؛ دَخَلَهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَمَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ؛ فَأُخْرِجَتْ لَهُ الْأَعْوَادُ الَّتِي غُسِّلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنُودِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ هَذَا الَّذِي كَانَ يَنْفِي الْكَذِبَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ هَارُونُ بْنُ بَشِيرٍ الرَّازِيُّ: «رَأَيْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ رَافِعًا يَدَيْهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَكَلَّمْتُ فِي رَجُلٍ لَيْسَ هُوَ عِنْدِي كَذَّابًا؛ فَلَا تَغْفِرْ لِي»[(١)].

وَخَلَّفَ لَهُ وَالِدُهُ مَعِينٌ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ؛ فَأَنْفَقَهَا كُلَّهَا فِي الْحَدِيثِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ نَعْلٌ يَلْبَسُهَا[(٢)].

وَمِنْهُمْ **يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ الْوَاسِطِيُّ**. رَوَى عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ وَحَمِيدٍ، وَغَيْرِهِمَا. مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ[(٣)].

وَمِنْهُمْ **عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الْحِمْيَرِيُّ الصَّنْعَانِيُّ**. يُكْنَى أَبَا بَكْرٍ. وُلِدَ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٩٢).

(٢) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٤)، «تهذيب التهذيب» (١١/ ٢٤٦).

(٣) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٣١)، «تهذيب التهذيب» (١١/ ٣٢١).

عَامَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى عَشَرَةَ وَمِائَتَيْنِ[١].

وَمِنْهُمُ **الْبُخَارِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ**؛ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ؛ مُؤَلِّفُ «الصَّحِيحِ»[٢]. رَوَى عَنْ مَكِّيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَبِي عَاصِمٍ الضَّحَّاكِ، وَخَلَائِقَ.

وَجَرَتْ لَهُ مِحْنَةٌ مَعَ خَالِدِ بْنِ أَحْمَدَ؛ وَالِي بُخَارَى؛ فَنَفَاهُ مِنَ الْبَلَدِ، فَجَاءَ إِلَى (خَرْتَنَكْ)[٣] قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى سَمَرْقَنْد[٤]؛ فَنَزَلَ عَلَى أَقَارِبَ لَهُ بِهَا.

قَالَ عَبْدُ الْقُدُّوسِ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ: «سَمِعْتُهُ لَيْلَةً؛ وَقَدْ فَرَغَ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ يَدْعُو وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ؛ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ؛ فَمَا تَمَّ الشَّهْرُ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ»[٥]، فَتُوُفِّيَ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ

---

(١) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (١/٢٦٦)، «تهذيب التهذيب» (٦/٢٧٨).

(٢) واسم كتابه كاملاً: «الجامعُ المسنَدُ الصّحيح المختصر مِن أمورِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسُنَنِهِ، وَأَيَّامِهِ».

(٣) (خرتنك): ساقطة من (ر)؛ ويُنظر في قصة نفيه: «تاريخ بغداد» للخطيب (٢/٣٤)، المزي؛ «تهذيب الكمال» (٢٤/٤٦٦).

(٤) مدينةٌ كبيرةٌ في (ما وراء النهر)، كانت عاصمة (تيمورلنك)، وهي عاصمةُ جمهورية (أوزبكستان) اليوم. ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢/٤٦٦).

(٥) ينظر: «تهذيب الكمال» (٢٤/٤٦٦).

سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَوُلِدَ فِي ثَالِثَ عَشَرَ شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ، وَمَنَاقِبُهُ مَشْهُورَةٌ[1].

وَمِنْهُمْ **مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ**؛ مُصَنِّفُ «الصَّحِيحِ».

رَوَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيِّ، وَعَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ، وَخَلَائِقَ.

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ، وَتُوُفِّيَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ (بِنَيْسَابُورَ)[2].

قَالَ فِي «الْأَصْلِ» بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَنْ تَقَدَّمَ بِأَوْصَافِهِمْ وَمَنَاقِبِهِمْ: «وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَالْمُجْتَهِدُونَ كَثِيرٌ»[3].

فَمِنْ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ الْمَشْهُورَةِ غَيْرِ مَا ذَكَرْنَا سَابِقًا: عَطَاءٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَدَاوُودُ الظَّاهِرِيُّ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَالشَّعْبِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَابْنُ الْمَدِينِيِّ[4]، وَشُعْبَةُ، وَطَاوُوسٌ،

---

(١) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٠٤)، «تهذيب التهذيب» (٩/ ٤١).

(٢) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٢٥)، «تهذيب التهذيب» (١٠/ ١١٣).

(٣) «تنوير بصائر المقلِّدين بمناقب أئمّة الدِّين»؛ لمرعي الكرمي (٤٧-٤٨).

(٤) في (ر): (ابن المدني).

وَوَكِيعٌ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي لَيْلَى، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَمَكْحُولٌ الدِّمَشْقِيُّ.

وَقَدْ أَضْرَبْنَا عَنْ ذِكْرِ مَنَاقِبِهِمْ خَوْفَ الْإِطَالَةِ، وَاكْتِفَاءً بِشُهْرَتِهِمْ.

قَالَ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ: «اِعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ أَبَا حَنِيفَةَ وَالسُّفْيَانَيْنِ: (الثَّوْرِيَّ، وَابْنَ عُيَيْنَةَ)، وَمَالِكًا، وَالشَّافِعِيَّ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، وَإِسْحَاقَ، وَالْأَوْزَاعِيَّ وَأَبَا ثَوْرٍ؛ الَّذِي كَانَ يُفْتِي الْجُنَيْدُ بِمَذْهَبِهِ، وَدَاوُدَ الظَّاهِرِيَّ، وَهَؤُلَاءِ الْمُجْتَهِدُونَ عَلَى هَدْيٍ مِنْ رَبِّهِمْ فِي الْعَقَائِدِ وَغَيْرِهَا، وَكَانَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ أَتْبَاعٌ إِلَى خُرُوجِ (هُلَاكُو) مَلِكِ التَّتَارِ، وَقَتْلِ الْخَلِيفَةِ بِبَغْدَادَ، وَجَعْلِ كُتُبِ الْأَئِمَّةِ فِي الدَّجْلَةِ حَتَّى صَارَتْ كَالْجِسْرِ تَمُرُّ عَلَيْهَا الْخَيْلُ؛ فَعُدِمَتِ الْكُتُبُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْأَئِمَّةِ؛ فَاسْتَقَرَّ الْحَالُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مَذَاهِبَ الْآنَ»[1]. انْتَهَى، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ. انْتَهَى.

---

(١) لم أقف على نفس اللفظ، وإنما هو بمعناه في «شرح الكوكب الساطع» عند قولِهِ في النّظم (٢/٥٧٣):

«والشافعي ومالك والحنظلي ** إسحاق والنعمان وابن حنبل

وابـن عيينـة مـع الثـوريِّ ** وابـن جريـر معَ الأوزاعـيِّ

والظّـاهِري، وسـائر الأئمّـهْ ** على هدًى من ربِّهم ورحمه»

إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ؛ فَلْنَذْكُرْ[1] بَعْضَ مَنَاقِبِ كُلٍّ مِنْهُمْ عَلَى حَسَبِ تَرْتِيبِهِمْ فِي الوُجُودِ فِي أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ.

❁ ❁ ❁

(١) في (ر): (فالنذكر).



البَابُ الأَوَّلُ

فِــــي

مَنَاقِبِ أَبِي حَنِيفَةَ

[رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]



[فَصْلٌ فِي اسْمِهِ وَنَشْأَتِهِ]

وَهُوَ[1] الْإِمَامُ، الْعَلَمُ[2]، الْحُجَّةُ، الْبَارِعُ، الْوَرِعُ؛ الَّذِي أَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ عَلَى كَثْرَةِ عِلْمِهِ، وَوَرَعِهِ، وَعِبَادَتِهِ، وَدِقَّةِ مَدَارِكِهِ، وَاسْتِنْبَاطَاتِ أَدِلَّتِهِ.

أَبُو حَنِيفَةَ؛ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ زُوطَى بْنِ مَاه، وَكَانَ زُوطَى مَمْلُوكًا لِبَنِي تَيْمِ اللهِ؛ فَأَسْلَمَ؛ فَأُعْتِقَ؛ فَوَلَاؤُهُ لِبَنِي تَيْمِ[3] اللهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ.

---

(١) تنظر ترجمته في: «أخبار أبي حنيفة» للصيمري، «تاريخ بغداد» للخطيب (٣٢٣/١٣)، «سير أعلام النبلاء» (٣٩٠/٦)، «طبقات خليفة» (١٦٧-٣٢٧)، «تاريخ البخاري» (٨١/٨)، «التاريخ الصغير» (٤٣/٢)، «الكامل في التاريخ» (٥٤٩/٥،٥٨٥)، «وفيات الأعيان» (٤١٥/٥-٤٢٣)، «تذكرة الحفاظ» (١٦٨/١)، «ميزان الاعتدال» (٢٦٥/٤)، «العبر» (٣١٤/١)، «البداية والنهاية» (١٠٧/١٠)، «تهذيب التهذيب» (٤٤٩/١٠-٤٥٢)، «النجوم الزاهرة» (١٢/٢)، «الجواهر المضيئة» (٢٦/١-٣٢).

(٢) في (ص): (العالم).

(٣) في (ر): (تيّم) بالتشديد.

وَوُلِدَ ثَابِتٌ عَلَى الْإِسْلَامِ.

وَقِيلَ: هُوَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ[1]؛ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ الْأَحْرَارِ، وَذَهَبَ ثَابِتٌ وَهُوَ صَغِيرٌ[2] إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِي ذُرِّيَّتِهِ؛ فَكَانَ ذَا دِينٍ وَعَقْلٍ وَمُرُوءَةٍ، وَانْتَقَلَ فِي فِتْنَةِ الْأَنْبَارِ إِلَى (نَسَا).

وَوُلِدَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ثَمَانِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ؛ فَعَاشَ سَبْعِينَ سَنَةً، وَتُوُفِّيَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ، وَكَانَ رَبْعَةً مِنَ الرِّجَالِ؛ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صُورَةً، وَأَبْلَغِهِمْ مَنْطِقًا.

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ طُوَالاً تَعْلُوهُ سُمْرَةٌ، حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ اللِّحْيَةِ، حَسَنَ الثِّيَابِ، طَيِّبَ الرِّيحِ، هَيُوبًا؛ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا جَوَابًا، وَلَا يَخُوضُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي عَصْرِ الصَّحَابَةِ؛ فَهُوَ مِنَ التَّابِعِينَ عَلَى

---

(١) المرزبان: لفظٌ فارسيٌّ؛ معناه: صاحب الحدّ، لأنّ (مرز) معناه: (حدّ)، و(بان) بمعنى: (صاحب)، وهو في الأصل لقب لمن هُوَ دون الملك (الوزير). «إتحاف النبلاء ببيان تسمية العلماء» (ص ١٤)، قال في «تاج العروس» (١٦٧/٣٦): «المَرْزُبانُ، بضمِّ الزَّاي: الفارِسُ الشُّجاعُ المُقَدَّمُ على القَوْمِ؛ دُونَ المَلِكِ، مُعَرَّبٌ».

(٢) في (ص): (صغيرًا) بالنصب؛ وهو خطأ.

الصَّحِيحِ؛ لِأَنَّهُ حِينَ[1] وُلِدَ بِالْكُوفَةِ كَانَ بِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى.

قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ: إِنَّهُ رَأَى أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَهُوَ صَغِيرٌ[2].

وَأَدْرَكَ بِالسِّنِّ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ فِي بُلْدَانٍ شَتَّى حَالَ صِغَرِهِ، وَلَمْ يَرْوِ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ؛ بَلْ تَفَقَّهَ عَلَى التَّابِعِينَ، وَرَوَى عَنْهُمْ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ؛ فَانْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّيَاسَةُ، وَارْتَحَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَقَصَدُوهُ مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِصْدَاقَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ»[3]، فَهَذَا أَصْلٌ صَحِيحٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْبِشَارَةِ وَالْفَضِيلَةِ؛ نَظِيرَ الْحَدِيثَيْنِ اللَّذَيْنِ فِي الْإِمَامَيْنِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ[4].

---

(١) في (أ): «حينئذ» والمثبت من عندي.

(٢) ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٩١)، وذكر الموفق بن أحمد المكي في «مناقب أبي حنيفة» (١/ ٢٧) بسنده عن أبي حنيفة أنّه قال: «رأيتُ أنسَ بن مالك في المسجد قائمًا يصلِّي».

(٣) رواهُ التّرمذيُّ بهذا اللَّفْظ (ح ٣١٨٤)، وهو بلفظ آخر في: البخاري (ح ٤٨٩٧) ومسلم (ح ٢٥٤٦).

(٤) سيأتي ذكرهما.

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي فَضْلِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ؛ فَكَذِبٌ مَوْضُوعٌ، وَهُوَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ غَنِيٌّ عَنْ هَذِهِ الْأَكَاذِيبِ؛ لِمَا مَنَحَهُ مَوْلَاهُ مِنَ السِّرِّ الْعَجِيبِ.

وَأَمَّا مَنْ رَوَى عَنْهُ أَبُو حَنِيفَةَ؛ فَخَلْقٌ كَثِيرٌ.

قَالَ أَبُو الْمُؤَيِّدِ[1] الْخَوَارِزْمِيُّ: «أَمَرَ الْإِمَامُ أَبُو حَفْصٍ الْكَبِيرُ بِعَدِّ مَشَايِخِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ فَبَلَغُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ»[2].

وَأَمَّا مَنْ رَوَى عَنْهُ؛ فَقَدْ عَدَّ صَاحِبُ «عُقُودِ الْجُمَانِ» نَحْوَ الثَّمَانِمِائَةِ[3].

وَأَمَّا ثَنَاءُ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ؛ فَرَوَى الْخَطِيبُ عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ قَالَ: «قِيلَ لِلْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: هَلْ رَأَيْتَ أَبَا حَنِيفَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ رَأَيْتُ رَجُلاً لَوْ كَلَّمَكَ فِي هَذِهِ السَّارِيَةِ أَنْ يَجْعَلَهَا ذَهَبًا؛ لَقَامَ بِحُجَّتِهِ»[4].

وَرَوَى عَنْهُ أَيْضًا: «النَّاسُ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ فِي الْفِقْهِ»[5].

---

(١) في (ص): (أبو الوليد).

(٢) «عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان» للصالحي (ص٨٦) رسالة علميّة، «تنوير بصائر المقلدين» (ص٥٦) .

(٣) ص (٨٦) وما بعدها.

(٤) «تاريخ بغداد» (١٣/٣٣٧).

(٥) «تاريخ بغداد» (١٣/٣٤٦)، «تهذيب الكمال» (٢٩/٤٣٣).

وَرَوَى عَنْهُ أَيْضًا: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْقَهَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ»[1].

وَرَوَى الْقَاضِي الصَّيْمَرِيُّ[2] عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ مَالِكِ ابْنِ أَنَسٍ؛ فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَرَفَعَهُ؛ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ الْعِرَاقِي؛ لَوْ قَالَ هَذِهِ الْأُسْطُوَانَةُ[3] مِنْ ذَهَبٍ لَخَرَجَتْ كَمَا قَالَ، لَقَدْ وُفِّقَ لَهُ الْفِقْهُ حَتَّى مَا عَلَيْهِ فِيهِ كَبِيرُ مُؤْنَةٍ»[4].

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ كَأْسٍ: «حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: لَمْ يَصِحَّ عِنْدَنَا أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ فَقُلْتُ: الْحَمْدُ للهِ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ هُوَ مَنَ الْعِلْمِ بِمَنْزِلَةٍ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! هُوَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ وَإِيثَارِ الدَّارِ الْآخِرَةِ بِمَحَلٍّ لَا يُدْرِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ»[5].

وَلَقَدْ ضُرِبَ بِالسِّيَاطِ عَلَى أَنْ يَلِيَ الْقَضَاءَ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ؛ فَلَمْ يَفْعَلْ؛ فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ.

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٣/٣٤٦).

(٢) في (ص): (الصميري).

(٣) في (ص): (الأصطوانة).

(٤) «أخبار أبي حنيفة» (ص ٨١).

(٥) روى الخطيب في «تاريخه» (١٣/ ٣٨٣) القصة إلى قوله: «مخلوق».

وَرَوَى أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَارِثِيُّ عَنِ الإِمَامِ زُفَرَ قَالَ: «جَالَسْتُ أَبَا حَنِيفَةَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَمْ أَرَ أَحَدًا أَنْصَحَ لِلنَّاسِ مِنْهُ، وَلَا أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ[1] مِنْهُ. أَمَّا عَامَّةُ النَّهَارِ فَهُوَ مُشْتَغِلٌ فِي الْعِلْمِ وَفِي الْمَسَائِلِ وَتَعْلِيمِهَا، وَفِيمَا يُسْأَلُ مِنَ النَّوَازِلِ وَجَوَابَاتِهَا، وَإِذَا قَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ شَيَّعَ جَنَازَةً، أَوْ وَاسَى فَقِيرًا، أَوْ وَصَلَ أَخًا، أَوْ سَعَى فِي حَاجَةٍ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ خَلَا لِلْعِبَادَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ فَكَانَ هَذَا سَبِيلَهُ حَتَّى تُوُفِّيَ»[2].

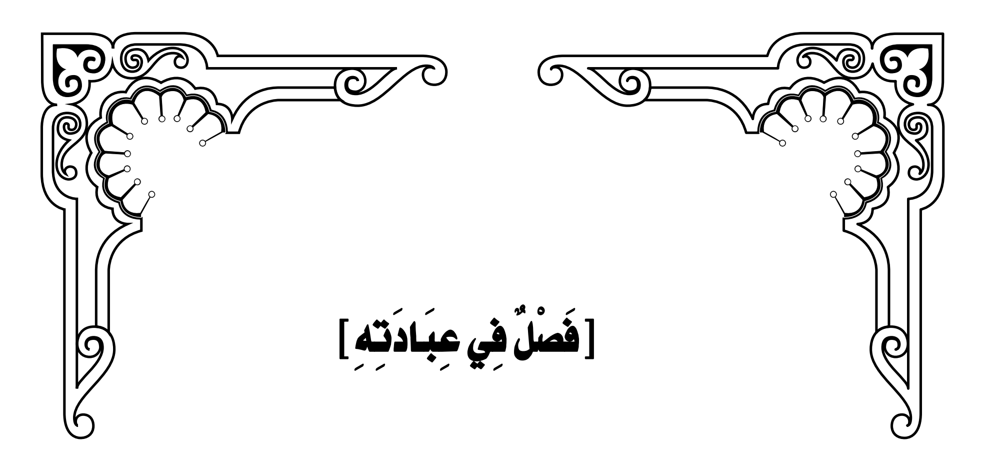
وَرَوَى الْخَوَارِزْمِيُّ عَنِ الْمُعَافَى بْنِ عِمْرَانَ الْمُوصِلِّيِّ قَالَ: «كَانَ فِي أَبِي حَنِيفَةَ عَشْرُ خِصَالٍ؛ مَا كَانَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهَا فِي أَحَدٍ (إِلَّا صَارَ)[3] رَئِيسًا فِي قَوْمِهِ، وَسَادَ قَبِيلَتَهُ: الْوَرَعُ، وَالصَّلَاةُ، وَالْفِقْهُ، وَمُدَارَاةُ النَّاسِ، وَالْمُرُوءَةُ الصَّادِقَةُ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى مَا يَنْفَعُ، وَطُولُ الصَّمْتِ، وَالْإِصَابَةُ بِالْقَوْلِ، وَمَعُونَةُ اللَّهْفَانِ؛ عَدُوًّا كَانَ أَوْ وَلِيًّا».



(١) في (ص): (عليه).

(٢) «مناقب أبي حنيفة» للمكي (ص٤١٠).

(٣) في (ص): (الإعصار) وهو تصحيف.



[فَصْلٌ فِي عِبَادَتِهِ]

وَأَمَّا عِبَادَتُهُ، وَكَثْرَةُ صَلَاتِهِ؛ فَرُوِيَ عَنْ أَسَدِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: «صَلَّى أَبُو حَنِيفَةَ فِيمَا حُفِظَ عَلَيْهِ الْفَجْرَ بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ أَرْبَعِينَ سَنَةً؛ فَكَانَ عَامَّةَ اللَّيْلِ يَقْرَأُ جَمِيعَ الْقُرْآنِ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَ يُسْمَعُ بُكَاؤُهُ بِاللَّيْلِ حَتَّى يَرْحَمَهُ جِيرَانُهُ»(١).

وَلَمَّا حَجَّ الْحَجَّةَ الْأَخِيرَةَ دَخَلَ الْكَعْبَةَ، وَقَامَ بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ عَلَى رِجْلِهِ الْيُمْنَى وَاضِعًا فَوْقَهَا قَدَمَهُ الْيُسْرَى، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ إِلَى النِّصْفِ، وَرَكَعَ، وَسَجَد، ثُمَّ قَامَ عَلَى الْيُسْرَى، وَخَتَمَ الْقُرْآنَ؛ فَلَمَّا سَلَّمَ بَكَى، وَقَالَ: إِلَهِي مَا عَبَدَكَ هَذَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ حَقَّ عِبَادَتِكَ؛ لَكِنْ عَرَفَكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ؛ فَهَبْ نُقْصَانَ خِدْمَتِهِ لِكَمَالِ مَعْرِفَتِهِ؛ فَهَتَفَ هَاتِفٌ مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ يَقُولُ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ قَدْ عَرَفْتَ وَأَخْلَصْتَ الْمَعْرِفَةَ، وَخَدَمْتَ، وَأَحْسَنْتَ الْخِدْمَةَ؛

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٥٤).

وَقَدْ غَفَرْنَا لَكَ، وَلِمَنْ تَبِعَكَ، وَكَانَ عَلَى مَذْهَبِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ[1].

وَحُفِظَ عَلَيْهِ أَنَّهُ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ سَبْعَةَ آلَافِ مَرَّةً[2].

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ قَالَ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَتْمَةً حَتَّى إِذَا كَانَ شَهْرُ رَمَضَانَ خَتَمَ فِيهِ مَعْ لَيْلَةِ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الْفِطْرِ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ خَتْمَةً، وَكَانَ سَخِيًّا بِالْمَالِ، صَبُورًا عَلَى تَعْلِيمِ الْعِلْمِ، شَدِيدَ الاحْتِمَالِ لِمَا يُقَالُ فِيهِ، بَعِيدَ الْغَضَبِ، وَكَانَ أَصْحَابُنَا يَقُولُونَ: إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي الْغَدَاةَ عَلَى طُهْرِ أَوَّلِ اللَّيْلِ؛ شَهِدْتُهُ (اثْنَا عَشَرَ)[3] سَنَةً، وَكَانَ مَنْ صَحِبَهُ قَبْلَنَا يَقُولُونَ: إِنَّهُ صَلَّى الْغَدَاةَ بِوُضُوءِ أَوَّلِ اللَّيْلِ أَرْبَعِينَ سَنَةً»[4].

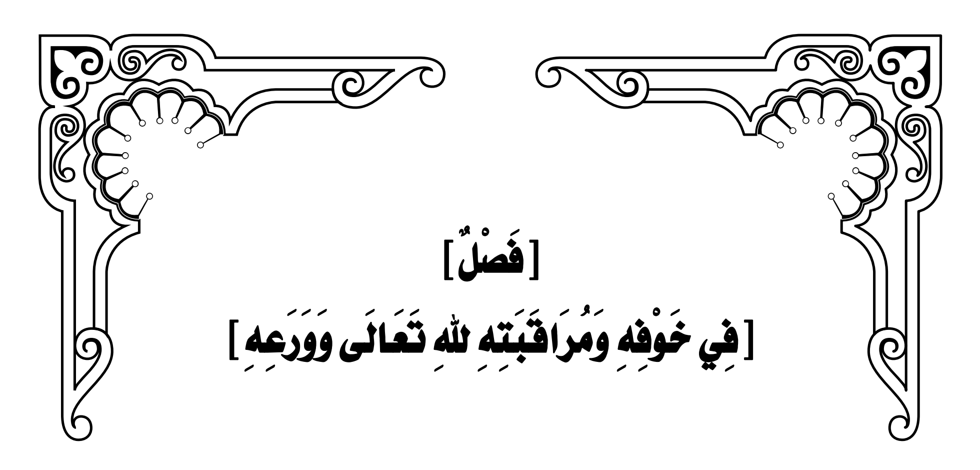


(١) «رد المحتار»؛ لابن عابدين (١/ ١٢٤)، ولم أجدْ أحدًا أسنَدَ هذه الرّواية، أو تكلم عليها، ولربَّما كانت من وضْعِ المتعصّبين لمذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله.

(٢) «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٥٤) من قول أسد بن عمر السّابق.

(٣) هكذا في النسخ جميعها، والصواب (اثنتي عشرة).

(٤) «لطائف المعارف» (ص ٢٤٦).



[فَصْلٌ]

[فِي خَوْفِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ للهِ تَعَالَى وورعه]

وَأَمَّا خَوْفُهُ وَمُرَاقَبَتُهُ للهِ تَعَالَى؛ فَرَوَى الصَّيْمَرِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامٍ قَالَ: «كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ رَأَيْتُ آثَارَ الْبُكَاءِ فِي عَيْنَيْهِ وَخَدَّيْهِ»(١). رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

وَرَوَى عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ: «لَوْ قِيلَ لِأَبِي حَنِيفَةَ: إِنَّكَ تَمُوتُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مَا كَانَ فِيهِ فَضْلُ شَيْءٍ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَهُ عَلَى عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ»(٢).

وَأَمَّا وَرَعُهُ؛ فَرَوَى الْخَطِيبُ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ(٣): «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَوْرَعَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ»(٤).

---

(١) «أخبار أبي حنيفة» (ص ٤٧).

(٢) «أخبار أبي حنيفة» (ص ٤٧).

(٣) في (ص): (وقال).

(٤) «تاريخ بغداد» (١٣/٣٥٩)، وروى عن غيره مثل قوله. وانظر: «تهذيب الأسماء» للنووي (ص ٧٩٩).

وَرَوَى الصَّيْمَرِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَفْصٍ قَالَ: «كَانَ حَفْصُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ شَرِيكَ أَبِي حَنِيفَةَ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو حَنِيفَةَ بِمَتَاعٍ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي ثَوْبِ كَذَا وَكَذَا عَيْبًا؛ فَإِذَا بِعْتَهُ فَبَيِّنْ؛ فَبَاعَ حَفْصٌ الْمَتَاعَ، وَنَسِيَ أَنْ يُبَيِّنَ، وَلَمْ يَعْلَمْ مِمَّنْ بَاعَهُ؛ فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو حَنِيفَةَ تَصَدَّقَ بِثَمَنِ الْمَتَاعِ كُلِّهِ»[1]، وَكَانَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَفَاصَلَ مِنْ شَرِيكِهِ.

وَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ فِي رِسَالَتِهِ الْمَشْهُورَةِ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ لَا يَجْلِسُ فِي ظِلِّ شَجَرَةِ غَرِيمِهِ، وَيَقُولُ: كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً؛ فَهُوَ رِبًا»[2].

وَمِنْ دَقِيقِ وَرَعِهِ: أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ لَمَّا مَنَعَهُ أَنْ يُفْتِيَ؛ سَأَلَتْهُ ابْنَتُهُ فِي اللَّيْلِ عَنِ الدَّمِ الْخَارِجِ مِنْ لَحْمِ الْإِنْسَانِ؛ هَلْ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ؟ فَقَالَ لَهَا: «سَلِي عَمَّكِ حَمَّادًا عَنْ ذَلِكَ بُكْرَةَ النَّهَارِ؛ فَإِنَّ إِمَامِي مَنَعَنِي الْفُتْيَا، وَلَمْ أَكُنْ مِمَّنْ يَخُونُ إِمَامَهُ بِالْغَيْبِ»[3].

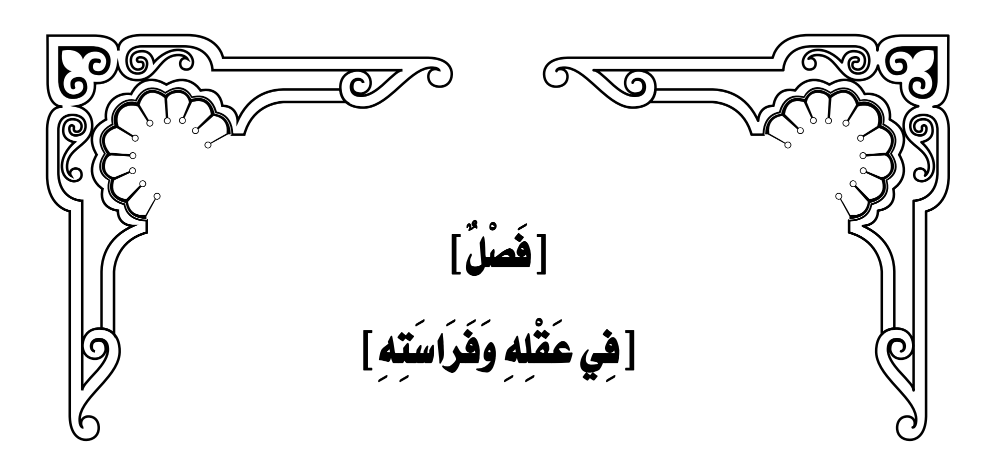


---

(١) «أخبار أبي حنيفة» (ص ٤٦)، وانظر: «تاريخ بغداد» (١٣/٣٥٨).

(٢) «الرِّسالة القشيرية» (١/ ٢٣٠).

(٣) «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» للغزي (١ / ١٣٩).



[فَصْلٌ]

[فِي عَقْلِهِ وَفِرَاسَتِهِ]

وَأَمَّا عَقْلُهُ وَفَرَاسَتُهُ؛ فَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ: «لَوْ وُزِنَ عَقْلُ أَبِي حَنِيفَةَ بِعَقْلِ نِصْفِ أَهْلِ الْأَرْضِ لَرَجَحَ بِهِمْ»(١).

وَرَوَى الْحَارِثِيُّ عَنِ الشَّافِعِيِّ قَالَ: «مَا قَامَتِ النِّسَاءُ عَنْ رَجُلٍ أَعْقَلَ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ»(٢).

وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ: «قُلْتُ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا أَبْعَدَ أَبَا حَنِيفَةَ مِنَ الْغِيبَةِ! مَا سَمِعْتُهُ يَغْتَابُ عَدُوًّا لَهُ قَطّ، قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ أَعْقَلُ مِنْ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَى حَسَنَاتِهِ مَا يَذْهَبُ بِهَا»(٣).

وَرَوَى الْخَطِيبُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ بْنِ حَمَّادٍ قَالَ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ

---

(١) «أخبار أبي حنيفة» (ص٤٢)، وانظر: «تاريخ بغداد» (١٣/٣٦٣).

(٢) هذا القول ساقط من (ص)، وينظر: «مغاني الأخيار» للعيني(٣/١٣٨).

(٣) «أخبار أبي حنيفة» (ص٤٢)، «تاريخ بغداد» (١٣/٣٦٣).

حَسَنَ الْفَرَاسَةِ، قَالَ لِدَاوُدَ الطَّائِي: أَنْتَ تَتَخَلَّى لِلْعِبَادَةِ، وَقَالَ لِأَبِي يُوسُفَ: أَنْتَ تَمِيلُ إِلَى الدُّنْيَا، وَقَالَ لِزُفَرَ وَغَيْرِهِ كَلَامًا؛ فَكَانَ كَمَا قَالَ»[1].

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي الْمَحَاسِنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: «قِيلَ لِأَبِي حَنِيفَةَ: كَيْفَ رَأَيْتَ غِلْمَانَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؟ قَالَ: إِنْ أَفْلَحَ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَالْأَشْقَرُ الْأَزْرَقُ، يُرِيدُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ»[2].

وَلَقَدْ صَدَقَ فِي فَرَاسَتِهِ؛ فَإِنَّ مَالِكًا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ مَرْتَبَةً لَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي عَصْرِهِ.

وَالْكَلَامُ عَلَى فَرَاسَتِهِ، وَفِطْنَتِهِ، وَذَكَائِهِ، وَأَجْوِبَتِهِ الْمُسْكِتَةِ؛ مِمَّا يَطُولُ جَلْبُهُ.



(١) «تاريخ بغداد» (١٤/٢٤٨).

(٢) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضي عياض (١/١٤٧).



[فَصْلٌ]

[فِي كَرَمِهِ وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ]

وَأَمَّا كَرَمُهُ؛ فَرُوِيَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ قَالَ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ لَا يَكَادُ يُسْأَلُ حَاجَةً إِلَّا قَضَاهَا»(١).

وَرُوِيَ عَنْ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ كَثِيرَ الصِّلَةِ وَالبِرِّ لِكُلِّ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ؛ كَثِيرَ الْإِفْضَالِ عَلَى إِخْوَانِهِ»(٢).

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: «رَأَى أَبُو حَنِيفَةَ عَلَى بَعْضِ جُلَسَائِهِ ثِيَابًا رَثَّةً؛ فَأَمَرَهُ فَجَلَسَ حَتَّى تَفَرَّقَ النَّاسُ، وَبَقِيَ وَحْدَهُ؛ فَقَالَ: ارْفَعْ الْمُصَلَّى وَخُذْ مَا تَحْتَهُ فَغَيِّرْ بِهِ حَالَكَ، فَرَفَعَ الرَّجُلُ الْمُصَلَّى؛ فَكَانَ تَحْتَهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ»(٣).

---

(١) «أخبار أبي حنيفة» (ص ٥٢)، «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٦١).

(٢) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٩٢) بلفظ: «كَانَ أَبُو حنيفة رجلاً ورعًا فقيهًا محسودًا، وَكَانَ كثيرَ الصِّلة والبرِّ لكلِّ مَن لجأ إليه، كثيرَ الإفضالِ عَلَى إخوانِهِ».

(٣) «أخبار أبي حنيفة» (ص ٥٨)؛ وفيها: «أن الرجل قال له: إني موسر، وأنا في نعمة،=

وَرُوِيَ عَنْ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ قَالَ: «حُبِسَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُيَيْنَةَ بِسَبَبِ دَيْنٍ لَزِمَهُ، وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ؛ فَقَامَ بَعْضُ إِخْوَانِهِ يَجْمَعُ لَهُ مِنَ النَّاسِ وَصَارَ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: كَمْ دَيْنُهُ؟ قَالَ: أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، قَالَ: فَهَلْ أَخَذْتَ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ: قَالَ: رُدَّ مَا أَخَذْتَ، وَأَنَا أَقْضِي جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ».

وَأَمَّا مَكَارِمُ أَخْلَاقِهِ؛ فَرُوِيَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْكُمَيْتِ قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا حَنِيفَةَ وَشَتَمَهُ رَجُلٌ، وَاسْتَطَالَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: يَا زِنْدِيقُ؛ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: غَفَرَ اللهُ لَكَ؛ هُوَ يَعْلَمُ خِلَافَ مَا تَقُولُ»[1].

وَرَوَى الْحَارِثِيُّ عَنْ أَبِي يَحْيَى الْحِمَّانِيِّ؛ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ يَقُولُ: مَا جَازَيْتُ أَحَدًا بِسُوءٍ قَطُّ، وَلَا لَعَنْتُ أَحَدًا، وَلَا ظَلَمْتُ مُسْلِمًا، وَلَا مُعَاهَدًا، وَلَا غَشَشْتُ أَحَدًا، وَلَا خَدَعْتُهُ»[2].

وَقَالَ: «مَا مَدَدْتُ رِجْلِي نَحْوَ دَارِ أُسْتَاذِي حَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ؛ إِجْلَالًا لَهُ، وَكَانَ بَيْنَ دَارِهِ وَدَارِي سَبْعُ سِكَكٍ»[3].

= ولستُ أحتاج إليها؛ فقال له: ما بلغك الحديث؟!!: «إنّ الله يحبُّ أنّ يرى أثَرَ النِّعمة على عبدِهِ»؛ فينبغي لك أنْ تغيِّرَ حالَكَ حتّى لا يغتمّ بك صديقُك».

(١) «أخبار أبي حنيفة» (ص ٤٨).

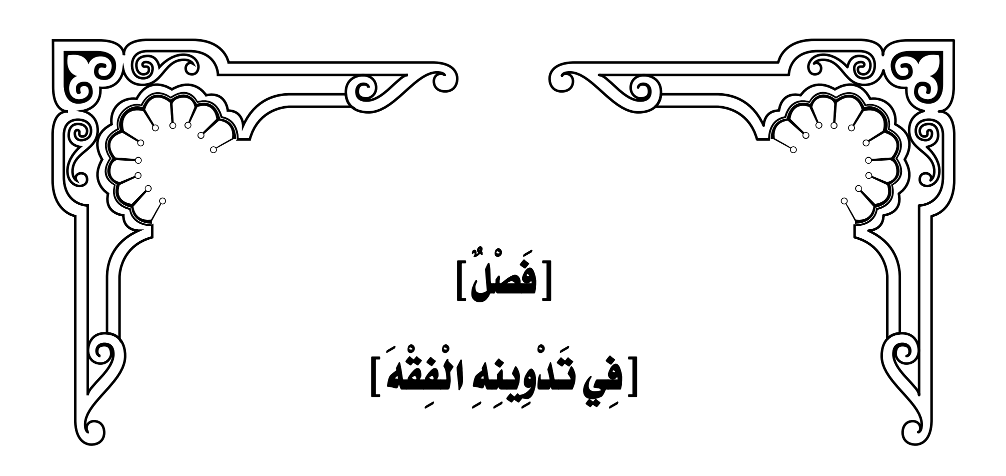
(٢) «طبقات الحنفية» للقرشي (١/٥١٨).

(٣) المصدر السَّابق (٢/٤٩٧).

وَفِي بَعْضِ الْمَنَاقِبِ: «كَانَ لَهُ جَارٌ يَهُودِيٌّ، وَكَانَتْ قَصَبَةُ خَلَائِهِ تَنْضَحُ عَلَى بَيْتِ أَبِي حَنِيفَةَ، فَمَكَثَ عَشْرَ سِنِينَ وَهُوَ يَكْنِسُ كُلَّ يَوْمٍ مَا تُرِكَ فِي دَارِهِ مِنْهَا، وَيَرْمِيهِ عَلَى الْمَزْبَلَةِ، وَلَمْ يَعْلَمِ الْيَهُودِيُّ قَطُّ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودِيَّ؛ فَبَكَى، ثُمَّ جَاءَ وَأَسْلَمَ»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني؛ المسمّى «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار» (١/ ٤٦).



[فَصْلٌ]

[فِي تَدْوِينِهِ الْفِقْهَ]

وَأَمَّا تَدْوِينُهُ الْفِقْهَ؛ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دَوَّنَهُ وَرَتَّبَهُ أَبْوَابًا، ثُمَّ تَابَعَهُ مَالِكُ ابْنُ أَنَسٍ فِي تَرْتِيبِ الْمُوَطَّأِ، وَلَمْ يَسْبِقْ أَبَا حَنِيفَةَ إِلَى ذَلِكَ أَحَدٌ؛ فَبَدَأَ بِالطَّهَارَةِ، ثُمَّ بَالصّلَاةِ، ثُمَّ بِالصَّوْمِ، ثُمَّ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ، ثُمَّ الْمُعَامَلَاتِ، ثُمَّ خَتَمَ بِالْمَوَارِيثِ؛ لِأَنَّهَا آخِرُ أَحْوَالِ النَّاسِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ كِتَابَ الْفَرَائِضِ.

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ الْعُلَمَاءَ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ لَمْ يَجِدْهَا صَرِيحَةً فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَعْمَلُ بِمَا يَتَّفِقُونَ عَلَيْهِ فِيهَا.

وَكَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ إِذَا اسْتَنْبَطَ حُكْمًا؛ فَلَا يَكْتُبُهُ حَتَّى يَجْمَعَ عَلَيْهِ عُلَمَاءَ عَصْرِهِ؛ فَإِنْ رَضَوْهُ؛ قَالَ لِأَبِي يُوسُفَ: اكْتُبْهُ.

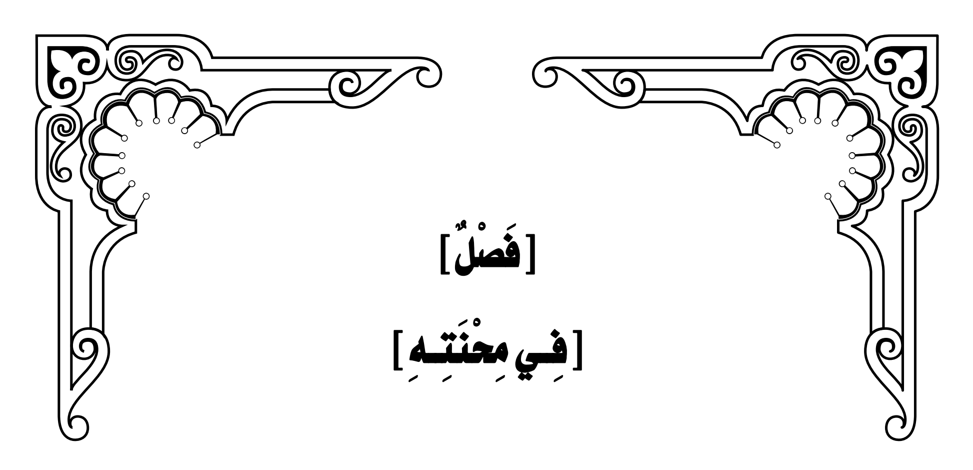
وَنَقَلَ ابْنُ الْهُمَامِ عَنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ؛ كَأَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدٍ وَزُفَرَ

وَالْحَسَنِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: مَا قُلْنَا فِي مَسْأَلَةٍ قَوْلاً إِلَّا وَهُوَ رِوَايَتُنَا عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَقْسَمُوا عَلَى ذَلِكَ أَيْمَانًا مُغَلَّظَةً.

وَكَانَ إِذَا أَفْتَى يَقُولُ: «هَذَا رَأْيُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ؛ فَمَنْ أَتَى بِأَحْسَنَ مِنْهُ فَهُوَ أَوْلَى»[١].



(١) «تاريخ بغداد» (١٣/٣٥٢).



[فَصْلٌ]

[فِي مِحْنَتِهِ]

وَأَمَّا مِحْنَتُهُ؛ فَقَدِ اتَّفَقَ لَهُ مِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ مَعَ يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ مُتَوَلِّي الْعِرَاقَيْنِ لِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ آخِرِ مُلُوكِ(١) بَنِي أُمَيَّةَ، وَمَعَ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ.

رَوَى الْخَطِيبُ قَالَ: «كَلَّمَ ابْنُ هُبَيْرَةَ أَبَا حَنِيفَةَ فِي أَنْ يَلِيَ قَضَاءَ الْكُوفَةِ؛ فَأَبَى؛ فَضَرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ وَعَشْرَةَ أَسْوَاطٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَةُ أَسْوَاطٍ، وَهُوَ عَلَى الامْتِنَاعِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ خَلَّى سَبِيلَهُ»(٢).

وَذَكَرَ أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ أَنَّ ابْنَ هُبَيْرَةَ أَمَرَ بِضَرْبِهِ عَلَى رَأْسِهِ؛ فَأَصْبَحَ وَقَدِ انْتَفَخَ رَأْسُهُ مِنَ الضَّرْبِ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ(٣).

---

(١) في (ر): (مملوك).

(٢) «تاريخ بغداد» (٣٢٧/١٣)، «تذكرة الحفاظ» (١٢٧/١)، «مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث» للنعماني (ص٩٥).

(٣) «أخبار أبي حنيفة» (ص ٦٨).

وَذُكِرَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ وَهُوَ يَقُولُ: أَمَا تَخَافُ اللهَ تَعَالَى تَضْرِبُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي بِلَا جُرْمٍ، وَهَدَّدَهُ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَخْرَجَهُ وَاسْتَحَلَّهُ(١).

وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ أَبِي لَيْلَى لَمَّا مَاتَ وَأُخْبِرَ بِذَلِكَ الْمَنْصُورُ قَالَ: «لَقَدْ خَلَتِ الْكُوفَةُ مِنْ حَاكِمٍ عَدْلٍ»، ثُمَّ أَمَرَ بِحَمْلِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَسُفْيَانَ، وَمِسْعَرٍ، وَشَرِيكٍ، وَكَانُوا جُلُوسًا بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ؛ فَبَعَثَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ رَجُلاً فَأَخَذُوهُمْ، وَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ.

فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: أَنَا أُخَمِّنُ فِيكُمْ تَخْمِينًا؛ أَمَّا أَنَا فَأَحْتَالُ؛ فَأَتَخَلَّصُ، وَأَمَّا مِسْعَرٌ فَيَتَجَانَنُ(٢)، وَأَمَّا سُفْيَانُ فَيَهْرُبُ، وَأَمَّا شَرِيكٌ فَيَقَعُ.

فَسَارُوا؛ فَلَمَّا كَانُوا بِقُرْبِ بَغْدَادَ أَظْهَرَ سُفْيَانُ أَنَّهُ يُرِيدُ قَضَاءَ الْحَاجَةِ فَذَهَبَ لِيَقْضِيَهَا، وَجَلَسَ الْمُوَكَّلُ بِهِ يَنْتَظِرُهُ فَبَصَرَ سُفْيَانُ سَفِينَةً؛ فَقَالَ لِلْمَلَّاحِ: إِنْ مَكَّنْتَنِي مِنْ سَفِينَتِكَ وَإِلَّا أُذْبَحُ، وَتَأَوَّلَ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ»، وَدَفَعَ لِلْمَلَّاحِ دَرَاهِمَ فَاسْتَبْطَأَهُ الْمُوَكَّلُ بِهِ؛ فَلَمْ يَجِدْهُ؛ فَهَرَبَ.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (ر): (فيتجاتي).

فَلَمَّا أُدْخِلُوا عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ؛ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ مِسْعَرٌ، وَقَالَ لِأَبِي جَعْفَرٍ: هَاتَ يَدَكَ، كَيْفَ أَنْتَ وَأَوْلَادُكُ وَدَوَابُّكَ؛ فَقَالَ: أَخْرِجُوهُ؛ فَإِنَّهُ مَجْنُونٌ.

وَعَرَضَ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ تَوْلِيَةَ الْقَضَاءِ؛ فَأَبَى عَلَيْهِ، فَحَلَفَ لَيَفْعَلَنَّ، فَحَلَفَ أَبُو حَنِيفَةَ أَنْ لَا يَفْعَلَ، فَحَلَفَ الْمَنْصُورُ لَيَفْعَلَنَّ، فَحَلَفَ أَبُو حَنِيفَةَ أَنْ لَا يَفْعَلَ، فَقَالَ الرَّبِيعُ الْحَاجِبُ لِأَبِي حَنِيفَةَ: أَلَا تَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْلِفُ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْدَرُ عَلَى كَفَّارَةِ يَمِينِهِ مِنِّي عَلَى كَفَارَةِ يَمِينِي؛ فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ ثُمَّ دَعَا بِهِ؛ فَقَالَ: أَتَرْغَبُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ، فَقَالَ: أَصْلَحَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اتَّقِ اللهَ، وَلَا تُشْرِكْ فِي أَمَانَتِكَ مَنْ لَمْ يَخَفِ اللهَ؛ وَاللَّهِ (مَا أَنَا)[1] مَأْمُونَ الرِّضَى، فَكَيْفَ أَكُونُ مَأْمُونَ الْغَضَبِ؛ فَلَا أَصْلُحْ لِذَلِكَ؛ فَقَالَ: كَذَبْتَ.. أَنْتَ تَصْلُحُ لِذَلِكَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ حَكَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ؛ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَقَدْ أَخْبَرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي لَا أَصْلُحُ، وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا؛ فَكَيْفَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُوَلِّيَ قَاضِيًا كَذَّابًا، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنِّي رَجُلٌ مَوْلَى، وَلَا تَكَادُ الْعَرَبُ تَرْضَى بِأَنْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى؛ فَأَمَرَ بِهِ إِلَى الْحَبْسِ.

وَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَى شَرِيكٍ فَقَبِلَهُ؛ فَهَجَرَهُ الثَّوْرِيُّ، وَقَالَ: أَمْكَنَكَ

---

(١) في (ر): (مانا).

الْهَرَبُ؛ فَلَمْ تَهْرُبْ»[١].

---

(١) «أخبار أبي حنيفة» (ص ٧١)، «الطبقات الكبرى» للشعراني (١/ ٤٦).



[فَصْلٌ]

[فِي وَفَاةِ أَبِي حَنِيفَةَ]

وَأَمَّا وَفَاتُهُ؛ فَرَوَى الْخَطِيبُ وَغَيْرُهُ[(١)]: أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ طَلَبَ أَبَا حَنِيفَةَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى بَغْدَادَ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَلِيَ الْقَضَاءَ وَيَكُونَ قُضَاةُ الْإِسْلَامِ مِنْ تَحْتِ يَدَيْهِ؛ فَاعْتَلَّ بِعِلَلٍ؛ وَلَمْ يَقْبَلْ؛ فَحَلَفَ عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ بِيَمِينٍ مُغَلَّظَةٍ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَيَحْبِسَنَّهُ وَلَيَشْدُدَنَّ عَلَيْهِ؛ فَأَبَى أَبُو حَنِيفَةَ؛ فَحَبَسَهُ، وَكَانَ يُرْسِلُ إِلَيْهِ فِي الْحَبْسِ إِنْ أَجَبْتَ إِلَى مَا طَلَبْتُهُ (مِنْكَ)[(٢)] أَخْرَجْتُكَ؛ فَأَبَى عَلَيْهِ فِي عَدَمِ قَبُولِ الْقَضَاءِ أَشَدَّ الِامْتِنَاعِ، فَأَمَرَ أَنْ يُخْرَجَ كُلَّ يَوْمٍ فَيُضْرَبَ عَشَرَةَ أَسْوَاطٍ، وَيُنَادَى عَلَيْهِ فِي الْأَسْوَاقِ، فَأُخْرِجَ وَضُرِبَ ضَرْبًا مُوجِعًا يُؤَثِّرُ فِي بَشَرَتِهِ أَثَرًا ظَاهِرًا، وَنُودِيَ عَلَيْهِ فِي الْأَسْوَاقِ،

---

(١) «تاريخ بغداد» (٣٢٧/١٣)، «تذكرة الحفاظ» (١٢٧/١)، «مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث» للنعماني (ص٩٥).

(٢) ساقطة من (ر).

وَالدَّمُ يَسِيلُ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَأُعِيدَ إِلَى الْحَبْسِ، وَضُيِّقَ عَلَيْهِ تَضْيِيقًا شَدِيدًا فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْحَبْسِ، وَفُعِلَ بِهِ جَمِيعُ ذَلِكَ فِي عَشْرَةِ أَيَّامٍ؛ كُلَّ يَوْمٍ عَشْرَةُ أَسْوَاطٍ، فَلَمَّا تَتَابَعَ عَلَيْهِ الضَّرْبُ بَكَى وَأَكْثَرَ[1] الدُّعَاءَ، فَمَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ وَتُوُفِّيَ.

وَذُكِرَ أَنَّهُ مَاتَ مَسْمُومًا[2]؛ رُفِعَ إِلَيْهِ قَدَحٌ فِيهِ سُمٌّ لِيَشْرَبَ؛ فَقَالَ: لَا أَشْرَبُ؛ فَأُكْرِهَ عَلَى شُرْبِهِ مَرَّاتٍ فَأَبَى، وَقَالَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا فِيهِ؛ فَلَا أُعِينُ عَلَى نَفْسِي؛ فَطُرِحَ، ثُمَّ صُبَّ فِي فَمِهِ، ثُمَّ خُلِّيَ[3] عَنْهُ[4].

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ دَعَا لَهُ بِسَوِيقٍ، وَأَمَرَه بِشُرْبِهِ؛ فَامْتَنَعَ فَقَالَ لَهُ: لَتَشْرَبَنَّهُ فَأَكْرَهَهُ عَلَى شُرْبِهِ، ثُمَّ قَامَ مُبَادِرًا، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى حَيْثُ بَعَثْتَ بِي، فَمَضَى بِهِ إِلَى السِّجْنِ، فَمَاتَ فِيهِ[5].

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَحَسَّ بِالْمَوْتِ سَجَدَ سَجْدَةً فَخَرَجَتْ نَفْسُهُ وَهُوَ

---

(١) في (ص): (فأكثر).

(٢) «العبر في خبر من غبر» للذهبي (١/ ١٦٤)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٢٨).

(٣) في (ص): (ثمّ خلا).

(٤) «طبقات الحنفية» للقرشي (١/ ٥٠٢).

(٥) «أخبار أبي حنيفة» (ص ٩٣).

سَاجِدٌ، فَمَكَثَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي مُدَّةِ الْعُقُوبَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا[1].

وَلَمَّا تُوُفِّيَ أُخْرِجَ مِنْ مَكَانِ حَبْسِهِ فَحُمِلَ مَعَ خَمْسَةِ أَنْفُسٍ إِلَى أَنْ أَتَوْا بِهِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي غَسَّلُوهُ فِيهِ، فَغَسَّلَهُ الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ قَاضِي بَغْدَادَ، وَصَبَّ عَلَيْهِ أَبُو رَجَاءٍ بْنُ وَاقِدٍ الْهَرَوِيُّ، وَلَمَّا غَسَّلَهُ، وَفَرَغَ مِنْهُ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ: رَحِمَكَ اللهُ لَمْ تُفْطِرْ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَلَمْ تَتَوَسَّدْ يَمِينَكَ بِاللَّيْلِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، كُنْتَ أَفْقَهَنَا وَأَعْبَدَنَا وَأَزْهَدَنَا وَأَجْمَعَنَا لِخِصَالِ الْخَيْرِ»[2]، وَمَا فَرَغَ مِنْ غَسْلِهِ إِلَّا وَقَدِ اجْتَمَعَ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ خَلْقٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا خَالِقُهُمْ، كَأَنَّهُ نُودِيَ لَهُمْ بِمَوْتِهِ.

وَرَوَى الْحَارِثِيُّ عَنْ نُعِيمِ بْنِ يَحْيَى قَالَ: حُزِرَ مَنْ صَلَّى عَلَى الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ فَبَلَغَ خَمْسِينَ أَلْفًا أَوْ أَكْثَرَ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ سِتَّ مَرَّاتٍ؛ آخِرُهَا صَلَاةُ ابْنِهِ حَمَّادٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ غَيْرُهُ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى دَفْنِهِ إِلَّا بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ كَثْرَةِ الزِّحَامِ، وَكَثُرَ الْبُكَاءُ وَالْأَسَفُ عَلَيْهِ[3].

وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ فِي مَقَابِرِ الْخَيْزَرَانِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ طَيِّبَةً غَيْرَ مَغْصُوبَةٍ،

---

(١) «مغاني الأخيار» (٣/ ١٤١).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٥٤)، بلفظ: «رحمك الله وغفر لك، لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة، وقد أتعبتَ من بعدَكَ، وفضحتَ القرّاء».

(٣) انظر ما ورد من قوله: «البداية والنهاية» (١٠/ ١١٥)، «تهذيب الكمال» (٢٩/ ٤٤٤).

وَمَكَثَ النَّاسُ يُصَلُّونَ عَلَى قَبْرِهِ عِشْرِينَ يَوْمًا[1].

وَرُوِيَ عَنْ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ شُعْبَةَ فَأُخْبِرَ بِمَوْتِ أَبِي حَنِيفَةَ فَاسْتَرْجَعَ وَقَالَ: طُفِيَ مِنَ الْكُوفَةِ نُورُ الْعِلْمِ؛ أَمَا إِنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ مِثْلَهُ أَبَدًا».

وَقَالَ أَبُو نُعِيمٍ الْفَضْلُ فِي «تَارِيخِهِ»: «سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ صَالِحٍ يَقُولُ لَـمَّا مَاتَ أَبُو حَنِيفَةَ: ذَهَبَ مُفْتِي الْعِرَاقِ وَفَقِيهُهَا»[2].

وَقَالَ الْحَلِيمِيُّ وَغَيْرُهُ: إِنَّ الْجِنَّ بَكَتْ أَبَا حَنِيفَةَ لَيْلَةَ مَاتَ؛ فَكَانُوا يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلَا يَرَوْنَ الشَّخْصَ، وَهُوَ يَقُولُ[3]:

ذَهَبَ الْفِقْهُ؛ فَلَا فِقَهَ لَكُمْ *** فَاتَّقُوا اللهَ، وَكُونُوا خَلَفَا
مَاتَ نُعْمَانُ؛ فَمَنْ هَذَا الَّذِي *** يُحْيِي اللَّيْلَ إِذَا مَا هَدَفَا

وَرَوَى الْحَارِثِيُّ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ قَدِمَ بَغْدَادَ فَقَالَ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِ أَبِي حَنِيفَةَ؛ فَدَلُّوهُ عَلَيْهِ، فَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ؛ فَقَالَ: رَحِمَكَ اللهُ يَا أَبَا حَنِيفَةَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَتَرَكَ خَلَفًا، وَمَاتَ حَمَّادُ بْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ وَتَرَكَ خَلَفًا، وَأَنْتَ يَا أَبَا حَنِيفَةَ مُتَّ وَلَمْ تَتْرُكْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ خَلَفًا، ثُمَّ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا.

---

(١) ينظر: «طبقات الحنفية» للقرشي (١/٥٠٢)، «أخبار أبي حنيفة» (ص٩٣)

(٢) ينظر: «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه» للذهبي (ص٢٩).

(٣) «أخبار أبي حنيفة» (ص٩٤).

وَلَمْ يَزَلِ الْعُلَمَاءُ (وَذَوُو)[1] الْحَاجَاتِ يَزُورُونَ قَبْرَ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَيَتَوَسَّلُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَيَرَوْنَ نَجْحَ ذَلِكَ؛ مِنْهُمُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا كَانَ بِبَغْدَادَ[2].

وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ الشَّافِعِيَّ صَلَّى الصُّبْحَ بِمَقَامِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ

---

(١) في (ص): (ذو الحاجات).

(٢) ونصُّ القصّة كما أخرجَها الخطيبُ البغداديُّ في «تاريخ بغداد» (١/ ١٢٣) بسنده عن الشَّافعيِّ أنَّه قال: إنّي لأتبرّك بأبي حنيفة، وأجيء إلى قبره في كل يوم - يعني زائراً -؛ فإذا عرضت لي حاجة صليتُ ركعتين وجئت إلى قبره، وسألت الله تعالى عنده، فما تبعد عني حتى تُقضى». **وقد انتقد علماءُ أهلِ السنة القصّة، وطعنوا في صحّتها،** وإليك أخي ما قاله أهل العلم فيها:- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٣٤٣) بعد أن ذكر القصة: «وهذا كذلك معلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل، فإن الشافعي لما قَدِم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة، بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفًا، وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين، من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء؛ فما باله لم يتوخَّ الدعاء إلا عنده. ثمّ أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم، ولم يكونوا يتحرَّون الدعاء لا عند أبي حنيفة ولا غيره. ثمّ قد تقدَّم عند الشافعي ما هو ثابت في كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه، وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف». وقال الإمامُ ابنُ القيّمِ في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤٦): «والحكايةُ المنقولةُ عن الشّافعيّ أنّه كان يقصد الدعاءَ عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر».

فَلَمْ يَقْنُتْ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ؛ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: تَأَدُّبًا مَعَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ.

وَزَادَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَجْهَرْ بِالْبَسْمَلَةِ.

وَقَدْ رَثَاهُ الشُّعَرَاءُ بِقَصَائِدَ عَدِيدَةٍ؛ فَرَثَاهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَرَثَاهُ أَبُو الْمُؤَيَّدِ الْخُوَارِزْمِيُّ بِعِدَّةِ قَصَائِدَ؛ مِنْهَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي مَطْلَعُهَا[1]:

عَزَّ الشَّرِيعَةَ إِذْ مَضَى كَشَّافُهَا *** وَظَهِيرُهَا النُّعْمَانُ نَحْوَ (جِنَانِهِ)[2]

إِلَى أَنْ قَالَ:

قَدْ سَمَّهُ الْمَنْصُورُ سُمًّا قَاتِلًا *** لِيَعِيشَ مَأْمُونًا عَلَى سُلْطَانِهِ

مَضَيَا إِلَى جَدْثَيْهِمَا هَذَا إِلَى *** سَخَطِ الْإِلَهِ، وَذَا إِلَى رِضْوَانِهِ

وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ «لِيَعِيشَ...» إِلَخْ: إِلَى مَا رُوِيَ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا خَرَجَ عَلَى الْمَنْصُورِ بِالْبَصْرَةِ خَافَ مِنْهُ خَوْفًا شَدِيدًا؛ فَوَشَى بِهِ بَعْضُ أَعْدَاءِ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى الْمَنْصُورِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ مُسَاعِدٌ لِإِبْرَاهِيمَ، فَخَشِيَ مِنْ مَيْلِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ؛ فَطَلَبَهُ مِنَ

(١) «طبقات الحنفية» (١/ ٥٠٤).

(٢) في (ر): (جناحه).

الْكُوفَةِ إِلَى بَغْدَادَ، وَلَمْ يَجْسُرْ عَلَى قَتْلِهِ بِلَا سَبَبٍ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ قَاضِيًا لِعِلْمِهِ بِأَنَّ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ؛ فَتَوَصَّلَ بِذَلِكَ إِلَى قَتْلِهِ(١).

وَرُئِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقِيلَ لَهُ: «مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي، فَقِيلَ لَهُ: بِالْعِلْمِ؟ فَقَالَ: هَيْهَاتَ إِنَّ لِلْعِلْمِ شُرُوطًا وَآدَابًا قَلَّ مَنْ يَفْعَلُهَا؛ فَقِيلَ بِمَ؟ قَالَ: بِقَوْلِ النَّاسِ فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ»، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٢).



(١) «طبقات الحنفيّة» (٢/٥٠٣).

(٢) رواها الدولابي بإسناده عن عبّاد التمار؛ نقلاً عن: «مناقب الأئمة الأربعة» لابن عبد الهادي الحنبلي (ص٧٧)، وينظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (١/٤٦).

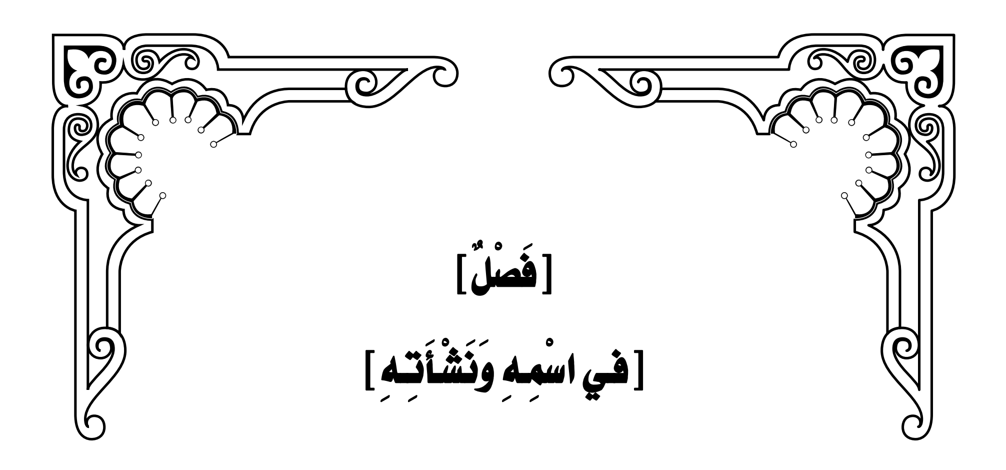


البَابُ الثَّانِي

فـــي مَنَاقِبِ

الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



[فَصْلٌ]

[في اسْمِهِ وَنَشْأَتِهِ]

وَهُوَ(١) الْإِمَامُ، الْعَلَمُ(٢)، الْحُجَّةُ، الْحَافِظُ، الْمُتْقِنُ؛ إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ مَالِكُ ابْنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غَيْمَانَ بْنِ خُثَيْلِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ ذِي أَصْبَحَ الْأَصْبَحِيُّ الْحِمْيَرِيُّ حَلِيفُ عُثْمَانَ أَخِي طَلْحَةَ ابْنِ عُبَيْدِ اللهِ التَّيْمِيِّ؛ فَهُوَ مَوْلَى حِلْفٍ لَا مَوْلَى عِتَاقَةٍ، وُلِدَ بِذِي الْمَرْوَةِ؛ مَوْضِعٍ مِنْ مَسَاجِدِ تَبُوكٍ، عَنْ ثَمَانِيَةِ بُرْدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، سَنَةَ

---

(١) تنظر ترجمته في: «تاريخ البخاري الكبير» (٧/ت١٣٢٣)، «حلية الأولياء» (٦/٣١٦)، «طبقات الشيرازي» (٦٧)، «ترتيب المدارك» (١/١٠٢-٢٥٤)، «رجال البخاري» للباجي (٢/٦٩٦)، «الأنساب» للسمعاني (١/٢٨٧)، «صفة الصفوة» (٢/١٧٧-١٨٠)، «سير أعلام النبلاء» (٨/٤٨-١٣٥)، «تهذيب الكمال» (٢٧/٩٢-١٢٠)، «تذكرة الحفاظ» (١/٢٠٧-٢١٣)، «العبر» (١/٢٧٢)، «البداية والنهاية» (١٠/١٧٤-١٧٥)، «طبقات الحفاظ» (٨٩).

(٢) في (ص): (العالم).

تِسْعِينَ أَوْ أَرْبَعٍ أَوْ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَعَاشَ خَمْسًا وَثَمَانِينَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ تِسْعِينَ سَنَةً.

وَمَكَثَ يُعَلِّمُ النَّاسَ وَيَفْتِيهِمْ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً، وَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ، وَقَبْرُهُ مَعْرُوفٌ.

حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَكَانَ طَوِيلاً عَظِيمَ الْهَامَةِ أَصْلَعَ، أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، أَبْيَضَ شَدِيدَ الْبَيَاضِ إِلَى الشُّقْرَةِ، وَكَانَ لِبَاسُهُ الثِّيَابَ الْعَدَنِيَّةَ الْجِيَادَ.

قَالَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ: «دَخَلْتُ عَلَى مَالِكٍ؛ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ طَيْلَسَانًا يُسَاوِي خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ»[1]، وَهُوَ مِنْ تَابِعِي التَّابِعِينَ عَلَى الصَّحِيحِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنَ التَّابِعِينَ.

وَقَدِ اشْتُهِرَ فَضْلُهُ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ، وَارْتُحِلَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَمْصَارِ؛ فَرَوَى عَنْهُ أَهْلُ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَأَفْرِيقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ، وَهُوَ مِصْدَاقُ الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ مَرْفُوعًا: «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فِي

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨ / ٧٠).

طَلَبِ الْعِلْمِ فَلَا يَجِدُونَ أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ»(١).

وَقَدْ تَأَوَّلَهُ الْأَئِمَةُ عَلَى مَالِكٍ.

رَوَى عَنْ نَافِعٍ، وَسَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، وَمُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ؛ إِمَامِ السُّنَّةِ، وَهِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَخَلْقٍ كَثِيرٍ، حَتَّى بَلَغَ عِدَّةُ أَشْيَاخِهِ تِسْعَمِائَةٍ.

وَرَوَى عَنْهُ الْأَئِمَّةُ(٢)؛ كَالزُّهْرِيِّ وَرَبِيعَةَ، وَمُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، وَالشَّافِعِيِّ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ شَيْخِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَالْأَوْزَاعِيِّ إِمَامِ أَهْلِ الشَّامِ، وَاللَّيْثِ إِمَامِ أَهْلِ مِصْرَ، وَقُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ الْبَلْخِيِّ شَيْخِ الْبُخَارِيِّ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ الْمِصْرِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمِصْرِيِّ وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ الزَّاهِدِ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَاجِشُونِ الْمَدَنِيِّ، (وَأَبُو) الْفَيْضِ (ذُو) النُّونِ الْمِصْرِيّ، وَأَشْهَبَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَامِرِيِّ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٩٩)، والتّرمذيُّ، وحسَّنَهُ (ح٢٦٨٢)، وابنُ حبّان (ح ٢٣٠٨)، والحاكم (١/٩١)، والبيهقيُّ (١/٣٨٦)؛ وصحّحه ابن حبّان، والحاكم، والذّهبيُّ، وقد استوعَبَ الذّهبيُّ طُرُقَه. ينظر: «السّيَر» (٨/٥٥-٥٨).

(٢) في النسخ جميعها تقديم وتأخير، وزيادة ونقصان؛ ففي (ر) زاد (ومحمد، ومسلم بن خالد الزنجي شيخ الشافعي)، وقدم ناسخها وأخر، وفي (ص) كذلك؛ ومما أسقطه: (عبد الرحمن بن القاسم المصري، وعبد الله بن عبد الحكم المصري).

الْمَصْرِيِّ، وَخَلَائِقُ لَا يُحْصَوْنَ، عَدَّ الْقَاضِي عِيَاضٌ مِنْهُمْ أَلْفًا وَنَيِّفًا.

وَرَوَى عَنْهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ[1] (سِتَّةٌ)[2]:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورُ وَالْمَهْدِيُّ وَالْهَادِي وَالْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ.

وَحَصَلَ لَهُ مِنَ الْحَظِّ مَا لَمْ يَحْصُلْ قَطُّ لِغَيْرِهِ، وَكَانَ شَيْخُهُ رَبِيعَةُ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي غَيْرِ شَيْءٍ، وَكَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ مَالِكًا أَنْ يُحَدِّثَهُمْ عَنْ رَبِيعَةَ، وَرَبِيعَةُ حَاضِرٌ بِمَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ بَيْنَ رَبِيعَةَ وَأَبِي الزِّنَادِ شَيْءٌ.

قَالَ اللَّيْثُ: رَأَيْتُ أَبَا الزِّنَادِ وَخَلْفَهُ ثَلَاثُمِائَةِ طَالِبِ عِلْمٍ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَقِيَ وَحْدَهُ وَأَقْبَلُوا عَلَى رَبِيعَةَ؛ فَكَانَ رَبِيعَةُ يَقُولُ: شِبْرٌ مِنْ حَظْوَةٍ، خَيْرٌ مِنْ بَاعٍ مِنْ عِلْمٍ[3].

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ: «سَمِعْتُ مِنْ مَالِكٍ سَبْعَمِائَةِ حَدِيثٍ وَنَيِّفًا إِلَى الثَّمَانِمِائَةِ»، فَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ إِذَا وَعَدَ النَّاسَ أَنْ يُحَدِّثَهُمْ عَنْ مَالِكٍ امْتَلَأَ مَوْضِعُهُ، وَكَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَإِذَا

---

(١) في (ر): (الأمرى).

(٢) هكذا في جميع النسخ، والمذكور -كما هو مثبت- خمسة فقط.

(٣) «تاريخ دمشق» (٥٧/٢٨)، «الكامل» لابن عدي (١٣١/٤)، ونقله من طريق يحيى بن بكير في «تهذيب الكمال» (١٢٠/١٠)، «سير أعلام النبلاء» (٤٤٧/٥).

حَدَّثَ عَنْ غَيْرِهِ لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا النَّقِيرُ[1].

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ: «أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ ثُمَّ قَدِمْتُ الْكُوفَةَ فَأَتَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ[2] فَقَالَ: هَلْ كَتَبْتَ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ شَيْئًا؟ قُلْتُ نَعَمْ؛ قَالَ: حَدِّثْنِي بِمَا كَتَبْتَ عَنْهُ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَدَعَا بِقِرْطَاسٍ وَدَوَاةٍ؛ فَجَعَلْتُ أُمْلِي عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْتُبُ»[3].



(١) «آداب الشافعي ومناقبه» للرازي (ص ١٣١).

(٢) في (ر): (أبي حنيفة).

(٣) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/٣).



[فَصْلٌ]

[فِي مَدْحِ الْعُلَمَاءِ لَهُ]

وَأَمَّا مَدْحُ الْعُلَمَاءِ لَهُ؛ فَقَدْ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ حِينَ سُئِلَ عَنْهُ: «مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ»(١).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «إِذَا ذُكِرَ الْحَدِيثُ فَمَالِكٌ النَّجْمُ»(٢)، يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ

---

(١) في «ترتيب المدارك» (١/٨٢): «وبهذا الوجه احتجّ الشافعي على محمد بن الحسن في ترجيح علم مالك على علم أبي حنيفة حين تناظرا في ذلك؛ فقال له الشافعي: الإنصاف تريد أم المكابرة؟ قال: الإنصاف، قال الشّافعيّ: ناشدتك الله فمن أعلم بكتاب الله وناسخه ومنسوخه؟ قال محمّد بن الحسن: اللّهم صاحبكم، فقال الشافعي: فمن أعلم بسُنّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: اللّهم صاحبكم، قال الشافعي فمن أعلم بأقوال أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: اللّهم صاحبكم، قال الشافعي فلم يبق إلّا القياس. قال محمّد: صاحبنا أقيس، قال الشافعي: القياس لا يكون إلّا بهذه الأشياء؛ فعلى أي شيء يقيس؟!!».

(٢) أبو نعيم في «الحلية» (٦/٣١٨)، ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/٢٠٦)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٨/٥٧)، وفي «تذكرته» (١/١٠٨)، و«عبره» (١/٢٧٢).

تَعَالَى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وَقَالَ: «إِذَا جَاءَ الْحَدِيثُ عَنْ مَالِكٍ فَشُدَّ بِهِ يَدَكَ»(١).

وَقَالَ: «كَانَ مَالِكٌ إِذَا شَكَّ فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ تَرَكَهُ كُلَّهُ»(٢).

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: «كَفَى الشَّافِعِيَّ شَرَفًا أَنَّ مَالِكًا شَيْخُهُ، وَكَفَى مَالِكًا شَرَفًا أَنَّ الشَّافِعِيَّ تِلْمِيذُهُ»(٣).

وَكَانَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُ: «مَالِكٌ أُسْتَاذِي، وَعَنْهُ أَخَذْتُ الْعِلْمَ، وَإِنَّمَا أَنَا غُلَامٌ مِنْ غِلْمَانِ مَالِكٍ»(٤).

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: «كَانَ مَالِكٌ مِنْ حُجَجِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»(٥).

وَقَالَ يَحْيَى الْقَطَّانُ: «مَالِكٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ، وَمَا أُقَدِّمُ عَلَى مَالِكٍ فِي زَمَانِهِ أَحَدًا»(٦).

---

(١) «الجرح والتعديل» (١/ ١٤)، «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٢)، «آداب الشافعي ومناقبه» (ص ١٥١).

(٢) «التعديل والتجريح» للباجِيِّ (٢/ ٧٦٩)، «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٧٥) «آداب الشافعي ومناقبه» (ص ١٥٢)؛ كلّهم بلفظ: «طرحَهُ كلَّهُ».

(٣) «مواهب الجليل» للحطاب؛ نقلاً عن ابن الأثير: (١/ ٢٧)، و«مقدّمة الإمام مالك» للسنوسي (ص٢٨).

(٤) «الديباج المذهب» لابن فرحون (١/ ٧٤)، «ترتيب المدارك» (١/ ٧٥و١٧١).

(٥) «حلية الأولياء» (٩/ ٣٨١)، «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٩٤).

(٦) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢١).

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: «مَالِكٌ مُفْتِي الْحَرَمَيْنِ»[1].

وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ زِيَادٍ: «دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ وَمُنَادٍ يُنَادِي: لَا يُفْتِي النَّاسَ بِمَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يُحَدِّثُ فِيهِ إِلَّا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: «أَصَحُّ الْأَسَانِيدِ: مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ»[2].

وَقَالَ مُطَرِّفٌ: «قَالَ لِي مَالِكٌ: مَا تَقُولُ النَّاسُ فِيَّ؟ قُلْتُ: أَمَّا الصَّدِيقُ فَيُثْنِي، وَأَمَّا الْعَدُوُّ فَيَقَعُ. قَالَ: مَا زَالَ النَّاسُ هَكَذَا؛ لَهُمْ صَدِيقٌ وَعَدُوٌّ، وَلَكِنْ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ تَتَابُعِ[3] الْأَلْسُنِ كُلِّهَا[4] بِالذَّمِّ[5]»[6].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/٩٤)، قال الذهبي: «وروي عن الأوزاعي أنّه كان إذا ذكر مالكًا يقول: عالم العلماء، ومفتي الحرمين».

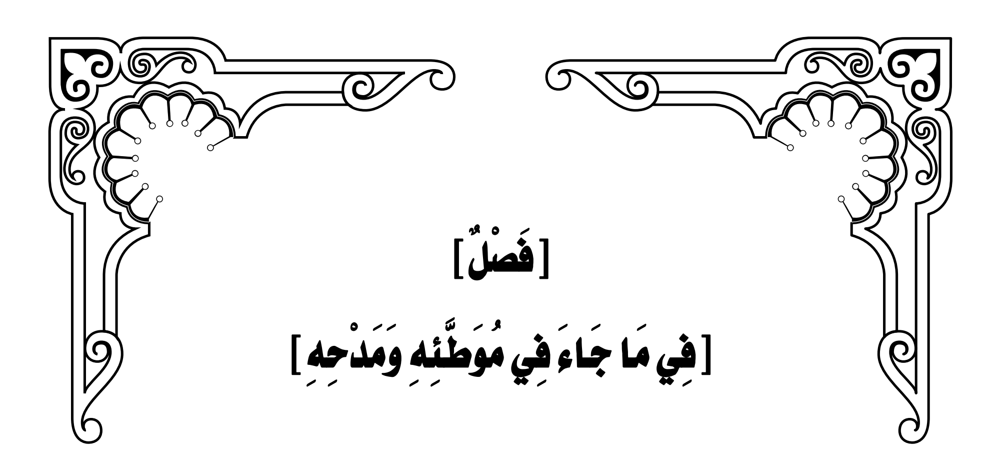
(٢) قال البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/٢٨٣): «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبأ أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا محمد بن سليمان قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أصحُّ الأسانيد كلِّها: مالك عن نافع عن بن عمر»، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٥/٩٧). وقال محقِّقُ «السير»: «إطلاق الأصَحِّيّة على بعض الأسانيد يتفاوت بين حافظ وآخر؛ فقد قال أحمد وإسحاق: أصحُّها: الزهري، عن سالم، عن أبيه، وقال ابن المديني وعمرو بن علي الفلاس: أصحُّها: محمد بن سيرين، عن عبيدة، عن علي، وقال يحيى بن معين: أصحُّها: الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود، وقال البخاري: أصحُّها: مالك، عن نافع، عن ابن عمر».

(٣) في (ر): (تتايع).

(٤) ساقطة من (ر).

(٥) ساقطة من (ص).

(٦) «حلية الأولياء» (٦/٣٢١)، «سير أعلام النبلاء» (٨/٦٦).



[فَصْلٌ]
[فِي مَا جَاءَ فِي مُوَطَّئِهِ وَمَدْحِهِ]

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي «مُوَطَّئِهِ» وَمَدْحِهِ؛ فَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: «إِنَّ آثَارَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَكُنْ فِي عَصْرِ أَصْحَابِهِ وَكِبَارِ تَابِعِيهِمْ مُدَوَّنَةً فِي الْجَوَامِعِ، وَلَا مُرَتَّبَةً؛ لِأَمْرَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ كَانُوا فِي ابْتِدَاءِ الْحَالِ قَدْ نُهُوا عَنْ ذَلِكَ؛ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[1] خَشْيَةَ أَنْ يَخْتَلِطَ بَعْضُ ذَلِكَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَالثَّانِي: سَعَةُ حِفْظِهِمْ وَسَيَلَانُ أَذْهَانِهِمْ، وَلِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ الْكِتَابَةَ[2].

ثُمَّ حَدَثَ فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ التَّابِعِينَ تَدْوِينُ الْآثَارِ، وَتَبْوِيبُ الْأَخْبَارِ

---

(١) برقم (ح٧٧٠٢)، ونصّه: عن أبي سعيد الخدريّ أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « لا تكتبوا عنّي، ومن كتب عنّي غير القرآن فلْيَمْحُه، وحدّثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ؛ (قال همّام: أحسبه قال: متعمّدًا)؛ فليتبوّأ مقعده من النّار».

(٢) في جميع النسخ: (الكتاب)، والمثبَت من «الفتح».

لَمَّا انْتَشَرَ الْعُلَمَاءُ فِي الْأَمْصَارِ، وَكَثُرَ الابْتِدَاعُ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَالرَّوَافِضِ، وَمُنْكِرِي الْأَقْدَارِ؛ فَأَوَّلُ مَنْ جَمَعَ ذَلِكَ الرَّبِيعُ بْنُ صَبِيحٍ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، وَغَيْرُهُمَا؛ فَكَانُوا يُصَنِّفُونَ كُلَّ بَابٍ عَلَى حِدَةٍ إِلَى أَنْ قَامَ كِبَارُ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ؛ فَدَوَّنُوا[1] الْأَحْكَامَ، فَصَنَّفَ الْإِمَامُ مَالِكٌ الْمُوَطَّأَ، وَتَوَخَّى فِيهِ الْقَوِيَّ مِنْ حَدِيثِ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَمَزَجَهُ بِأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ، وَفَتَاوَى التَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَصَنَّفَ ابْنُ جُرَيْجٍ بِمَكَّةَ، وَالْأَوْزَاعِيُّ بِالشَّامِ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ بِالْكُوفَةِ، وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ الْبَصْرِيُّ، ثُمَّ تَلَاهُمْ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِمْ فِي النَّسْجِ عَلَى مِنْوَالِهِمْ إِلَى أَنْ رَأَى بَعْضُ الْأَئِمَّةِ أَنْ يُفْرِدَ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ الْمِائَتَيْنِ»[2]؛ فَصَنَّفُوا الْمَسَانِيدَ.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي «شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ»: «الْمُوَطَّأُ هُوَ الْأَصْلُ الْأَوَّلُ وَاللُّبَابُ، وَكِتَابُ الْبُخَارِيُّ هُوَ الْأَصْلُ الثَّانِي فِي هَذَا الْبَابِ، وَعَلَيْهِمَا بَنَى الْجَمِيعُ كَمُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ»[3].

---

(١) في (ر): (فدنوا).

(٢) «فتح الباري» (١/٦).

(٣) «عارضة الأحوذي» (١/٥)، ونصُّ كلامِهِ: «اعلموا -أنار الله أفئدتكم- أنّ كتاب الجعفي هو الأصل الثّاني في هذا الباب، والموطّأ هو الأول واللباب، وعليهما بناء الجميع؛ كالقشيري والترمذي؛ فما دونهما».

وَرُوِيَ أَنَّ مَالِكًا رَوَى مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ جَمَعَ مِنْهُ فِي الْمُوَطَّأِ عَشْرَةَ آلَافٍ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَعْرِضُهَا عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيَخْتَبِرُهَا بِالْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى خَمْسِمِائَةٍ[1].

قَالَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ: «قَالَ مَالِكٌ: عَرَضْتُ كِتَابِي هَذَا عَلَى سَبْعِينَ فَقِيهًا مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ؛ فَكُلُّهُمْ وَاطَأَنِي عَلَيْهِ فَسَمَّيْتُهُ[2] (الْمُوَطَّأَ)».

قَالَ ابْنُ فَهْرٍ: «لَمْ يَسْبِقْ مَالِكًا أَحَدٌ إِلَى هَذِهِ التَّسْمِيَةِ، فَإِنَّ مَنْ أَلَّفَ فِي زَمَانِهِ بَعْضُهُمْ سَمَّى بِالْجَامِعِ، وَبَعْضُهُمْ بِالْمُصَنَّفِ، وَبَعْضُهُمْ بِالْمُؤَلَّفِ، وَلَفْظَةُ الْمُوَطَّأِ بِمَعْنَى الْمُمَهَّدِ الْمُنَقَّحِ الْمُحَرَّرِ الْمُصَفَّى»[3].

وَأَمَّا مَدْحُهُ؛ فَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا بَعْدَ كِتَابِ اللهِ أَنْفَعُ مِنَ (الْمُوَطَّأِ)»[4].

وَقَالَ أَيْضًا: «مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ كِتَابٌ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ أَصَحُّ مِنْ كِتَابِ مَالِكٍ»[5].

---

(١) «شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك» (١/ ٦١).

(٢) في (ر): (فسميتها).

(٣) «تنوير الحوالك» للسيوطي (ص٧).

(٤) «الاستذكار» لابن عبد البر (١/ ١٢)، وفي «ترتيب المدارك» عن ابن مهدي (٢/ ٧٠).

(٥) «ترتيب المدارك» (٢/ ٧٠).

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مَالِكًا لَمَّا صَنَّفَ الْمُوَطَّأَ عَمِلَ مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُوَطَّآتِ، فَقِيلَ لِمَالِكٍ شَغَلْتَ نَفْسَكَ بِعَمَلِ هَذَا الْكِتَابِ، وَقَدْ شَارَكَكَ فِيهِ النَّاسُ وَعَمِلُوا أَمْثَالَهُ؛ فَقَالَ ائْتُونِي بِمَا عَمِلُوا؛ فَأُتِيَ بِذَلِكَ، فَنَظَرَ فِيهِ ثُمَّ نَبَذَهُ، وَقَالَ: لَتَعْلَمُنَّ أَنَّهُ لَا يَرْتَفِعُ مِنْ هَذَا إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى»[1].

فَكَأَنَّمَا أُلْقِيَتْ تِلْكَ الْكُتُبُ فِي الْآبَارِ، وَمَا سُمِعَ بِشَيْءٍ مِنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِذِكْرٍ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: «سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: لَمَّا حَجَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ دَعَانِي فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَحَادَثْتُهُ، وَسَأَلَنِي فَأَجَبْتُهُ؛ فَقَالَ: إِنِّي عَزَمْتُ أَنْ آمُرَ بِكُتُبِكَ هَذِهِ الَّتِي وَضَعْتَهَا، -يَعْنِي: الْمُوَطَّأَ- فَتُنْسَخُ نُسَخًا، ثُمَّ أَبْعَثُ إِلَى كُلِّ مِصْرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِنُسْخَةٍ، وَآمُرُهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا وَلَا يَتَعَدَّوْنَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيَدَعُوا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ الْمُحْدَثِ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ أَصْلَ[2] الْعِلْمِ رِوَايَةَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَعِلْمَهُمْ.

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ هَذَا فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ سِيقَتْ إِلَيْهِمْ أَقَاوِيلُ، وَسَمِعُوا أَحَادِيثَ وَرَوَوْا رِوَايَاتٍ وَأَخَذَ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا سِيقَ إِلَيْهِمْ

---

(١) «الديباج المذهب» (١/ ١٢١)، «ترتيب المدارك» (٢/ ٧٦).

(٢) في (ص)و (ر): (أهل).

وَعَمِلُوا بِهِ وَدَانُوا بِهِ مِنِ اخْتِلَافِ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، وَإِنَّ رَدَّهُمْ عَمَّا اعْتَقَدُوهُ شَدِيدٌ؛ فَدَعِ النَّاسَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ، وَمَا اخْتَارَ أَهْلُ كُلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ: لَعَمْرِي لَوْ طَاوَعْتَنِي عَلَى ذَلِكَ لَأَمَرْتُ بِهِ»[1].

وَأَخْرَجَ الْخَطِيبُ قَالَ: «قال هَارُونُ الرَّشِيدُ لِمَالِكٍ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! نَكْتُبُ هَذِهِ الْكُتُبَ، وَنُفَرِّقُهَا فِي آفَاقِ الْإِسْلَامِ؛ فَنَحْمِلُ عَلَيْهَا الْأُمَّةَ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ؛ إِنَّ اخْتِلَافَ الْعُلَمَاءِ رَحْمَةٌ (مِنَ اللهِ)[2] عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، كُلٌّ يَتْبَعُ مَا صَحَّ عِنْدَهُ، وَكُلٌّ عَلَى هُدًى، وَكُلٌّ يُرِيدُ اللهَ»[3].



(١) ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٧٨/٨)، «الطبقات الكبرى» للهاشمي (ص٤٤٠)، «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» لابن عبد البر (ص ٤١).

(٢) ساقطة من (ص).

(٣) رواها الخطيب في كتابه «الرواة عن مالك»، ولم أجده مطبوعًا، وأوردها عن الخطيب ابن عابدين في «رد المحتار» (٦٨/١).



[فَصْلٌ]

[فِي اجْتِمَاعِ الْخُلَفَاءِ بِهِ وَأَخْبَارِهِ]

وَأَمَّا اجْتِمَاعُ الْخُلَفَاءِ بِهِ، فَقَالَ الْخَطِيبُ: «لَمَّا قَدِمَ الرَّشِيدُ اسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ مُشَاةً، وَاسْتَقْبَلَهُ مَالِكٌ فِي مَحْمَلٍ؛ فَقَالَ لَهُ: مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، وَرَدَتْ عَلَيْنَا كُتُبُكَ فَأَمَرْنَا فِتْيَانَنَا بِالنَّظَرِ فِيهَا، إِلَّا أَنَّا لَمْ نَرَ فِيهَا ذِكْرًا لِعَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ؛ فَقَالَ: لَمْ يَكُونَا بِبَلَدِي وَلَمْ أَلْقَ رِجَالَهُمَا»[1].

وَأَخْرَجَ ابْنُ فِهْرٍ عَنْ أَبِي مُصْعَبٍ[2] قَالَ: «قَالَ هَارُونُ الرَّشِيدُ لِمَالِكٍ: أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْكَ (الْمُوَطَّأَ)؛ فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فقال: مَتَى؟ قَالَ مَالِكٌ: غَدًا، فَجَلَسَ هَارُونُ يَنْتَظِرُ وَجَلَسَ مَالِكٌ فِي بَيْتِهِ يَنْتَظِرُ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فَدَعَاهُ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! مَا

---

(١) أوردها الزرقاني في «شرح الموطأ» (١/٨)؛ ط: مطبعة الاستقامة بالقاهرة؛ قال بعدها: «فإن صحَّ هذا؛ فكأنّه أراد ذِكْرًا كثيرًا، وإلّا ففي «الموطأ» أحاديث عنهما».

(٢) في (ر): (مضبع).

زِلْتُ أَنْتَظِرُكَ مُنْذُ الْيَوْمِ، فَقَالَ مَالِكٌ: وَأَنَا أَيْضًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُكَ مُنْذُ الْيَوْمِ؛ إِنَّ الْعِلْمَ يُؤْتَى وَلَا يَأْتِي، وَإِنَّ ابْنَ عَمِّكَ هُوَ الَّذِي جَاءَ بِالْعِلْمِ؛ فَإِنْ رَفَعْتُمُوهُ ارْتَفَعَ، وَإِنْ وَضَعْتُمُوهُ اتَّضَعَ»(١).

وَأَمَّا أَخْبَارُهُ؛ فَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «كَانَ مَالِكٌ إِذَا حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغْتَسَلَ، وَلَبِسَ ثِيَابًا جُدُدًا(٢) ثُمَّ يُحَدِّثُ»(٣).

وَرَوَى الْخَطِيبُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَارُونَ قَالَ: «كَانَ مَالِكٌ لَا يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ لَغَطٌ وَلَا لَغْوٌ(٤)، وَكَانَ مَهِيبًا إِذَا سُئِلَ عَنِ الشَّيْءِ فَأَجَابَ سَائِلَهُ لَمْ يُرَاجِعْهُ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ مِنْ أَيْنَ رَأَيْتَ»(٥).

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ(٦): «دَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَمَدَحَهُ:

---

(١) «كشف المغطّا في فضل الموطا» للدمشقي (ص٢٩).

(٢) في (ر): (جديدًا).

(٣) «الإلماع» للقاضي عياض (١/٢٤٢).

(٤) في (ر): (لَغْوٌ وَلَا لَغَطٌ).

(٥) «تزيين الممالك» للسيوطي (ص ٢٧).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/٣١٨) عن أبي يونس المدني قال: «أنشدني بعض أصحابنا من المدنيين في مالك بن أنس...»، وذكر البيتين ابن عبد البر في «الانتقاء» (ص٨٨)، وقال: وممّا رثي به مالك رحمه الله قول عبدالله بن سالم الخياط ذكره محمد ابن الحسن بن زبالة، وقال القاضي عياض في «مداركه»(١/٨٥): قيل كان الثوري في مجلسه فلما رأى إجلال الناس له وإجلاله للعلم أنشد»، وذكر البيتين.

يَدَعُ الْجَوَابَ فَلَا يُرَاجَعُ هَيْبَةً ❊❊❊ وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ
أَدَبُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى ❊❊❊ فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

قَالَ ابْنُ وَهَبٍ سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَخَشْيَةٌ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِأَثَرِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ»(١).

وَرَوَى أَبُو نُعِيمٍ عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: «سَأَلَ رَجُلٌ مَالِكًا عَنْ مَسْأَلَةٍ؛ فَقَالَ: لَا أُحْسِنُهَا؛ فَقَالَ: إِنِّي ضَرَبْتُ إِلَيْكَ(٢) مِنْ كَذَا وَكَذَا لِأَسْأَلَكَ عَنْهَا؛ فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: إِذَا رَجَعْتَ إِلَى مَكَانِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي قُلْتُ: لَا أُحْسِنُهَا»(٣).

وَكَانَ يَسْتَعِينُ فِي(٤) رَدِّ الْجَوَابِ بِـ(مَا شَاءَ اللهُ)، (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ).

وَأَخْرَجَ الْخَطِيبُ وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ جَمِيلٍ قَالَ: «شَهِدْتُ مَالِكًا سُئِلَ عَنْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً؛ فَقَالَ فِي اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ مِنْهَا: (لَا

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٤).

(٢) في (ر): (لك).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٣)، «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ١٧٩)، وأخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ١٨).

(٤) في (ر): (على).

أَدْرِي))»[(١)].

وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا الرَّجُلُ فَلَمْ يُجِبْ، وَانْدَفَعَتْ عَنْهُ؛ فَإِنَّمَا هِيَ بَلِيَّةٌ صَرَفَهَا اللهُ عَنْهُ»[(٢)].

وَقَالَ: «لَا يَصْلُحُ الرَّجُلُ حَتَّى يَتْرُكَ مَا لَا يَعْنِيهِ وَيَشْتَغِلَ بِمَا يَعْنِيهِ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ يُوشِكُ أَنْ يَفْتَحَ اللهُ قَلْبَهُ»[(٣)].

وَقَالَ: «مَنْ صَدَقَ فِي حَدِيثِهِ مُتِّعَ بِقَلْبِهِ، وَلَمْ يُصِبْهُ مَا يُصِيبُ النَّاسَ مِنَ الْهَرَمِ[(٤)] وَالْخَرَفِ»[(٥)].



---

(١) «الإنتقاء» (ص٧٥)، «التمهيد» (١/ ٧٣).

(٢) «ترتيب المدارك» (٢/ ٦١).

(٣) أورده صاحب «ترتيب المدارك» (٢/ ٦٤) بلفظ: «وقال ابن المبارك سمعته (أي مالك) يقول: لا يصلح الرجل حتى يترك ما لا يعنيه، فإذا كان كذلك أوشك أن يفتح الله في قلبه».

(٤) في (ص): (الهموم).

(٥) «الديباج المذهب» لابن فرحون (١/ ١١٧)، «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (٢/ ٦٤).



[فَصْلٌ]

[فِي مِحْنَةِ الإِمَامِ مَالِكٍ وَوَفَاتِهِ]

وَأَمَّا مِحْنَتُهُ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ (مَحْسُودٌ، وَلَا نِعْمَةٌ)[1] بَعْدَ الْإِسْلَامِ تَعْدِلُ نِعْمَةَ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، وَفَضْلُ هَذَا الْإِمَامِ مَشْهُورٌ، فَلِذَلِكَ وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ وَوَشَوْا فِيهِ لِوَالِي الْمَدِينَةِ، وَتَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا لَا يَلِيقُ، حَتَّى قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُبْغِضُ مَالِكًا؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ»[2].

وَلَمَّا وَلِيَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمَدِينَةَ سَعَوْا بِهِ إِلَيْهِ[3]، وَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ عِنْدَهُ، وَقَالُوا لَا يَرَى أَيْمَانَ بَيْعَتِكُمْ[4] هَذِهِ بِشَيْءٍ، وَهُوَ يَأْخُذُ بِحَدِيثٍ

---

(١) ساقطة من (ص).

(٢) «الديباج المذهب» لابن فرحون (١/١١٥)، «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (٢/٣٨).

(٣) في (ص): (إليه به).

(٤) في (ر): (بيتكم).

رَوَاهُ عن ثَابِتٍ الْأَحْنَفِ فِي طَلَاقِ الْمُكْرَهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ، فَغَضِبَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ فَدَعَا بِمَالِكٍ وَحَدَّهُ وَضَرَبَهُ بِالسِّيَاطِ وَمُدَّتْ يَدَاهُ حَتَّى انْخَلَعَ كَتِفَاهُ(١).

وَرَوَى أَبُو نُعِيمٍ عَنْ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: «ضَرَبَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ مَالِكَ ابْنَ أَنَسٍ فِي طَلَاقٍ»(٢).

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: «وَحُمِلَ عَلَى بَعِيرٍ؛ فَقَالَ أَلَا مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْأَصْبَحِيُّ، وَأَنَا أَقُولُ: طَلَاقُ الْمُكْرَهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ فَبَلَغَ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ يُنَادِي عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ فَقَالَ: أَدْرِكُوهُ وَأَنْزِلُوهُ»(٣).

وَسَبَبُ ضَرْبِهِ: قِيلَ إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ نَهَاهُ عَنْ حَدِيثِ: «لَيْسَ عَلَى مُسْتَكْرَهٍ طَلَاقٌ»(٤)، ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَحَدَّثَ بِهِ عَلَى رُؤُوسِ

---

(١) «الانتقاء» (ص٤٤)، «الطبقات الكبرى» (ص٤٤١)، «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٨٠)، «الديباج المذهب» (١/ ١٣٠)، «ترتيب المدارك» (٢/ ١٣٠).

(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ٣١٦).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٣١٦)، «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (١١/ ٣٣٠).

(٤) لم يرد في المرفوع، وإنّما هو موقوف على ابن عباس أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٤٨).

النَّاسِ[1].

وَقِيلَ: النَّاهِي جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَفْتَى عِنْدَ قِيَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْعَلَوِيِّ بِأَنَّ بَيْعَةَ أَبِي جَعْفَرٍ لَا تَلْزَمُ؛ لِأَنَّهَا عَلَى الْإِكْرَاهِ، وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ الرُّوَاةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ أَبِي جَعْفَرٍ[2].

وَاخْتُلِفَ فِي مِقْدَارِ ضَرْبِهِ مِنْ ثَلَاثِينَ إِلَى مِائَةٍ، وَمُدَّتْ يَدَاهُ حَتَّى انْخَلَعَتْ كَتِفُهُ[3]، وَبَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ بَطَّالَ الْيَدَيْنِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْفَعَهُمَا وَلَا أَنْ يُسَوِّيَ رِدَاءَهُ[4].

قَالَ الدَّاروردي[5]: «سَمِعْتُهُ يَقُولُ حِينَ ضُرِبَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»[6].

قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ: «وَاللَّهِ مَا زَالَ مَالِكٌ بَعْدَ ذَلِكَ الضَّرْبِ فِي رِفْعَةٍ عِنْدَ النَّاسِ وَعُلُوٍّ مِنْ أَمْرِهِ وَإِعْظَامِ النَّاسِ لَهُ، وَكَأَنَّمَا[7] كَانَتْ تِلْكَ

---

(١) «الانتقاء» (ص٤٣)، «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٨٠)، «ترتيب المدارك» (١/ ٢٢٨).

(٢) «الطبقات الكبرى» (القسم المتمم) (ص ٤٤١).

(٣) في (ص): (كتفيه) وهو خطأ.

(٤) «الديباج المذهب» (١/ ١٣٠)، «ترتيب المدارك» (٢/ ١٣٤).

(٥) في (ر): (الداوردي).

(٦) «ترتيب المدارك» (٢/ ١٣٤).

(٧) في (ص): (ولأنما).

السِّيَاطُ الَّتِي ضُرِبَهَا حُلِيًّا حُلِّيَ بِهَا»[(١)].

وَلَمَّا حَجَّ المَنْصُورُ أَقَادَهُ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ لِيَقْتَصَّ مِنْهُ؛ فَقَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ، وَاللهِ مَا ارْتَفَعَ مِنْهَا سَوْطٌ عَنْ جِسْمِي إِلَّا وَأَنَا أَجْعَلُهُ فِي حِلٍّ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ لِقَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٢)].

وَأَمَّا وَفَاتُهُ؛ فَقَالَ فِي «مُخْتَصَرِ المَدَارِكِ»: «لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ سُئِلَ عَنْ تَخَلُّفِهِ عَنِ المَسْجِدِ؟ -وَكَانَ تَخَلُّفُهُ عَنْهُ سَبْعَ سِنِينَ فَقَالَ-: لَوْلَا أَنِّي فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ مَا أَخْبَرْتُكُمْ، مَنَعَنِي سَلَسُ بَوْلِي، فَكَرِهْتُ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ عِلَّتِي فَأَشْكُو رَبِّي»[(٣)].

وَقِيلَ: كَانَ اعْتَرَاهُ فَتْقٌ مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي ضُرِبَهُ؛ فَكَانَتِ الرِّيحُ تَخْرُجُ مِنْهُ؛ فَقَالَ: «إِنِّي أُوذِي المَسْجِدَ وَالنَّاسَ».

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: «وُلِدَ مَالِكٌ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ، وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ، وَفِيهَا وُلِدَ اللَّيْثُ بْنُ

---

(١) أوردها الهاشمي في «الطبقات الكبرى» (القسم المتمم) (ص٤٤٢).
(٢) «الديباج المذهب» (١/ ١٣١) «ترتيب المدارك» (٢/ ١٣١).
(٣) «ترتيب المدارك» (٢/ ٥٥).

سَعْدٍ»[(١)].

وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ؛ مَرِضَ[(٢)] يَوْمَ الْأَحَدِ، فَأَقَامَ مَرِيضًا اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَمَاتَ يَوْمَ الْأَحَدِ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ.

وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ[(٣)].

وَقَالَ مُصْعَبُ: «مَاتَ فِي صَفَرٍ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْهَاشِمِيُّ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ مَاشِيًا، وَكَانَ أَحَدَ مَنْ حَمَلَ نَعْشَهُ»[(٤)].

وَتَرَكَ مِنَ الْأَوْلَادِ: يَحْيَى، وَمُحَمَّدًا، وَحَمَادَةً.

وَبَلَغَتْ تَرِكَتُهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَثَلَاثَمِائَةِ دِينَارٍ وَنَيِّفًا.

وَحَجَّ هَارُونُ الرَّشِيدُ[(١)] عَامَ مَوْتِ مَالِكٍ فَوَصَلَ ابْنَهُ يَحْيَى بِخَمْسِمِائَةِ

---

(١) «الانتقاء» (ص١٠) عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم.

(٢) في (ر): (ومرض).

(٣) «تزيين الممالك» (ص٦٥)، «الطبقات الكبرى» (القسم المتمم) (ص٤٤٣)، «مغاني الأخيار» (٣/٤).

(٤) المراجع السابقة.

(١) في (ر): (الرشيدي).

دِينَارٍ[1].

وَقَالَ سُحْنُونُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ نَافِعٍ: «تُوُفِّي مَالِكٌ وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَأَقَامَ مُفْتِيًا بِالْمَدِينَةِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ سِتِّينَ سَنَةً»[2].

وَأَخْرَجَ الْخَطِيبُ عَنْ بَكْرِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: «دَخَلْنَا عَلَى مَالِكٍ فِي الْعَشِيَّةِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا؛ فَقُلْنَا[3]: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ كَيْفَ نَجِدُكَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكُمْ؛ إِنَّكُمْ سَتُعَايِنُونَ غَدًا مِنْ عَفْوِ اللهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي حِسَابٍ ثُمَّ مَا بَرِحْنَا حَتَّى أَغْمَضْنَاهُ»[4].

وَلَـمَّا بَلَغَ سُفْيَانَ مَوْتُ مَالِكٍ قَالَ: «مَا تَرَكَ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَهُ»[5].

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي «الْمَدَارِكِ»[6]: «رَأَى عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيُّ لَيْلَةَ مَاتَ مَالِكٌ قَائِلًا يَقُولُ:

---

(١) «تزيين الممالك» (ص ٦٥).

(٢) «ترتيب المدارك» (٣/ ٣١٥).

(٣) في (ص): (فقلتُ).

(٤) ذكره ابن ناصر الدين في «إتحاف السالك» (ص٧٥) بسندٍ لابن أبي الدنيا.

(٥) هو ابن عيينة، حلية الأولياء (٦/ ٣٢١)، «الديباج المذهب» (١/ ٧٤)، «ترتيب المدارك» (١/ ٧٥).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٣٢)، «الديباج المذهب» (١/ ١٣٤)، «ترتيب المدارك» (٢/ ١٤٧).

لَقَدْ أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ زُعْزِعَ رُكْنُهُ غَدَاةَ ثَوَى الْهَادِي لَدَى مُلْحِدِ الْقَبْرِ
إِمَامُ الْهُدَى مَا زَالَ لِلْعِلْمِ صَائِنًا عَلَيْهِ سَلامُ اللهِ فِي آخِرِ الدَّهْرِ»

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ: «كُنَّا عِنْدَ سُفْيَانِ بْنِ عُيَيْنَةَ فَأَتَاهُ نَعْيُ مَالِكٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَاتَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ»(١).

وَرُئِيَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ مَنَامَاتٌ حَسَنَةٌ.

فَقَالَ بِشْرُ بْنُ بَكْرٍ: «رَأَيْتُ الْأَوْزَاعِيَّ فِي النَّوْمِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْجَنَّةِ؛ فَقُلْتُ أَيْنَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ؟ فَقِيلَ: رُفِعَ، قُلْتُ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِصِدْقِهِ»(٢).

وَرَآهُ بَعْضُ الصَّالِحِينَ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي مَنَامِهِ؛ فَقَالَ لَهُ: «مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي، قَالَ بِمَاذَا؟ قَالَ: بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا عَنْ عُثْمَانَ؛ (كَانَ)(١) إِذَا رَأَى مَيِّتًا قَالَ: سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ فَأَدَمْتُهَا؛ فَأَدْخَلَنِي اللهُ

---

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (١/ ٨٥).

(٢) رواه ابن عبد البر في «التمهيد» بسنده (١/ ٧٠). وفي مقدمة «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (ص ٢٣) قال: «حدثنا عبد الرحمن قال قرئ على يونس بن عبد الأعلى ثنا بشر بن بكر قال: رأيت في النوم أني دخلت الجنة فرأيت الأوزاعي وسفيان الثوري، ولم أرَ مالك بن أنس، فقلت: فأين مالك؟ قالوا: وأين مالك، وأين مالك، رفع مالك، قال: فما زال يقول: وأين مالك، رفع مالك؛ حتى تسقط قلنسوته».

(١) ساقطة من (ص).

بِهَا الْجَنَّةَ»، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

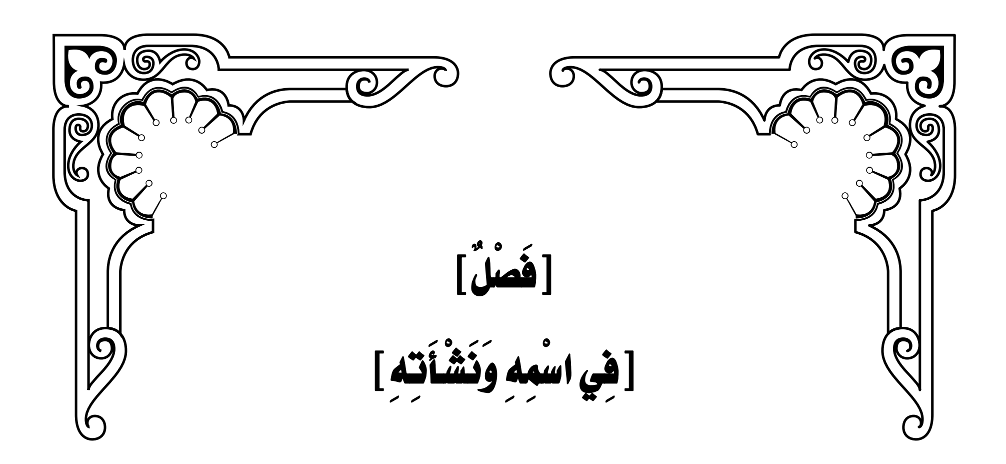
  



البَابُ الثَّالِثُ

فِي مَنَاقِبِ الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



[فَصْلٌ]

[فِي اسْمِهِ وَنَشْأَتِهِ]

وَهُوَ(١) الْإِمَامُ، الْعَلَمُ(٢)، الْحُجَّةُ الضَّابِطُ الْمُتْقِنُ الْمُجْتَهِدُ الْبَارِعُ عَالِمُ الْإِسْلَامِ وَنَاصِرُ الْحَدِيثِ؛ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ شَافِعِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ بِنْ الْمُطَّلِبِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ رَابِعِ أَجْدَادِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ الْقُرَشِيُّ، الْمُطَّلِبِيُّ، الشَّافِعِيُّ، أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ، وَوَاحِدُ أَئِمَّةِ الْمَذَاهِبِ الْمَتْبُوعَةِ.

---

(١) تنظر ترجمته في: «الأنس الجليل» لمجير الدين الحنبلي (١/ ٢٩٤)، «البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/ ٢٥١)، «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٢/ ٥٦)، «تذكرة الحفاظ» للذهبي (١/ ٣٦١)، «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ٤٤)، «تهذيب التهذيب» (٩/ ٢٥)، «حسن المحاضرة» (١/ ٣٠٣)، «حلية الأولياء» للأصبهاني (٩/ ٦٣)، «الديباج المذهب» (٢٢٧)، «طبقات الشيرازي» (٤٨)، «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٢/ ١٧٦).

(٢) في (ص): (العالم).

وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ؛ قَالَ الرَّبِيعُ: «فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَبُو حَنِيفَةَ»(١)، فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ يَخْلُفُهُ فِي فَنِّهِ.

وَعَاشَ أَرْبَعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً؛ فَهُوَ أَقْصَرُ الْأَئِمَّةِ عُمُرًا.

وَتُوُفِّيَ بِمِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ، وَدُفِنَ بِالقَرَافَةِ، وَقَبْرُهُ بِهَا ظَاهِرٌ يُزَارُ؛ عَلَيْهِ غَايَةُ الْجَلَالَةِ وَالْأُنْسِ، وَنِهَايَةُ الْوَقَارِ.

حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ أَرْبَعَ سِنِينَ، وَوُلِدَ بِغَزَّةَ فِي السَّنَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ الْأَعْلَى: «كَانَ الشَّافِعِيُّ مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ وَاضِحَ الْجَبْهَةِ، رَقِيقَ الْبَشْرَةِ، لَوْنُهُ إِلَى السُّمْرَةِ، وَفِي عَارِضَيْهِ خِفَّةٌ».

وَقَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: «كَانَ الشَّافِعِيُّ طَوِيلًا، سَائِلَ الْخَدَّيْنِ، قَلَيلَ لَحْمَةِ الْوَجْهِ، طَوِيلَ الْعُنُقِ أَسْمَرَ؛ خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ؛ يَخْضِبُ لِحْيَتَهُ بِالْحَنَّاءِ حَمْرَاءَ قَانِيَةً، حَسَنَ الصَّوْتِ وَالسَّمْتِ، عَظِيمَ الْعَقْلِ، جَمِيلَ الْوَجْهِ مَهِيبًا فَصِيحًا؛ مِنْ آدَبِ النَّاسِ، قَالَ: وَكَانَ مِسْقَامًا، وَعَلَى أَنْفِهِ أَثَرُ جِدْرِيٍّ(٢)، وَكَانَ بَادِيَ الْعَنْفَقَةِ أَبْلَجَ مُفَلَّجَ(٣) الْأَسْنَانِ».

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٢)، «مناقب البيهقي» (١ /٧٢)، «مناقب الرازي» (ص٨)، «توالي التأسيس» (ص٤٩).

(٢) في (ر): (أثر الجدري).

(٣) في (ر): (أفلج).

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: «كَانَ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَحَاسِنِ (بِالْمَحَلِّ)[1] الْأَعْلَى، وَالْمَقَامِ الْأَسْنَى؛ لِمَا جَمَعَ اللهُ لَهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَوَفَّقَ لَهُ مِنْ جَمِيعِ الصِّنَاعَاتِ، وَسَهَّلَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَاتِ.

فَمِنْ ذَلِكَ: شَرَفُ النَّسَبِ؛ لِاجْتِمَاعِهِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَدِّ جَدِّهِ عَبْدِ مَنَافٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ: شَرَفُ الْمَوْلِدِ وَالْمَنْشَإِ؛ فَإِنَّهُ وُلِدَ بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَنَشَأَ بِمَكَّةَ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْمُبَرَّزِينَ، وَنَاظَرَ الْحُذَّاقَ الْمُتْقِنِينَ[2]، وَوَجَدَ الْكُتُبَ فِي الْعُلُومِ قَدْ مُهِّدَتْ، وَالْأَحْكَامَ قَدْ قُرِّرَتْ؛ فَانْتَخَبَ وَتَخَيَّرَ وَحَقَّقَ وَخَبَرَ وَلَخَّصَ طَرِيقًا جَامِعَةً لِلْعَقْلِ وَالنَّظَرِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ كَمَا اقْتَصَرَ غَيْرُهُ؛ مَعَ مَا رُزِقَ مِنْ كَمَالِ الْفَهْمِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ وَالْبَرَاعَةِ فِي جَمِيعِ الْفُنُونِ، وَالْمَهَارَةِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، وَإِتْقَانِ مَعْرِفَةِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَدِّ بَعْضِ ذَلِكَ إِلَى بَعْضٍ؛ حَتَّى أَذْعَنَ لِفَضْلِهِ الْمُخَالِفُ وَالْمُوَافِقُ، وَاعْتَرَفَ بِتَقَدُّمِهِ الْمُفَارِقُ وَالْمُوَافِقُ.

---

(١) في (ر): (بالمجمل).

(٢) في (ر): (المفنَّنين).

فَبَارَكَ اللهُ تَعَالَى فِي عُلُومِهِ الْبَاهِرَةِ وَمَحَاسِنِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ، إِلَى أَنِ انْتَشَرَتْ تَصَانِيفُهُ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ، وَكَثُرَ الْآخِذُونَ عَنْهُ لِطَرِيقَتِهِ فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ، وَمَلَأَ عِلْمُهُ (طَبَقَ) الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا، بَرًّا وَبَحْرًا؛ فَكَانَ ذَلِكَ مِصْدَاقَ الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا قُرَيْشًا؛ فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ عِلْمًا»[(1)][(2)].

قَالَ أَبُو نُعِيمٍ: «كُلُّ عَالِمٍ مِنْ عُلَمَاءِ قُرَيْشٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَإِنْ كَانَ عِلْمُهُ قَدْ ظَهَرَ وَانْتَشَرَ لَكِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ مِنَ الشُّهْرَةِ وَالْكَثْرَةِ وَالانْتِشَارِ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ مَعَ تَبَاعُدِهَا مَا وَصَلَ عِلْمُ الشَّافِعِيِّ، حَتَّى غَلَبَ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ»[(3)].

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِيمَا رُوِيَ: أَنَّ اللهَ يُقَيِّضُ فِي رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ: «كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ

---

(١) أخرجه الطيالسيّ في «مسنده» (٢/١٩٩)، ومن طريقه أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/٢٩٥، ٩/٦٥)، وعنه الخطيب في «تاريخه» (٢/٦٠-٦١)، وابن عساكر (١٤/٤٠٩/٢)، والحافظ العراقي في «محجّة القرب» (ص١٨٤).

قال الشيخ الألباني في «السّلسلة الضعيفة» (١/٥٧٣): «ضعيف جدًّا».

(٢) «المجموع شرح المهذب» (١/٩) بتصرّف.

(٣) ينظر: «تاريخ بغداد» (٢/٦١)، «تاريخ دمشق» (٥١/٣٢٦).

الْأُولَى، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ الشَّافِعِيُّ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُخْرَى»[1].

مَن رَوَى عَنْهُ الشَّافِعِيُّ[2]:

رَوَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَوَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَيَحْيَى الْقَطَّانِ، وَمُسْلِمِ بْنِ خَالِدٍ الزَّنْجِيِّ، وَعُبَيْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَمُطَرِّفِ بْنِ مَازِنٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ الزُّهْرِيِّ، وَأَيُّوبَ بْنِ سُوَيْدٍ الرَّمْلِيِّ، وَسَعِيدِ بْنِ سَالِمٍ، وَالضَّحَّاكِ بْنِ عُثْمَانَ (الْخِزَامِيِّ)[3]، وَخَلَائِقَ مِنَ الْمَشَايِخِ؛ نَقَلَ عَنْهُمُ الْعِلْمَ مِنَ الْفِقْهِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْأَخْبَارِ؛ سَمِعَ مِنْهُمْ بِمَكَّةَ، وَالْمَدِينَةِ، وَالْيَمَنِ، وَالْعِرَاقِ، وَمِصْرَ، وَكَانَ مُكْثِرًا مِنَ الْحَدِيثِ.

وَلَمْ يُكْثِرْ مِنَ الشُّيُوخِ كَعَادَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ لِإِقْبَالِهِ عَلَى الاشْتِغَالِ بِالْفِقْهِ حَتَّى حَصَّلَ مِنْهُ مَا حَصَّلَ.

وَكَانَ مُعَظِّمًا لِلْآثَارِ مُقَدِّمًا لَهَا عَلَى الرَّأْيِ؛ مَتَى بَلَغَهُ الْحَدِيثُ لَمْ يَتَجَاوَزِ الْقَوْلَ بِمُقْتَضَاهُ، وَكَانَ مُعْظَمُ أَحَادِيثِ الْأَحْكَامِ حَاصِلَةً عِنْدَهُ.

---

(١) «الانتقاء» (ص ٧٥)، «تاريخ دمشق» (٥١/٣٣٩).

(٢) «مناقب الأئمة الأربعة» لابن عبد الهادي (ص١٠٢).

(٣) في (أ) وفي (ر): (الحزامي)، والمثبت من (ص).

وَكَانَتْ (رِئَاسَةُ)[1] الْفِقْهِ بِمَكَّةَ قَدِ انْتَهَتْ إِلَى ابْنِ جُرَيْجٍ؛ فَأَخَذَ كُتُبَهُ الَّتِي فِيهَا عِلْمُهُ عَنْ أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ:

مُسْلِمِ بْنِ خَالِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ سَالِمٍ وَهُمَا فَقِيهَانِ، وَعَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ.

وَكَانَ أَعْلَمَهُمْ بِابْنِ جُرَيْجٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ الْمَخْزُومِيُّ، وَكَانَ مِنَ الْأَثْبَاتِ.

وَانْتَهَتْ رِئَاسَةُ الْفِقْهِ بِالْمَدِينَةِ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ؛ فَرَحَلَ إِلَيْهِ وَلَازَمَهُ، وَأَخَذَ عَنْهُ.

وَانْتَهَتْ رِئَاسَةُ الْفِقْهِ بِالْعِرَاقِ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ؛ فَأَخَذَ عَنْ صَاحِبِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ حِمْلَ جَمَلٍ؛ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعَهُ عَلَيْهِ.

فَاجْتَمَعَ لَهُ عِلْمُ أَهْلِ الرَّأْيِ وَعِلْمُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فَتَصَرَّفَ فِي ذَلِكَ حَتَّى أَصَّلَ الْأُصُولَ وَقَعَّدَ الْقَوَاعِدَ، وَأَذعَنَ (لَهُ)[2] الْمُوَافِقُ وَالْمُخَالِفُ، وَاشْتُهِرَ أَمْرُهُ وَعَلَا ذِكْرُهُ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ حَتَّى صَارَ مِنْهُ مَا صَارَ.

وَرَوَى عَنْهُ الْأَئِمَّةُ مِنْ سَائِرِ الْأَمْصَارِ.

---

(١) في (أ) وفي (ص): (رئاسته).

(٢) ساقطة من (ر).

مَنْ رَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ[1]:

رَوَى عَنْهُ الأَئِمَّةُ؛ كَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِي، وَمُسْلِمِ بْنِ خَالِدٍ، (وَأَبُو) بَكْرٍ الْحُمَيْدِيُّ، وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَأَبُو ثَوْرٍ الْكَلْبِيُّ أَحَدُ الْفُقَهَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيهِ؛ أَحَدُ الأَئِمَّةِ، وَالْمُزَنِيُّ، وَالْبُوَيْطِيُّ، وَالرَّبِيعُ، وَالزَّعْفَرَانِيُّ، وَابْنُ مَاجِشُونَ الْفَقِيهُ؛ الْمَالِكِيّ، وَأَشْهَبُ الْمِصْرِيُّ؛ صَاحِبُ الإِمَامِ مَالِكٍ؛ ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِيمَنْ أَخَذَ عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَتَعَقَّبَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي «الْمَدَارِكِ»؛ فَقَالَ: «إِنَّمَا كَانَا يَتَنَاظَرَانِ»[2].

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «وَهُوَ تَعَقُّبٌ عَجِيبٌ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ حَكَى عَنْهُ شَيْئًا»[3].

وَابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمِصْرِيُّ؛ أَحَدُ الأَئِمَّةِ فِي الْفِقْهِ، وَخَلَائِقُ آخَرُونَ

---

(١) «مناقب الأئمة الأربعة» لابن عبد الهادي (ص١٠٢).

(٢) قال القاضي عياض «ترتيب المدارك» (٣/٢٦٥): «وكان الشافعي وأشهب يتصاحبان بمصر ويتذاكران الفقه. وكان ما بينهما متقارباً. وذكره أبو عمر مع عبد الله ابن عبد الحكم فيمن أخذ الشافعي من كبار أصحاب الشافعي، وإنّما كانا – يريد الشافعي وأشهب – متناظرين».

(٣) «توالي التّأسيس» (ص١٦٢).

مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ.

وَكَانَ (ما له)[1] مِنْ كِبَارِ رُوَاةِ الْفُقَهَاءِ؛ مِثْلِ أَبِي يَعْقُوبَ الْبُوَيْطِيِّ، وَحَرْمَلَةَ بْنِ يَحْيَى الْمِصْرِيِّ، وَ(أَبُو) مُحَمَّدِ[2] بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيّ، وَمُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَالرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَغَيْرِهِمْ.



(١) هكذا في جميع النّسخ.

(٢) في (ر): (محمد) بدون (أبو).



فَصْلٌ
فِي ثَنَاءِ الأَئِمَّةِ عَلَيْهِ

قَدْ أَطْنَبَ[1] النَّاسُ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ لَاسِيَّمَا الْإِمَامُ الْجَلِيلُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ: «سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: كَانَ الْفِقْهُ قِفْلًا عَلَى أَهْلِهِ حَتَّى فَتَحَهُ اللهُ بِالشَّافِعِيِّ»[2].

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: «لَقِيَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ بِمَكَّةَ؛ فَقَالَ: تَعَالَ أُرِيكَ رَجُلاً؛ لَمْ تَرَ عَيْنَاكَ مِثْلَهُ! قَالَ: فَجَاءَ، فَأَقَامَنِي عَلَى الشَّافِعِيِّ»[3].

وَرَوَى الْخَطِيبُ مِنْ طَرِيقِ صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ قَالَ: «مَشَى أَبِي مَعَ بَغْلَةِ الشَّافِعِيِّ فَبَعَثَ إِلَيْهِ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ (يَعْنِي: يُعَاتِبُهُ)؛ فَقَالَ أَحْمَدُ: لَوْ

---

(١) في (ر): (أطيب).

(٢) «تاريخ دمشق» (٥١/ ٣٤٥)، «تهذيب الأسماء» للنووي (ص ٨٦).

(٣) «الانتقاء» (ص ٧٤)، «تاريخ دمشق» (٥١/٣٢٨)، «ترتيب المدارك» (٣/١٨١).

مَشَيْتَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ لَكَانَ أَنْفَعَ لَكَ»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ أَخْرَجَهَا أَبُو نُعِيمٍ: «فَقَالَ أَحْمَدُ لِيَحْيَى: إِنْ أَرَدْتَ الْفِقْهَ فَالْزَمْ ذَنَبَ الْبَغْلَةِ»(٢).

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ: «لَوْ وُزِنَ عَقْلُ الشَّافِعِيِّ بِنِصْفِ عَقْلِ أَهْلِ الْأَرْضِ لَرَجَحَهُمْ، وَلَوْ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَاحْتَاجُوا إِلَيْهِ»(٣).

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: «مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْظَمَ مِنَّةً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنَ الشَّافِعِيِّ»(٤).

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَسَارٍ: «لَوْلَا الشَّافِعِيُّ لَدَرَسَ الْإِسْلَامُ»(٥).

وَقَالَ الْحُمَيْدِيُّ: «كَانَ ابْنُ عُيَيْنَةَ، وَمُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَعَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَشُيُوخُ أَهْلِ مَكَّةَ يَصِفُونَ

---

(١) «تاريخ بغداد» (٢/٦٦)، «تهذيب الكمال» (٢٤/ ٣٧٢).

(٢) «مناقب البيهقي» (٢/٢٥٢)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/٨٧)، «تاريخ مدينة دمشق» (٥١/٣٥٥).

(٣) «تاريخ مدينة دمشق» (٥١/٣٠٣).

(٤) «تهذيب الأسماء» (ص٨٦).

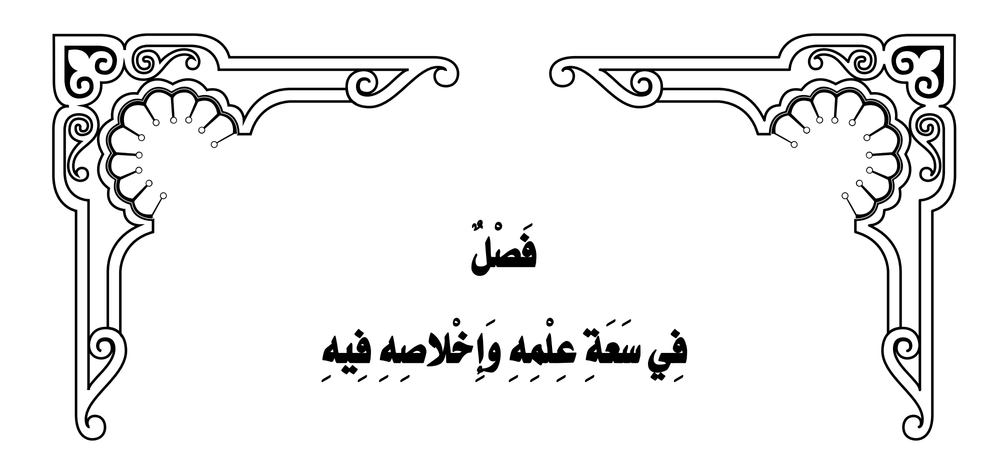
(٥) «تهذيب التهذيب» (٩/٢٧)، لكن أحمد بن سيار بدلًا من ابن يسار، والمثبَت من جميع النسخ.

الشَّافِعِيَّ، وَيَعْرِفُونَهُ مِنْ صِغَرِهِ مُقَدَّمًا عِنْدَهُمْ بِالذَّكَاءِ وَالْعَقْلِ وَالصِّيَانَةِ، لَمْ تُعْرَفْ لَهُ صَبْوَةٌ»(١).

وَثَنَاءُ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ.

(١) «تهذيب الأسماء» (ص ٨٤).



فَصْلٌ

فِي سَعَةِ عِلْمِهِ وَإِخْلَاصِهِ فِيهِ

قَالَ هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْ نُطَوِّلَ[1] عَلَى النَّاسِ لَوَضَعْتُ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ جُزْءًا؛ حُجَجٌ وَبَيَانٌ»[2].

وَقَالَ الرَّبِيعُ: «أَقَامَ الشَّافِعِيُّ هَهُنَا أَرْبَعَ سِنِينَ (يَعْنِي: بِمِصْرَ)؛ فَأَمْلَى أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةِ وَرَقَةٍ، وَخَرَّجَ كِتَابَهُ «الْأُمَّ» أَلْفَيْ وَرَقَةٍ، وَكِتَابَ السُّنَنِ، وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً كُلَّهَا فِي مُدَّةِ أَرْبَعِ سِنِينَ، وَكَانَ عَلِيلاً شَدِيدَ الْعِلَّةِ، وَرُبَّمَا خَرَجَ وَهُوَ رَاكِبٌ حَتَّى يَمْتَلِئَ سَرَاوِيلُهُ وَخُفُّهُ (يَعْنِي: مِنَ الْبَوَاسِيرِ)»[3].

وَقَالَ الرَّبِيعُ أَيْضًا: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: إِذَا وَجَدْتُمْ فِي كِتَابِي

---

(١) في (ص): (يطول).

(٢) «تاريخ مدينة دمشق» (٥١/ ٣٧٠).

(٣) «توالي التّأسيس» لابن حجر (٨٣).

خِلَافَ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَقُولُوا بِهَا، وَدَعُوا مَا قُلْتُهُ»(١).

وَاشْتُهِرَ عَنْهُ: «إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي»(٢).

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَرَابِيسِيُّ: «قَالَ الشَّافِعِيُّ: كُلُّ مُتَكَلِّمٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَا سِوَاهُ هَذَيَانٌ»(٣).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ؛ فَكَأَنَّمَا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جَزَاهُمُ اللهُ خَيْرًا؛ حَفِظُوا لَنَا الْأَصْلَ؛ فَلَهُمْ عَلَيْنَا الْفَضْلُ»(٤).



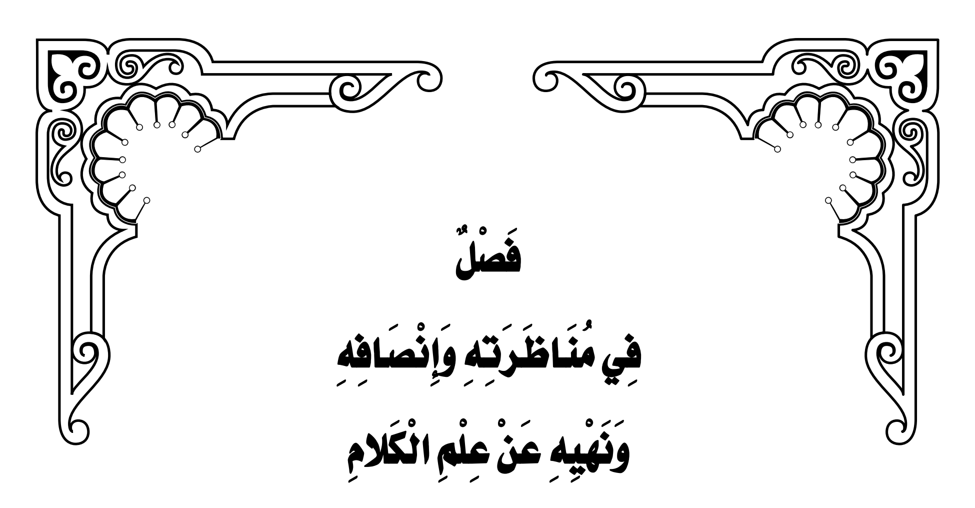
---

(١) «تاريخ الإسلام» (٥/١٥٨)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٤/٣٢١)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/٣٤)، «مناقب البيهقي» (١/٤٧٢، ٤٧٣)، «تاريخ ابن عساكر» (١٥/١٠/١)، «توالي التّأسيس» (ص٦٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/٣٥)، وللسّبكيّ رسالة تناول فيها كلمة الشافعي هذه بالشرح والبيان، وما يجب أن تحمل عليه وتقيد به سمّاها: «معنى قول المطّلبي إذا صحّ الحديث فهو مذهبي»، وهي مطبوعة ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (٣ /٩٨، ١١٤). وقد نقل عنها الحافظ في «توالي التّأسيس» (ص٦٣).

(٣) «تاريخ الإسلام» للذهبي (٥/١٦٣) وفي «السير» كذلك (١٠/٢٠) بلفظ: «قَالَ الشّافعيّ: كلّ متكلّم عَلَى الكتاب والسُّنَّة فهو الجدّ، وما سواه فهو هَذَيان».

(٤) «تاريخ الإسلام» (٥/١٦٢)، «البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/٢٧٧).



فَصْلٌ
فِي مُنَاظَرَتِهِ وَإِنْصَافِهِ وَنَهْيِهِ عَنْ عِلْمِ الْكَلامِ

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ الْخَلَّالُ[1]: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُخْطِئَ»[2].

وَعَنْهُ: «مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا عَلَى الْغَلَبَةِ»[3].

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ الشَّافِعِيُّ: «مَا سَمِعْتُ أَبِي يُنَاظِرُ أَحَدًا قَطُّ فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ»[4].

---

(١) في (ر): (الخلاد).

(٢) رواه الرازي في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص٦٧- ٦٨) بسنده إلى الشَّافِعِيّ أنّهُ قال: «مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُخْطِئَ، وَمَا فِي قَلْبِي مِنْ عِلْمٍ، إِلا وَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ، وَلا يُنْسَبُ إِلَيَّ».

(٣) «تاريخ مدينة دمشق» (٥١/٤٣٢)، «تهذيب الأسماء» (ص٩٢)، والذّهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/٢٩) بلفظ: «ما ناظرت أحدًا على الغلبة إلّا على الحقّ عندي».

(٤) «الشمائل الشريفة» للسيوطي (ص٣٦٢)، «فيض القدير» للمناوي (٥/٣٠٨).

وَقَالَ الرَّبِيعُ: «قَالَ الشَّافِعِيُّ: مَا عَرَضْتُ الْحُجَّةَ عَلَى أَحَدٍ فَقَبِلَهَا إِلَّا عَظُمَ فِي عَيْنِي، وَلَا عَرَضْتُهَا عَلَى أَحَدٍ فَرَدَّهَا إِلَّا سَقَطَ مِنْ عَيْنِي»[١].

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: «جَلَسَ الشَّافِعِيُّ يَوْمًا فِي حَلْقَتِهِ فَجَاءَ غُلَامٌ حَدَثٌ؛ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ أُخْرَى؛ فَقَالَ: أَخْطَأْتَ؛ فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ: أَخْطَأْتُ يَا ابْنَ أَخِي مَا فِي كِتَابِكَ؛ وَأَمَّا الْحَقُّ فَلَا»[٢].

وَقَالَ مَرَّةً بِمَكَّةَ: «سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ؛ أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الْمُحْرِمِ يَقْتُلُ الزُّنْبُورَ[٣]؟ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ: اقْتَدُوا (بِاللَّذَيْنِ) مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَمَرَ أَنْ يُقْتَلَ الزُّنْبُورُ»[٤].

وَقَالَ هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ: «لَوْ أَنَّ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نَاظَرَ عَلَى هَذَا الْعَمُودِ الَّذِي مِنَ حِجَارَةٍ بِأَنَّهُ مِنْ خَشَبٍ لَغَلَبَ؛ لِاقْتِدَارِهِ عَلَى

---

(١) «توالي التّأسيس» لابن حجر (ص١١٢).

(٢) «تاريخ مدينة دمشق» (٥١/ ٣٩٠).

(٣) قال الفيروز آبادي: «الزُّنْبُورُ بالضم: ذُبابٌ لَسَّاعٌ». «القاموس المحيط» (ص٥١٤).

(٤) «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٢/ ٢٢٨).

الْمُنَاظَرَةِ»[1].

وَقَالَ الْمُزَنِيُّ: «سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي الْكَلَامِ؛ فَقَالَ: سَلْنِي عَنْ شَيْءٍ إِذَا أَخْطَأْتُ فِيهِ قُلْتَ: أَخْطَأْتَ، وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ إِذَا أَخْطَأْتُ فِيهِ قُلْتَ: كَفَرْتَ»[2].

وَأَخْرَجَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ بِسَنَدِهِ الْمُتَّصِلِ إِلَى الْإِمَامِ (أَبِي ثَوْرٍ وَحُسَيْنِ)[3] بْنِ عَلِيٍّ الْكَرَابِيسِيِّ قَالَا: «سَمِعْنَا[4] الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ، وَيُحْمَلُوا عَلَى الْإِبِلِ، وَيُطَافَ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ، وَيُنَادَى عَلَيْهِمْ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ»[5].

وَمُرَادُهُ بِعِلْمِ الْكَلَامِ مَا اشْتَمَلَ عَلَى الْمَذَاهِبِ الْفَاسِدَةِ لَا مَحْضَ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ لِمَا نُقِلَ عَنِ الرَّبِيعِ أَنَّهُ قَالَ: «أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٧٦/٥١)، «حلية الأولياء» (١٠٣/٩)، «طبقات الحفاظ» (٢٨/١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٨/١٠).

(٣) في (ص) و(ر): (أبي ثور حسين)

(٤) في (ص): (سمعت).

(٥) «توالي التّأسيس» (٦٤)، «مناقب البيهقي» (٤٦٢/١)، «سير أعلام النبلاء» (٢٩/١٠).

الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: لَأَنْ يَلْقَ اللهَ الْمَرْءُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشِّرْكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «تاريخ دمشق» (٣٠٩/٥١)، «حلية الأولياء» (١١١/٩).



فَصْلٌ
فِي تَفَنُّنِهِ بِالْعُلُومِ

كَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَهُ طُولُ الْبَاعِ وَقُوَّةُ الْمَلَكَةِ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ النَّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ، وَمَدَحَهُ الْأَئِمَّةُ بِالْحَدِيثِ، وَالْفِقْهِ، وَالنَّحْوِ، وَاللُّغَةِ، وَالشِّعْرِ؛ حَتَّى إِنَّهُ مَهَرَ فِي عِلْمِ الطِّبِّ وَالنُّجُومِ.

أَخْرَجَ أَبُو نُعيمٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي حُسَيْنِ البصْرِيِّ قَالَ: «سَمِعْتُ طَبِيبًا بِمِصْرَ يَقُولُ: وَرَدَ الشَّافِعِيُّ مِصْرَ فَذَاكَرَنِي بِالطِّبِّ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْ كَلَامِ بُقْرَاطَ؛ فَأَشَارَ إِلَى الْجَامِعِ، فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَتْرُكُونَنِي»(١).

وَقَالَ حَرْمَلَةُ: «كَانَ الشَّافِعِيُّ يَتَلَهَّفُ عَلَى مَا ضَيَّعَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الطِّبِّ وَيَقُولُ: ضَيَّعُوا ثُلُثَ الْعِلْمِ، وَوَكَلُوهُ إِلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»(٢).

---

(١) «توالي التّأسيس» (ص ١١٨).

(٢) المرجع السابق (ص١١٨).

وَقَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: اِحْذَرْ أَنْ تَتَنَاوَلَ لِهَؤُلَاءِ الْأَطِبَّاءِ دَوَاءً؛ إِلَّا دَوَاءً تَعْرِفُهُ»[1].

وَأَمَّا عِلْمُ النُّجُومِ؛ فَكَانَ وَهُوَ حَدَثٌ يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، وَمَا نَظَرَ فِي شَيْءٍ إِلَّا تَفَقَّهَ فِيهِ وَفَهِمَهُ، فَجَلَسَ يَوْمًا وَامْرَأَةُ رَجُلٍ (تَطْلُقُ)؛ فَحَسَبَ؛ فَقَالَ: تَلِدُ جَارِيَةً عَوْرَاءَ عَلَى فَرْجِهَا خَالٌ، وَتَمُوتُ لِكَذَا، فَوَلَدَتْ فَكَانَ كَمَا قَالَ، فَجَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِي النُّجُومِ أَبَدًا، وَدَفَنَ الْكُتُبَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ[2].

وَأَمَّا الرَّمْيُ؛ فَقَالَ عَمْرُو (بْنُ سَوَادٍ)[3] قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: «كَانَتْ نَهْمَتِي فِي شَيْئَيْنِ: الْعِلْمِ وَالرَّمْيِ؛ فَنِلْتُ مِنَ الرَّمْيِ حَتَّى كُنْتُ أُصِيبُ[4] مِنْ عَشَرَةٍ عَشَرَةً»[5]، وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِهِ: «مِنْ كُلِّ عَشَرَةٍ تِسْعَةً»[6].

وَأَمَّا الْفَرَاسَةُ فَقَالَ الْحُمَيْدِيُّ: «خَرَجْتُ أَنَا وَالشَّافِعِيُّ مِنْ مَكَّةَ

---

(١) «آداب الشافعي» (ص٢٤٥).

(٢) «حلية الأولياء» (٩/٧٧)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/٥٧)، وردّ ابنُ القيّم هذه الرّواية، وضعّفها في «مفتاح دار السعادة» (٢/٢٢١)؛ فليراجع هناك.

(٣) في (ص): (سرادق).

(٤) في (ر): (أحييت).

(٥) «تاريخ بغداد» (٢/٥٩)، «حلية الأولياء» (٩/٧٧).

(٦) «تهذيب التهذيب» (٩/٢٤).

فَلَقِينَا رَجُلًا بِالْأَبْطَحِ؛ فَقُلْتُ لِلشَّافِعِيِّ: اذْكُرْ مَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: نَجَّارٌ أَوْ(١) خَيَّاطٌ، قَالَ: فَلَحِقْتُهُ فَسَأَلْتُهُ؛ فَقَالَ: كُنْتُ نَجَّارًا وَ(أَنَّا)(٢) الْآنَ خَيَّاطٌ»(٣).

وَقَالَ الرَّبِيعُ: «مَرَّ أَخِي فِي صَحْنِ الْجَامِعِ فَدَعَانِي الشَّافِعِيُّ؛ فَقَالَ يَا رَبِيعُ هَذَا الْمَارُّ الَّذِي يَمْشِي أَخُوكَ؟ قُلْتُ(٤): نَعَمْ، وَلَمْ يَكُنْ رَآهُ قَبْلَ ذَلِكَ»(٥).



---

(١) في (ر): (أم).

(٢) ساقطة من (ر).

(٣) «حلية الأولياء» (١٣٩/٩)، «المناقب» للبيهقي (١٣٠/٢، ١٣١).

(٤) في (ر): (فقلت).

(٥) «توالي التّأسيس» (ص١١٧).



فَصْلٌ
فِي أَخْلاقِهِ الْجَمِيلَةِ

قَالَ ابْنُ بِنْتِ الشَّافِعِيِّ: «سَمِعْتُ أُمِّي تَقُولُ: دَخَلَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ وَأَبِي نَائِمٌ، وَمَعَهَا صَبِيٌّ؛ فَجَعَلَتْ تُحَدِّثُ؛ فَبَكَى الصَّبِيُّ، فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى فِيهِ، وَخَرَجَتْ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَسْتَيْقِظَ أَبِي مِنْ بُكَائِهِ، وَكَانَتْ لَهُ هَيْبَةٌ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَآلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَنَامَ إِلَّا وَالرَّحَى يُطْحَنُ بِهَا عِنْدَ رَأْسِهِ»(١).

وَقَالَ حَرْمَلَةُ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَا كَذَبْتُ قَطُّ، وَلَا حَلَفْتُ بِاللَّهِ قَطُّ؛ لَا صَادِقًا وَلَا كَاذِبًا»(٢).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَكَمِ لِلشَّافِعِيِّ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْكُنَ الْبَلَدَ -يَعْنِي

(١) «توالي التّأسيس» (ص١١٣)، رواه عن زكريا الساجيّ قال حدثني ابن بنت الشافعي.

(٢) «تهذيب الأسماء» (ص٧٩)، ورواه أبو نعيم بسنده في «حلية الأولياء» (١٢٨/٩) عن الشّافعيّ أنّه قال: «ما حلفتُ بالله؛ لا صادقًا ولا كاذبًا قط».

مِصْرَ- فَلْيَكُنْ لَكَ قُوتُ سَنَةٍ، وَمَجْلِسٌ مِنَ السُّلْطَانِ تَتَعَزَّزُ بِهِ؛ فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَنْ لَمْ تُعِزَّهُ التَّقْوَى فَلَا عِزَّ لَهُ، لَقَدْ وُلِدْتُ بِغَزَّةَ، وَرُبِّيتُ بِالْحِجَازِ، وَمَا عِنْدَنَا قُوتُ لَيْلَةٍ، وَمَا بِتْنَا جِيَاعًا قَطُّ»[1].

وَقَالَ الرَّبِيعُ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَا شَبِعْتُ مُنْذُ سَتَّ عَشْرَةَ[2] سَنَةً؛ إِلَّا شَبْعَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ طَرَحْتُهَا[3]»[4].

وَأَمَّا كَرَمُهُ؛ فَقَالَ الرَّبِيعُ: «كَانَ الشَّافِعِيُّ إِذَا سَأَلَهُ إِنْسَانٌ اسْتَحَى مِنَ السَّائِلِ وَبَادَرَ بِإِعْطَائِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ إِذَا رَجَعَ»[5].

قَالَ الرَّبِيعُ: «وَلَقَدْ سَمِعْنَا بِالأَسْخِيَاءِ، وَكَانَ عِنْدَنَا مِنْهُمْ قَوْمٌ، وَمَا

---

(١) «تاريخ دمشق» (٥١/٣٩٧)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/٩٧)، «المناقب» للبيهقي (٢/١٦٨).

(٢) في (ر): (عشر).

(٣) في (ر): (طرحها).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٠/٣٦)، وقوله: «طرحتها»: أي تقيأتُها، روى أبو نعيم بسنده في «حلية الأولياء» (٩/١٢٧) عن الشّافعي أنّه قال: «ما شبعت منذ ستَّ عشرة سنة إلا أكلة أكلتُها فتقيّأتها». وروى ابن أبي حاتم بسنده في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص ٧٨) عن الشَّافِعِيّ أنّهُ قال: «مَا شَبِعْتُ مُنْذُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، إِلّا شَبْعَةً اطَّرَحْتُهَا، يَعْنِي فَطَرَحْتُهَا؛ لأَنَّ الشِّبَعَ يُثْقِلُ الْبَدَنَ، وَيُقَسِّي الْقَلْبَ، وَيُزِيلُ الْفِطْنَةَ، وَيَجْلِبُ النَّوْمَ، وَيُضْعِفُ صَاحِبَهُ عَنِ الْعِبَادَةِ».

(٥) «توالي التّأسيس» (ص١٢٢).

رَأَيْنَا مِثْلَ الشَّافِعِيِّ»[١].

وَقَالَ الرَّبِيعُ: «رَأَيْتُ الشَّافِعِيَّ رَاكِبَ حِمَارٍ، فَسَقَطَ سَوْطُهُ؛ فَوَثَبَ غُلَامٌ، فَمَسَحَ السَّوْطَ بِكُمِّهِ وَنَاوَلَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ لِغُلَامِهِ: ادْفَعْ تِلْكَ الدَّنَانِيرَ الَّتِي مَعَكَ لِهَذَا الْفَتَى، قَالَ: مَا أَدْرِي كَانَتْ تِسْعَةً أَوْ سَبْعَةً»[٢].

وَقَالَ الرَّبِيعُ: «عَمِلَ الشَّافِعِيُّ وَلِيمَةً؛ فَلَمَّا أَنْ أَكَلَ النَّاسُ، قَالَ لِلْبُوَيْطِيِّ: اِجْلِسْ فَكُلْ؛ فَقُلْتُ: مَنْ أَذِنَ لَنَا أَنْ نَأْكُلَ؛ قَالَ: فَسَمِعَ الشَّافِعِيُّ؛ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ مَالِي كُلِّهِ»[٣].

قَالَ: «وَرَآنِي قَدْ كَتَبْتُ حِسَابَ النَّفَقَةِ؛ قَالَ: لَا تُضَيِّعْ قَرَاطِيسَكَ بَاطِلًا؛ فَلَسْتُ أَنْظُرُ فِي حِسَابٍ؛ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أُمَّ أَبِي الْحَسَنِ -يَعْنِي وَلَدَهُ- رُبَّمَا طَلَبَتِ الشَّيْءَ؛ فَأَشْتَرِي لَهَا، وَلَمْ تَأْذَنْ[٤] لِي؛ فَقَالَ: يَا طَوِيلَ الرُّقَادِ!! أَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ مَالِي كُلِّهِ»[١].

---

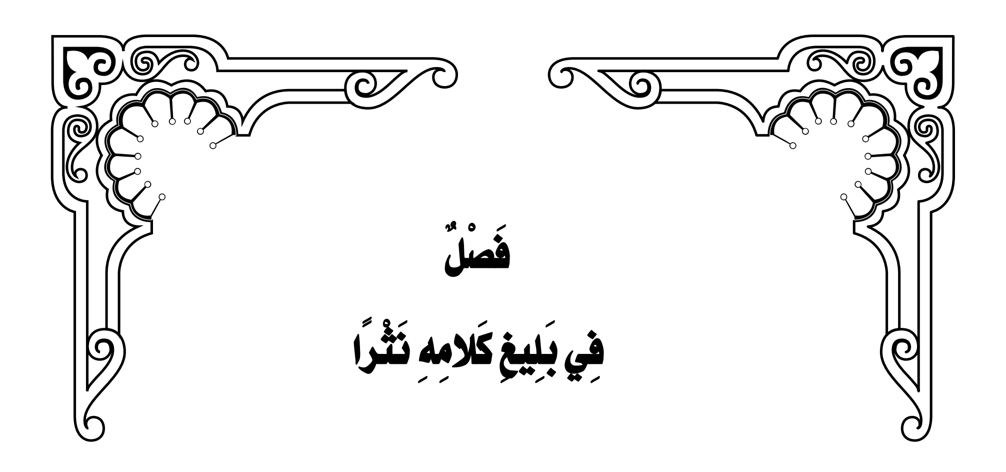
(١) المرجع السابق.

(٢) «تاريخ الإسلام» (١٥٩/٥)، «سير أعلام النبلاء» (٣٧/١٠)، «تاريخ ابن عساكر» (٢/١٣/١٥)، «المناقب» للبيهقي (٢٢١/٢)، «المناقب» للرازي (١٢٨).

(٣) «توالي التّأسيس» (ص١٢٤).

(٤) في (ر): (تأذ).

(١) «توالي التّأسيس» (ص١٢٥).



فَصْلٌ
فِي بَلِيغِ كَلامِهِ نَثْرًا

وَهُوَ كَثِيرٌ جِدًّا؛ مِنْهُ مَا قَالَهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سِيَاسَةُ النَّاسِ أَشَدُّ مِنْ سِيَاسَةِ الدَّوَابِّ»(١).

وَقَالَ: «إِنَّ لِلْعَقْلِ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ؛ كَمَا أَنَّ لِلْبَصَرِ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ»(٢).

وَقَالَ: «لِلْمُرُوءَةِ أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالسَّخَاءُ، وَالتَّوَاضُعُ، وَالشُّكْرُ»(٣).

وَقَالَ: «لَا يَكْمُلُ الرَّجُلُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِأَرْبَعٍ: الدِّيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ وَالصِّيَانَةُ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم بسنده في «مناقبه» (ص٢٠٧)، «سير أعلام النبلاء» (٩٨/١٠)، «توالي التّأسيس» (ص١٣٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم بسنده في «مناقبه» (ص٢٠٧).

(٣) «توالي التّأسيس» (ص١٣٤)، «تهذيب الأسماء» (ص٨٠).

وَالرَّزَانَةُ»(١).

وَقَالَ: «الانْبِسَاطُ إِلَى النَّاسِ مَجْلَبَةٌ لِقُرَنَاءِ السُّوءِ، وَالانْقِبَاضُ عَنْهُمْ مَكْسَبَةٌ لِلْعَدَاوَةِ؛ فَكُنْ بَيْنَ الْمُنْقَبِضِ وَالْمُنْبَسِطِ»(٢).

وَقَالَ: «مَا أَكْرَمْتُ أَحَدًا فَوْقَ مِقْدَارِهِ إِلَّا اتَّضَعَ مِنْ قَدْرِي عِنْدَهُ بِمِقْدَارِ مَا أَكْرَمْتُهُ»(٣).

وَقَالَ: «مَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى مَنْ هُمْ دُونَهُ إِلَّا بَسَطُوا أَلْسِنَتَهُمْ فِيهِ»(٤).

وَقَالَ: «أَصْلُ كُلِّ عَدَاوَةٍ: الصَّنِيعَةُ إِلَى الأَنْذَالِ»(٥).

وَقَالَ: «مَنْ أَحْسَنَ ظَنَّهُ بِلَئِيمٍ؛ كَانَ أَدْنَى عُقُوبَتِهِ: الْحِرْمَانُ»(٦).

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٩٨)، «المناقب» للبيهقي (٢/١٨٩)، «المناقب» للرازي (ص١٢٢).

(٢) «حلية الأولياء» (٩/١٢٢)، «توالي التّأسيس» (ص١٣٤)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/٨٩).

(٣) «تهذيب الأسماء» (ص ٨٢)، «توالي التّأسيس» (ص١٣٤).

(٤) «حلية الأولياء» (٩/١١٧)، «توالي التّأسيس» (ص١٣٤).

(٥) «توالي التّأسيس» (ص١٣٥)، وفي «تاريخ دمشق» (٢٧/٢٣٥)، و«حلية الأولياء» (٦/٣٩٠) بلفظ: «وجدنا أو (أصبنا) أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللّئام».

(٦) «توالي التّأسيس» (ص١٣٥)

وَقَالَ: «صُحْبَةُ مَنْ لَا يَخَافُ الْعَارَ عَارٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

وَقَالَ: «أَظْلَمُ الظَّالِمِينَ لِنَفْسِهِ؛ مَنْ تَوَاضَعَ لِمَنْ لَا يُكْرِمُهُ، وَرَغِبَ فِي مَوَدَّةِ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ، وَقَبِلَ مَدْحَ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ»[2].

وقال: «طُبِعَ ابْنُ آدَمَ عَلَى اللُّؤْمِ؛ فَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَقَرَّبَ مِمَّنْ يَتَبَاعَدُ مِنْهُ، وَيَتَبَاعَدَ مِمَّنْ يَتَقَرَّبُ مِنْهُ»[3].

وَقَالَ: «خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي خَمْسِ خِصَالٍ: غِنَى النَّفْسِ، وَكَفِّ الْأَذَى، وَكَسْبِ الْحَلَالِ، وَلِبَاسِ التَّقْوَى، وَالثِّقَةِ بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ»[4].

وَقَالَ: «الشَّفَاعَاتُ زَكَاةُ الْمُرُوءَاتِ»[5].

وَقَالَ: «زِينَةُ الْعُلَمَاءِ التَّقْوَى، وَحِلْيَتُهُمْ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَجَمَالُهُمْ كَرَمُ النَّفْسِ»[6].

---

(١) «تهذيب الأسماء» (ص٨٢)، «تاريخ بغداد» (٢٤٨/١٤).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١٠٠/٢)، «توالي التّأسيس» (ص١٣٥).

(٣) «توالي التّأسيس» (ص١٣٥)، وفيه: (أَنْ يَتَقَرَّبَ مِمَّنْ يَتَبَاعَدُ عَنْهُ) بدل (منه).

(٤) «تهذيب الأسماء» (ص٧٩)، «سير أعلام النبلاء» (٩٧/١٠)، «المناقب» للبيهقي (١٧٠/٢).

(٥) «تهذيب الأسماء» (ص٨٠)، «توالي التّأسيس» (ص١٣٥).

(٦) هكذا في «توالي التّأسيس» (ص١٣٥)، وفي «تهذيب الأسماء» (ص٧٨) بلفظ: «زينة العلماء التوفيق، وحليتهم حسن الخلق، وجمالهم كرم النفس».

وقال: «مَنْ لَا يُحِبُّ الْعِلْمَ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا يَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ وَلَا صَدَاقَةٌ»[1].

وَقَالَ: «مَنْ أَظْهَرَ شُكْرَكَ بِمَا لَمْ تَأْتِ إِلَيْهِ؛ فَاحْذَرْ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْكَ نِعْمَتَكَ فِيمَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ»[2].

وَقَالَ: «مِنْ عَلَامَةِ[3] الصَّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لِصَدِيقِ صَدِيقِهِ صَدِيقًا»[4].

وَقَالَ: «إِنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ كُلَّهُمْ؛ فَأَصْلِحْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ، ثُمَّ لَا تُبَالِ بِالنَّاسِ»[5].

وَقَالَ: «مَنِ اسْتُغْضِبَ وَلَمْ يَغْضَبْ؛ فَهُوَ حِمَارٌ، وَمَنِ اسْتُرْضِيَ وَلَمْ يَرْضَ؛ فَهُوَ شَيْطَانٌ»[6].

وَقَالَ: «التَّلَطُّفُ فِي الْحِيلَةِ أَجْدَى مِنَ الْوَسِيلَةِ»[1].

---

(١) هكذا في «تاريخ دمشق» (٥١/٤٠٨)، وفي «توالي التّأسيس» (ص١٣٦) بلفظ: «ولا يكن بينك وبينه..».

(٢) «الانتقاء» (ص٩٠)، «توالي التّأسيس» (ص١٣٦).

(٣) في (ر): (علامات).

(٤) «تهذيب الأسماء» للنّووي (ص٨٠)، «توالي التّأسيس» (ص١٣٦).

(٥) «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢/١٨٤)، «توالي التّأسيس» (ص١٣٦).

(٦) «تاريخ دمشق» (٥١/٤١٤)، «حلية الأولياء» (٩/١٤٣)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/٤٢).

(١) «توالي التّأسيس» (ص١٣٦).

وَقَالَ: «لَا تُشَاوِرْ مَنْ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ دَقِيقٌ»[1].

وَقَالَ: «مَنْ نَمَّ لَكَ نَمَّ بِكَ، وَمَنْ نَقَلَ إِلَيْكَ نَقَلَ عَنْكَ، وَمَنْ إِذَا أَرْضَيْتَهُ؛ قَالَ فِيكَ مَا لَيْسَ فِيكَ، (كَذَلِكَ إِذَا أَغْضَبْتَهُ؛ قَالَ فِيكَ مَا لَيْسَ فِيكَ)[2]»[3].

وَقَالَ: «أَشَدُّ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ: الْجُودُ مِنْ قِلَّةٍ، وَالْوَرَعُ فِي خَلْوَةٍ، وَكَلِمَةُ الْحَقِّ عِنْدَ (مَنْ يُرْجَى وَيُخَافُ)[4]»[5].

وَقَالَ: «مَنْ طَلَبَ الرِّيَاسَةَ فِي غَيْرِ حِينِهَا ذَلَّ مَا بَقِيَ»[6].

---

(١) رواه ابن عبد البر في «الانتقاء» (ص٨٧) بسنده عن الشافعي، وهو كذلك في «توالي التّأسيس» (ص١٣٦)، ورواه الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١٠/٣) عن الزهري من قوله.

(٢) ساقطة من (ص).

(٣) «تهذيب الأسماء» (ص٨٠)، «توالي التّأسيس» (ص١٣٦).

(٤) في (ص): (من لم يرجى ويخاف)، وهو خطأ.

(٥) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١١/٥١)، «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢٥١/٢).

(٦) أورده ابن حجر في «توالي التّأسيس» (ص١٣٧) من قول الشافعي، ورواه ابن عبد البر في «الانتقاء» (ص١٦٢) بسنده عن أبي حنيفة: أنّ «عبد الله بن المبارك قال: سمعتُ أبا حنيفة يقول: «من طلب الرياسة في غير حينه لم يزل في ذلٍّ ما بقي، وأنشد ابن المبارك:

حبُّ الرياسة داءٌ لا دواءَ له ❊❊ وقَلَّما تجدُ الراضين بالقسم».



فَصْلٌ
فِي بَلِيغِ كَلامِهِ شِعْرًا

كَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي الشِّعْرِ قُوَّةُ الْمَلَكَةِ، وَمَزِيدُ الرَّغْبَةِ فِيهِ حَتَّى حَفِظَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ بَيْتٍ مِنْ أَشْعَارِ هُذَيْلٍ، قَالَ يَوْمًا وَقَدْ أَخَذَ بِيَدِ الْمُزَنِيِّ[1]:

أُحِبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلَّ مُوَاتِي * وَكُلَّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ عَثَرَاتِي

يُصَاحِبُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أُحِبُّهُ * وَيَحْفَظُنِي حَيّاً وَبَعْدَ وَفَاتِي[2]

فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ لَيْتَ أَنِّي أَصَبْتُهُ * أُقَاسِمُهُ مَالِي مَعَ الْحَسَنَاتِ

وَقَالَ[3]:

وَمِنَ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ * وَمَنْ تُحِبُّ يُحِبُّ غَيْرَكْ

(١) «تاريخ دمشق» (٥١/٤١٧)، «توالي التّأسيس» (ص١٤١).

(٢) في (ص): (مماتي).

(٣) «تاريخ دمشق» (١٢/٣٠)، «توالي التّأسيس» (ص١٤٠).

أَوْ أَنْ تُرِيـــدَ الْخَـــيْرَ لِلْإِنْـــ * سَـــانِ وَهْـــوَ يُرِيـــدُ ضَـــيْرَكْ

وَقَالَ[1]:

وَمَنْزِلَـةُ السَّـفِيهِ مِـنَ الْفَقِيـهِ[2] * كَمَنْزِلَـةِ الْفَقِيـهِ مِـنَ السَّـفِيهِ

فَهَـــذَا زَاهِـــدٌ فِي عِلْـــمِ هَـــذَا * وَهَـــذَا فِيـــهِ أَزْهَـــدُ مِنْـــهُ فِيـــهِ

إِذَا غَلَـبَ الشَّـقَاءُ عَـلَى سَـفِيهٍ * تَقَطَّـــعَ فِي مُخَالَفَـــةِ الْفَقِيـــهِ

وَقَالَ[3]:

وَأَنْزَلَنِي طُولُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ * يُجَاوِرُنِي مَنْ لَيْسَ مِثْلِي مُشَاكِلُهْ

فَجَانَبْتُـهُ حَتَّـى يُقَـالَ سَـجِيَّةٌ * وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهْ

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «لَقِيتُ الشَّافِعِيَّ فَقُلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ[4]:

---

(١) «ترتيب المدارك» (٣/١٩٢)، «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١/٢٩٨).

(٢) في (ر): (الفقه).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (١/٣٠٦) بلفظ: «أحامِقُهُ حتّى يقال سجيّة»، وفي موضع آخر (١/٣٠٧): «فحامقْتُهُ حتى يقال سجيّة». وفي «حلية الأولياء» (٩/١٥٢) بلفظ: «تحمَّلْتُهُ حتّى يقال سجيّة».

(٤) «الانتقاء» (ص١٠٢)، «تاريخ بغداد» (٢/٧٠)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/٧٧)، «المناقب» للبيهقي(٢/١٠٨)، «معجم الأدباء» (١٧/٣١٩، ٣٢٠)، «عيون التواريخ» (٧/١٧٩)، بألفاظ متقاربة.

أَرَانِي أَرَى نَفْسِي تَتُوقُ إِلَى مِصْرَ * وَمِنْ دُونِهَا أَرْضُ الْمَفَاوِزِ وَالْقَفْرِ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَلِلْخَفْضِ وَالْغِنَى * أُسَاقُ إِلَيْهَا، أَمْ أُسَاقُ إِلَى قَبْرِي





فَصْلٌ

فِي صِفَةِ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ وَهْبٍ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: قَدِمْتُ مَكَّةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ أَوْ شِبْهُهَا؛ فَصِرْتُ إِلَى نَسِيبٍ لِي قَالَ: فَرَآنِي أَطْلُبُ الْعِلْمَ؛ فَقَالَ لِي: لَا تَعْجَلْ لِهَذَا وَأَقْبِلْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ- يَعْنِي التَّكَسُّبَ- قَالَ فَجَعَلْتُ لَذَّتِي فِي الْعِلْمِ وَطَلَبِهِ حَتَّى رَزَقَ اللهُ مِنْهُ مَا رَزَقَ»(١).

وَقَالَ الرَّبِيعُ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: قَدِمْتُ عَلَى مَالِكٍ، وَقَدْ حَفِظْتُ الْمُوَطَّأَ؛ فَقُلْتُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ عَنْكَ الْمُوَطَّأَ فَقَالَ: اطْلُبْ مَنْ يَقْرَأُ لَكَ، فَقُلْتُ: لَا عَلَيْكَ أَنْ تَسْمَعَ قِرَاءَتِي؛ فَإِنْ سَهُلَ عَلَيْكَ قَرَأْتُ لِنَفْسِي، فَعَادَ فَأَعَدْتُ؛ فَقَالَ: اقْرَأْ؛ فَلَمَّا سَمِعَ قِرَاءَتِي قَالَ: اقْرَأْ؛ فَقَرَأْتُ حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهُ»(٢).

---

(١) «تهذيب الكمال» (٢٤/ ٣٦٢)، «تاريخ الإسلام» ت بشار (٥/ ١٤٨).

(٢) «الانتقاء» (ص٦٨)، «تاريخ دمشق» (٥١/ ٢٩٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٤).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: أَنَا قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ قِرَاءَتِي، قَالَ أَحْمَدُ: لِأَنَّهُ كَانَ فَصِيحًا»(١).

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى....(٢) يَقُولُ: «مَا اشْتَدَّ عَلَيَّ فَوْتُ أَحَدٍ مِثْلَ فَوْتِ اللَّيْثِ وَابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، وَكَانَ فَقِيهَ الْمَدِينَةِ فِي زَمَنِ مَالِكٍ وَقَبْلَهُ، وَكَانَ يَقْدُمُهُ فِي الْوَرَعِ»(٣).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَتَبْتُ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَكْتُبَ، ثُمَّ كُنْتُ

---

(١) «آداب الشافعي ومناقبه» للرازي (ص٢٣)، «الانتقاء» (ص٧٥)، تاريخ دمشق (٥١/ ٢٩٦).

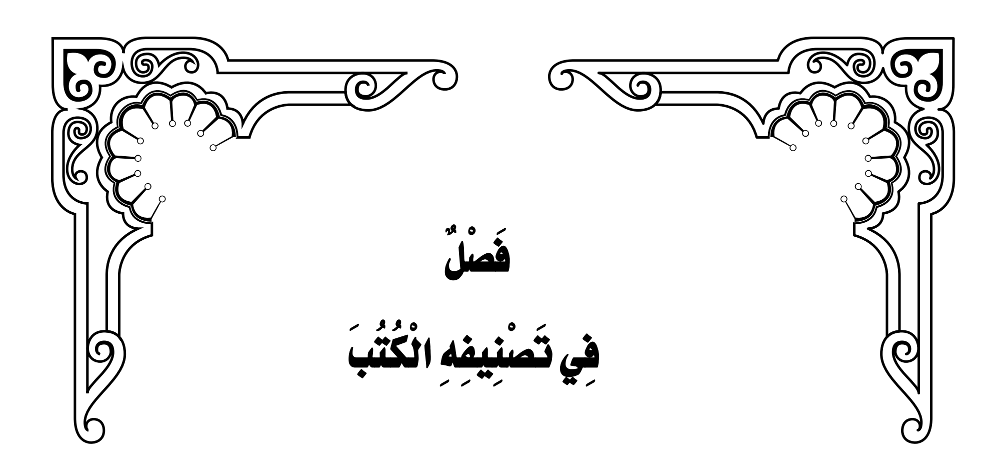
(٢) هنا سقْط في جميع النسخ، وقد أثبتُّ الرّواية كاملة في الهامش التالي، وفيها التّصريح بالتّحديث.

(٣) «حلية الأولياء» (٩/ ١٢٦)، «تاريخ دمشق» (٥٠/ ٣٥٨)، ورواه ابن أبي حاتم بسنده في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص٢٣)؛ عن يُونُس بْن عَبْدِ الأَعْلَى أنّه قَالَ: «قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ: مَا اشْتَدَّ عَلَيَّ فَوْتُ أَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِثْلَ فَوْتِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، وَاللَّيْثِ ابْنِ سَعْدٍ. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لأَبِي، فَقَالَ: مَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ أدْرَكَهُمَا حَتَّى يَأْسَفَ عَلَيْهِمَا». وتعقبه ابن حجر في «التّوالي» (ص٥٧)؛ فقال: «أما الليث، فأدركه، فإنه حين اجتمع بمالك، وقرأ عليه في «الموطأ» كان موجودًا لكن بمصر، وأسف أن لا يكون له إذ ذاك معرفة بقدر الليث، فكان يرحل إليه، أو كان يعرفه، لكن لم يكن له قدرة على الرحلة إليه، وأسف على فوته، وأمّا ابن أبي ذئب، فمات والشافعي ابن تسع سنين بالمدينة، والشافعي إذ ذاك صغير، ولا يلزم من ذلك أن لا يصح منه الأسف على فوت لقيه، بمعنى أنه أسف أن لا يكون له إدراك زمانه».

أُجَالِسُ مُسْلِمَ بْنَ خَالِدٍ الزَّنْجِيَّ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَإِنْ كُنْتُ لَأَسِيرُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ، وَسُمِّيتُ بِمَكَّةَ نَاصِرَ الْحَدِيثِ، وَكُنْتُ أَكْتُبُ فِي الْعَظْمِ فَإِذَا كَثُرَ طَرَحْتُهُ فِي جَرَّةٍ عَظِيمَةٍ»[(١)].



(١) أصل كلامه في: «تاريخ دمشق» (٥١/٢٩٠)، «حلية الأولياء» (٩/٧٠)، «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/١٢١)، والذي وقفت عليه في مواضع كثيرة أنّه سمي في العراق بـ «ناصر الحديث»؛ ينظر: «تاريخ بغداد» ت بشار (٢/٤٠٨)، «شذرات الذهب» (٢/٩)، «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (١٤/٣١٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/٤٧).



فَصْلٌ
فِي تَصْنِيفِهِ الْكُتُبَ

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ[١]: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: أَنْفَقْتُ عَلَى كُتُبِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ سِتِّينَ دِينَارًا، ثُمَّ تَدَبَّرْتُهَا؛ فَوَضَعْتُ إِلَى جَنْبِ كُلِّ مَسْأَلَةٍ حَدِيثًا، يَعْنِي رَدًّا عَلَيْهِ»[٢].

وَقَالَ الْبُوَيْطِيُّ[٣]: «قَالَ الشَّافِعِيُّ: اجْتَمَعَ عَلَيَّ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ؛ فَسَأَلُونِي أَنْ أَضَعَ عَلَى كِتَابِ أَبِي حَنِيفَةَ؛ فَقُلْتُ: لَا أَعْرِفُ قَوْلَهُمْ حَتَّى أَنْظُرَ فِي كُتُبِهِمْ، فَأَمَرْتُ فَكُتِبَتْ لِي كُتُبُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، فَنَظَرْتُ فِيهَا سَنَةً، حَتَّى حَفِظْتُهَا، ثُمَّ وَضَعْتُ «الْكِتَابَ الْبَغْدَادِيَّ» -يَعْنِي:

---

(١) في (ر): (بن سريج).

(٢) «حلية الأولياء» (٩/٧٨)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» ت بشار (٥/١٥٢)، ثمّ قال بعد إيراد قوله هذا: «قلتُ: وكان الشّافعيّ مَعَ فَرْط ذكائه يستعمل ما يزيده حفظًا وذكاءً».

(٣) في (ر): (البوطي).

الْحُجَّةَ»(١).

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: «قَرَأْتُ فِي كِتَابِ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى السَّاجِيِّ فِيمَا حَدَّثَهُ الْمِصْرِيُّونَ: أَنَّ الشَّافِعِيَّ إِنَّمَا وَضَعَ الْكِتَابَ عَلَى مَالِكٍ لِأَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُ أَنَّ بِالْأَنْدَلُسِ قَلَنْسُوَةً لِمَالِكٍ يُسْتَسْقَى بِهَا، وَكَانَ يُقَالُ لَهُمْ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَيَقُولُونَ: (قَالَ مَالِكٌ)؛ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: إِنَّ مَالِكًا بَشَرٌ يُخْطِئُ(٢)، فَدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى تَصْنِيفِهِ الْكِتَابَ فِي اخْتِلَافِهِ مَعَهُ»(٣).

وَكَانَ يَقُولُ: «اسْتَخَرْتُ اللهَ فِي ذَلِكَ سَنَةً»(٤).

وَلَمَّا وَضَعَ الشَّافِعِيُّ كِتَابَ الرَّدِّ عَلَى الْمَالِكِيَّةِ سَعَوْا بِهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ، وَقَالُوا لَهُ: أَخْرِجْهُ عَنَّا، وَإِلَّا فَتَنَ الْبَلَدَ؛ فَهَمَّ بِذَلِكَ، فَأَتَاهُ الشَّافِعِيُّ وَالْهَاشِمِيُّونَ فَكَلَّمُوهُ فَامْتَنَعَ، وَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ كَرِهُوهُ، وَأَخْشَى الْفِتْنَةَ فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ: أَجِّلْنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَأَجَّلَهُ(٥)؛ فَمَاتَ الْوَالِي فَجْأَةً فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، وَكُفِيَ الشَّافِعِيُّ أَمْرَهُ، فَأَقَامَ الشَّافِعِيُّ إِلَى أَنْ مَاتَ»(٦).

---

(١) «توالي التّأسيس» (ص١٤٧).

(٢) في (أ) و(ص): (معطي).

(٣) «توالي التّأسيس» (ص١٤٧). .

(٤) المرجع السّابق (ص١٤٨).

(٥) ساقطة من (ر).

(٦) «توالي التّأسيس» (ص١٨٢).

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ مَحْفُوظٍ[1] قَالَ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: يَقُولونُ إِنِّي إِنَّمَا أُخَالِفُهُمْ لِلدُّنْيَا، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَالدُّنْيَا مَعَهُمْ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْإِنْسَانُ الدُّنْيَا لِبَطْنِهِ وَفَرْجِهِ، وَقَدْ مُنِعْتُ مَا أَلَذُّ مِنَ الْمَطَاعِمِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى النِّكَاحِ -يَعْنِي لِمَا كَانَ بِهِ مِنَ الْبَوَاسِيرِ- وَلَكِنْ لَسْتُ أُخَالِفُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

وَقَالَ حَرْمَلَةُ: «كَانَ الشَّافِعِيُّ يَجْلِسُ إِلَى هَذِهِ الأَسْطُوَانَةِ فِي الْمَسْجِدِ فَيُلْقَى لَهُ طِنْفَسَةٌ فَيَجْلِسُ عَلَيْهَا، وَيَنْحَنِي لِوَجْهِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ مِسْقَامًا، فَصَنَّفَ هَذِهِ الْكُتُبَ فِي أَرْبَعِ سِنِينَ»[3].

وَقَالَ الرَّبِيعُ: «أَلَّفَ الشَّافِعِيُّ هَذَا الْكِتَابَ -يَعْنِي الْمَبْسُوطَ- حِفْظًا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ كُتُبٌ»[4].

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: «كَانَ الشَّافِعِيُّ يَضَعُ الْكِتَابَ مِنْ غَدْوَةٍ إِلَى الظُّهْرِ»[5].

---

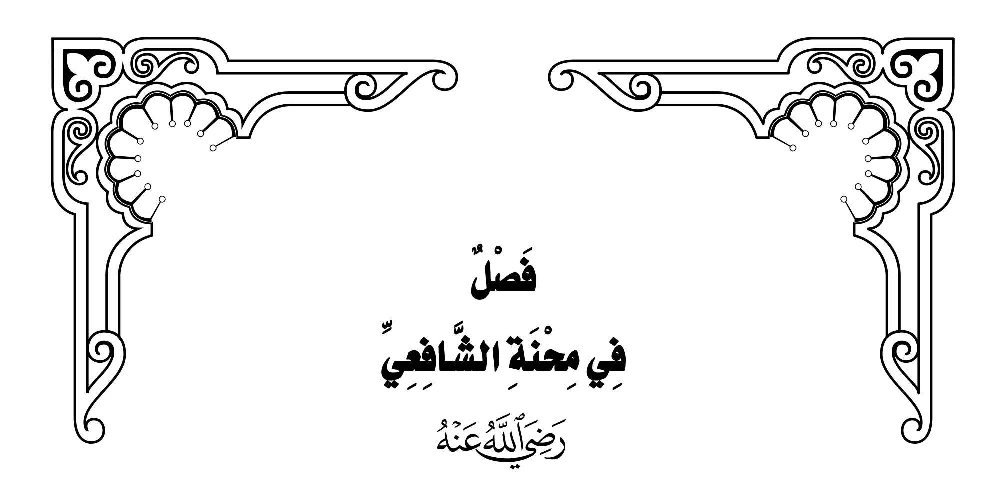
(١) هو: محفوظ بن أبي توبة. قال ابن حجر: «سمع عبد الرزاق؛ ضعّف أحمد أمرَه جدًّا، وقال: كان يسمع معنا باليمن، ولم يكن ينسخ». «لسان الميزان» (١٩/٥).

(٢) «توالي التّأسيس» (ص ١٤٩).

(٣) «توالي التّأسيس» (ص١٥٣).

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق (١٥٠).



فَصْلٌ
فِي مِحْنَةِ الشَّافِعِيِّ

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

كَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَلِيَ وِلَايَةً بِالْيَمَنِ وَحَمِدَهُ النَّاسُ لِعَدْلِهِ وَأَثْنَوا عَلَيْهِ.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «فَلَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي يَحْيَى؛ فَلَامَنِي عَلَى دُخُولِي[١] فِي الْعَمَلِ، ثُمَّ لَقِيتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ فَرَحَّبَ بِي وَقَالَ لِي: قَدْ بَلَغَنِي حُسْنُ مَا انْتَشَرَ عَنْكَ، وَمَا أَدَّيْتَ كُلَّ الَّذِي عَلَيْكَ فَلَا تَعُدْ؛ فَكَانَتْ مَوْعِظَةُ ابْنِ عُيَيْنَةَ أَنْفَعَ لِي، ثُمَّ وُلِّيتُ نَجْرَانَ»[٢].

وَقَالَ الْكَرَابِيسِيُّ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: كَتَبَ مُطَرِّفٌ إِلَى الرَّشِيدِ: إِنْ أَرَدْتَ الْيَمَنَ لَا يَفْسُدُ عَلَيْكَ؛ فَأَخْرِجْ عَنَّا مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسٍ...؛ وَذَكَرَ قَوْمًا مِنَ الطَّالِبِينَ؛ قَالَ: فَبَعَثَ إِلَى حَمَّادٍ الْبَرْبَرِيِّ؛

---

(١) هنا بلغ مقابلة على أصل مؤلفه.

(٢) «توالي التّأسيس» (ص١٢٧)، وبنحوه «تاريخ دمشق» (٥١/٢٨٣).

فَوُثِّقْتُ فِي الْحَدِيدِ فَقَدِمْنَا عَلَى هَارُونَ بِالرَّقَّةِ»[1].

(وَعَنِ الرَّبِيعِ أَنَّ الشَّافِعِيَّ قَالَ: «خَرَجْتُ إِلَى الْيَمَنِ)[2]، فَأَقَمْتُ بِهَا شَهْرًا وَارْتَفَعَ لِي بِهَا شَأْنٌ، وَكَانَ بِهَا وَالٍ مِنْ قِبَلِ الرَّشِيدِ، وَكَانَ ظَلُومًا غَشُومًا؛ فَكُنْتُ رُبَّمَا أَخَذْتُ عَلَى يَدَيْهِ وَمَنَعْتُهُ مِنَ الظُّلْمِ، وَكَانَ بِالْيَمَنِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ قَدْ تَحَرَّكُوا؛ فَكَتَبَ الْوَالِي إِلَى الرَّشِيدِ أَنَّ الْعَلَوِيِّينَ قَدْ تَحَرَّكُوا وَأَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا، وَأَنَّ هَهُنَا رَجُلاً مِنْ وَلَدِ شَافِعِ بْنِ السَّائِبِ مِنْ وَلَدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَمْرَ لِي مَعَهُ وَلَا نَهْيَ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ، قَالَ: فَقُرِنْتُ مَعَهُمْ، قَالَ: فَبَلَغَنِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ[3] -وَكَانَ نَدِيمَ هَارُونَ- أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ هَارُونَ حِينَ أُدْخِلُوا عَلَيْهِ، فَقَتَلَ الْعَلَوِيَّةَ، والْتَفَتَ إِلَى مُحَمّدِ بْنِ الْحَسَنِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَا يَغْلِبَنَّكَ هَذَا بِفَصَاحَتِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ رَجُلٌ لَسِنٌ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَقُلْتُ لَهُ: مَهْلاً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّكَ الرَّاعِي وَأَنَا

---

(١) في جميع النسخ: (اليزيدي)، والمثبت مصحّح مِن كتب التّاريخ، ينظر: «حلية الأولياء» (٩/ ٧٠)، «آداب الشافعي» (ص٢٤)، «توالي التّأسيس» (ص ١٢٨).

(٢) ساقطة من (ص).

(٣) في (ص): (دينار).

الْمَرْعِيُّ، وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى مَا تُرِيدُ مِنِّي؛ مَا تَقُولُ فِي رَجُلَيْنِ[1] أَحَدُهُمَا يَرَانِي أَخَاهُ وَالْآخَرُ يَرَانِي عَبْدَهُ؛ أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ؟

قَالَ: الَّذِي يَرَاكَ أَخَاهُ، قُلْتُ: فَأَنْتَ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنَّكُمْ وَلَدُ الْعَبَّاسِ وَهُوَ وَلَدُ عَلِيٍّ، وَنَحْنُ إِخْوَتُكُمْ مِنْ بَنِي الْمُطَّلِبِ، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَنَا إِخْوَةً وَهُمْ يَرَوْنَنَا عَبِيدًا.

قَالَ: فَسُرِّيَ عَنْهُ[2] مَا كَانَ، وَاسْتَوَى جَالِسًا، وَقَالَ عِظْنِي فَوَعَظْتُهُ[3] إِلَى أَنْ بَكَى ثُمَّ أَمَرَ لِي بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ»[4].

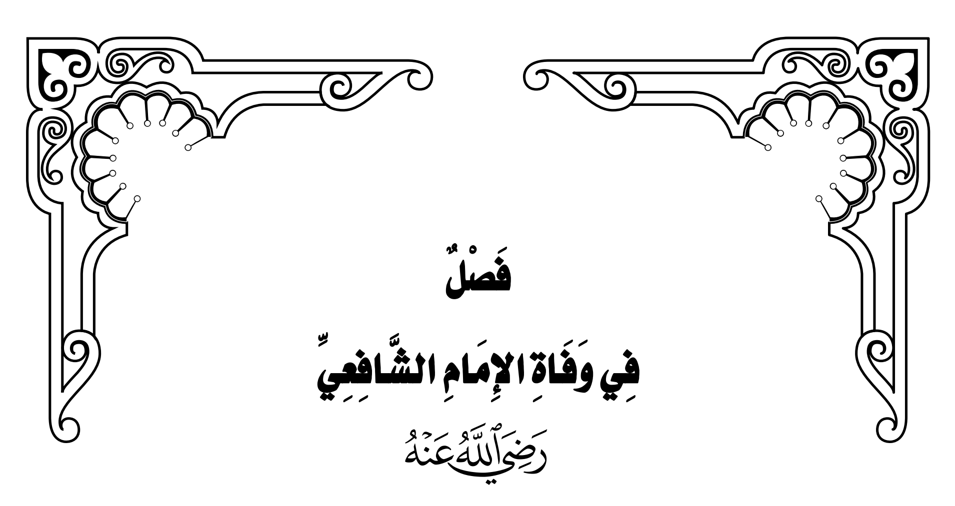


(١) في (ر): (رجلان).

(٢) في (ر): (عنهم).

(٣) في (ر): (فعظته).

(٤) «توالي التّأسيس» (ص ١٢٩-١٣٠).



فَصْلٌ
فِي وَفَاةِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ الزَّعْفَرَانِيُّ: «قَدِمَ عَلَيْنَا الشَّافِعِيُّ -يَعْنِي مِنَ الْحِجَازِ- إِلَى الْعِرَاقِ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ؛ فَأَقَامَ عِنْدَنَا سَنَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ، فَأَقَامَ عِنْدَنَا أَشْهُرًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مِصْرَ»(١).

وَقَالَ الرَّبِيعُ: «سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَحْكِي فِي قِصَّةٍ ذَكَرَهَا، وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ (يقول)(٢):

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِي تَتُوقُ إِلَى مِصْرَ * وَمِنْ دُونِهَا أَرْضُ الْمَهَامِهِ وَالْقَفْرِ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَلِلْفَوْزِ وَالْغِنَى * أُسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أُسَاقُ إِلَى قَبْرِ

---

(١) «الانتقاء» (ص٦٧)، «تاريخ بغداد» (٦٨/٢)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٠)، وردَّ الإمام الذهبي على من زعم أن الإمام الشافعي لقي أبا يوسف فقال: «قلتُ: قد قدم بغداد سنة بضع وثمانين ومئة، وأجازه الرشيد بمال، ولازم محمد بن الحسن مدّة، ولم يلقَ أبا يوسف القاضي، مات قبل قدوم الشّافعيِّ».

(٢) مِن (ص).

قَالَ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ سِيقَ إِلَيْهِمَا جَمِيعًا»(١).

وَقَالَ: «أَقَامَ الشَّافِعِيُّ هَهُنَا -يَعْنِي بِمِصْرَ- أَرْبَعَ سِنِينَ؛ فَأَمْلَى أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةِ وَرَقَةٍ، وَخَرَّجَ «كِتَابَ الْأُمِّ» أَلْفَي وَرَقَةٍ، وَ«كِتَابَ السُّنَنِ»، وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ كُلَّهَا فِي مُدَّةِ أَرْبَعِ سِنِينَ، وَكَانَ عَلِيلًا شَدِيدَ الْعِلَّةِ، وَرُبَّمَا خَرَجَ وَهُوَ رَاكِبٌ حَتَّى يَمْتَلِئَ سَرَاوِيلُهُ وَخُفُّهُ -يَعْنِي مِنَ الْبَوَاسِيرِ»(٢).

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: «كَانَ الشَّافِعِيُّ قَدْ مَرِضَ مِنْ هَذَا الْبَاسُورِ مَرَضًا شَدِيدًا حَتَّى سَاءَ خُلُقُهُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنِّي لَآتِي الْخَطَأَ وَأَنَا أَعْرِفُهُ -يَعْنِي تَرْكَ الْحِمْيَةِ-»(٣).

وَلَمَّا مَرِضَ الشَّافِعِيُّ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ؛ جَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ يُنَازِعُ الْبُوَيْطِيَّ مَجْلِسَ الشَّافِعِيِّ، فَقَالَ الْحُمَيْدِيُّ: «قَالَ الشَّافِعِيُّ: (لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي أَعْلَمَ مِنَ الْبُوَيْطِيِّ)، فَغَضِبَ مُحَمَّدٌ، وَتَرَكَ مَجْلِسَ الشَّافِعِيِّ»(١).

---

(١) سبق تخريجها.

(٢) سبق تخريجها.

(٣) «توالي التّأسيس» (ص ١٧٧).

(١) «تاريخ دمشق» (٣٥٨/٥٣)، «سير أعلام النبلاء» (٦٠/١٢)، «طبقات الشافعية الكبرى» (٦٨/٢).

وَدَخَلَ الْمُزَنِيُّ عَلَى الشَّافِعِيِّ (فِي مَرَضِهِ)[1] الَّذِي مَاتَ فِيهِ؛ فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أُسْتَاذُ؛ فَقَالَ: أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلًا، وَلِكَأْسِ الْمَنِيَّةِ شَارِبًا، وَعَلَى اللهِ وَارِدًا، وَلِسُوءِ عَمَلِي مُلَاقِيًا، قَالَ: ثُمَّ رَمَى بِطَرْفِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَاسْتَعْبَرَ، وَأَنْشَدَ:

إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ أَرْفَعُ رَغْبَتِي * وَإِنْ كُنْتُ يَا ذَا الْمَنِّ وَالْجُودِ مُجْرِمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ * بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا[2]

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: «سَمِعْتُ أَشْهَبَ يَدْعُو عَلَى الشَّافِعِيِّ بِالْمَوْتِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلشَّافِعِيِّ؛ فَأَنْشَدَ:

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ
فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْقَى خِلَافَ الَّذِي مَضَى
تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا، وَكَأَنْ قَدِ

قَالَ: فَمَاتَ الشَّافِعِيُّ؛ فَاشْتَرَى أَشْهَبُ مِنْ تَرِكَتِهِ غُلَامًا طَبَّاخًا، ثُمَّ مَاتَ أَشْهَبُ بَعْدَ الشَّافِعِيِّ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا؛ فَاشْتَرَيْتُ أَنَا الْغُلَامَ مِنْ تَرِكَةِ أَشْهَبَ فَنُهِيتُ عَنْهُ، وَقِيلَ لِي: إِنَّهُ دَفَنَ الْعَالِمَيْنِ فِي بِضْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا؛

---

(١) ساقطة من (ر).

(٢) «تاريخ مدينة دمشق» (٥١/ ٤٣٠)، «توالي التّأسيس» (ص ١٧٨).

قَالَ: فَاشْتَرَيْتُهُ، وَتَرَكْتُ التَّطَيُّرَ؛ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: فَعَاشَ مُحَمَّدٌ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ سَنَةً»[1].

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الرَّبِيعِ: «تُوُفِّيَ الشَّافِعِيُّ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ عِشَاءِ الْأَخِيرَةِ، وَكَانَ قَدْ صَلَّى الْمَغْرِبَ، وَذَلِكَ آخِرُ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ، وَدَفَنَّاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَانْصَرَفْنَا؛ فَرَأَيْنَا هِلَالَ شَعْبَانَ»[2].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ الرَّبِيعُ: «لَمَّا كَانَ مَعَ الْمَغْرِبِ قَالَ لَهُ ابْنُ عَمِّهِ: نَنْزِلُ حَتَّى نُصَلِّيَ، قَالَ: سَتَجْلِسُونَ تَنْتَظِرُونَ خُرُوجَ نَفْسِي فَنَزَلْنَا ثُمَّ صَعِدْنَا فَقُلْتُ أَصَلَّيْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاسْتَشْفَى، وَكَانَ الْوَقْتُ شِتَاءً، فَقَالَ ابْنُ عَمِّهِ: امْزُجُوهُ[3] (بِمَاءٍ سَخِنٍ)[4]، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا بَلْ (بِرُبِّ)[1] السَّفَرْجَلِ، وَتُوُفِّيَ مَعَ عِشَاءِ الْآخِرَةِ»[2].

---

(١) «الانتقاء» (ص٥٢)، «ترتيب المدارك» (٣/ ٢٧٠)، «توالي التّأسيس» (ص١٧٨).

(٢) «تاريخ دمشق» (٥١/ ٤٣٢)، «حلية الأولياء» (٩/ ٦٨)، «توالي التّأسيس» (ص١٧٩).

(٣) في (ص) و (ر): (انجزوه).

(٤) في (ص): (بما يستحق).

(١) في (ر): (بر).

(٢) «حلية الأولياء» (٩/ ٦٨)، «آداب الشافعي ومناقبه» (ص٥٩)، «توالي التّأسيس» (ص١٨٠).

وَلَـمَّا قِيلَ لِسُفْيَانِ بْنِ عُيَيْنَةَ مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسٍ؛ (قَالَ)[1]: «إِنْ كَانَ مَاتَ فَقَدْ مَاتَ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ»[2].

وَلَـمَّا مَاتَ رَثَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ بِمَا يَطُولُ جَلْبُهُ، (وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[3].



(١) في (ص): (فقال).

(٢) «تاريخ دمشق» (٣٠٦/٥١)، «حلية الأولياء» (٩٥/٩)، «سير أعلام النبلاء» (١٨/١٠)، «ترتيب المدارك» (١٨٥/٣).

(٣) من (ص).

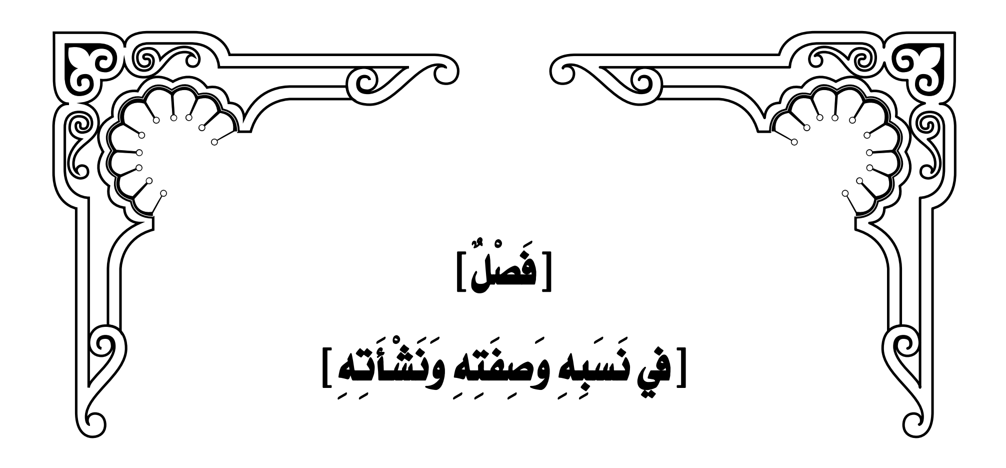


البَابُ الرَّابِعُ

فِـــي

مَنَاقِبِ الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ

[رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]



[فَصْلٌ]

[في نَسَبِهِ وَصِفَتِهِ وَنَشْأَتِهِ]

يَجْتَمِعُ مَعَ الْمُصْطَفَى فِي نِزَارٍ تَاسِعَ عَشَرَ أَجْدَادِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

وَأَبْنَاءُ نِزَارٍ أَرْبَعَةٌ: مُضَرُ وَرَبِيعَةُ وَإِيَادٌ وَأَنْمَارُ، وَمِنْهُمْ تَشَعَّبَتْ بُطُونُ الْعَرَبِ كُلُّهَا.

فَالْإِمَامُ(٢) أَحْمَدُ مِنْ وَلَدِ رَبِيعَةَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَلَدِ

---

(١) تنظر ترجمتُهُ في: «تهذيب الكمال» (١/٣٥)، «تهذيب التهذيب» (١/٧٢)، «تذكرة الحفاظ وذيوله» (٢/١٥)، خلاصة «تهذيب الكمال» (١/٢٩)، «الكاشف» (١/٦٨)، «تاريخ البخاري الكبير» (٢/٥)، «تاريخ البخاري الصغير» (٢/٣٧٥)، الجرح والتعديل (٢/٦٨)، «سير الأعلام» (١١/١٧٧)، «تاريخ بغداد» (٤/٤١٢)، «طبقات الحفاظ» (ص١٨٦)، «وفيات الأعيان» (١/٤٧، ٦٣، ٦٤، ٦٥)، «حلية الأولياء» (٩/١٦١)، «البداية والنهاية» (١٠/٣٢٥)، «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، «شذرات الذهب» (٢/٩٦).

(٢) في (ر): (والإمام).

مُضَرَ. وَأُمُّهُ شَيْبَانِيَّةٌ، وَاسْمُهَا: صَفِيَّةُ بِنْتُ مَيْمُونَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ[١] الشَّيْبَانِيِّ؛ مِنْ بَنِي عَامِرٍ؛ نَزَلَ أَبُوهُ بِهِمْ فَتَزَوَّجَهَا.

وَجَدُّهَا عَبْدُ الْمَلِكِ الشَّيْبَانِيُّ؛ مِنْ وُجُوهِ بَنِي شَيْبَانَ.

فَحَازَ بِأَصْلَيهِ الشَّرِيفَيْنِ: شَرَفَ النَّسَبَيْنِ؛ فَهُوَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ[٢] الذُّهْلِيُّ ثُمَّ الشَّيْبَانِيُّ الْمَرُّوذِيُّ[٣] ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ؛ خَرَجَ مِنْ مَرْو[٤] بِأَعْمَالِ خُرَاسَانَ وَهُوَ حَمْلٌ، فَوُلِدَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ؛ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَلَهُ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِبَغْدَادَ، وَقَبْرُهُ الْآنَ قَدْ (وَارَتْهُ الدَّجْلَةُ).

وَكَانَ رَبْعَةً مِنَ الرِّجَالِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، يَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ خِضَابًا

---

(١) في جميع النسخ (بنت عبد الله)، والصحيح أنّها بنت عبد الملك كما هو مثبت، قال ابن الجوزي رحمه الله: «أنبأنا علي بن عبيد الله، عن أبي القاسم بن البُسري، عن أبي عبد الله بن بطة قال: كانت أم أبي عبد الله شيبانية، واسمها صفية بنت ميمونة بين عبد الملك الشيباني من بني عامر، كان أبوه نزل بهم وتزوج بها، وكان جدُّها عبد الملك بن سوادة بن هند الشيباني من وجوه بني شيبان، وكان ينزل عليه قبائل العرب فيضيفهم». «المناقب» (ص ٢١).

(٢) في (ر): (عبد الله) بدون (أبو).

(٣) في (ص): (المروي).

(٤) في (ر): (مروز).

(لَيْسَ)[(١)] بِالْقَانِي، فِي لِحْيَتِهِ شَعَرَاتٌ سُودٌ، وَثِيَابُهُ بِيضٌ، يَلْبَسُ الْعِمَامَةَ وِالْإِزَارَ، وَكَانَ يُحِبُّ الْفُقَرَاءَ، وَيُعْرِضُ عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَيَجْلِسُ لِلْفُقَهَاءِ؛ فَلَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يُسْأَلَ، يَجْلِسُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ، وَلَا يَتَصَدَّرُ.

يُحِبُّ فِي اللهِ، وَيُبْغِضُ فِي اللهِ؛ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ.

يُؤْذَى فَيَحْتَمِلُ، وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: «اجْعَلْنِي فِي حِلٍّ فَقَدِ اغْتَبْتُكَ، فَقَالَ: نَعَمْ؛ إِنْ لَمْ تَعُدْ»[(٢)].

وَكَانَ أَصْبَرَ النَّاسِ عَلَى الْوِحْدَةِ، فَكَانَ لَا يُرَى إِلَّا فِي مَسْجِدٍ أَوْ حُضُورِ جَنَازَةٍ أَوْ عِيَادَةِ[(٣)] مَرِيضٍ.

وَكَانَ يَكْرَهُ الْمَشْيَ فِي الْأَسْوَاقِ[(٤)]، وَقَالَ: «الْخَلْوَةُ أَرْوَحُ لِقَلْبِي»[(٥)].

وَقَالَ: «أُرِيدُ أَنْ أَنْزِلَ مَكَّةَ فَأُلْقِ[(٦)] نَفْسِي فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ حَتَّى لَا أُعْرَفَ»[(١)].

---

(١) ساقطة من (ر).

(٢) «حلية الأولياء» (٩/ ١٧٤)،

(٣) في (ر): (عياد).

(٤) رواه ابن الجوزي في «مناقبه» عن عبد الله بن أحمد (ص٣٧٣).

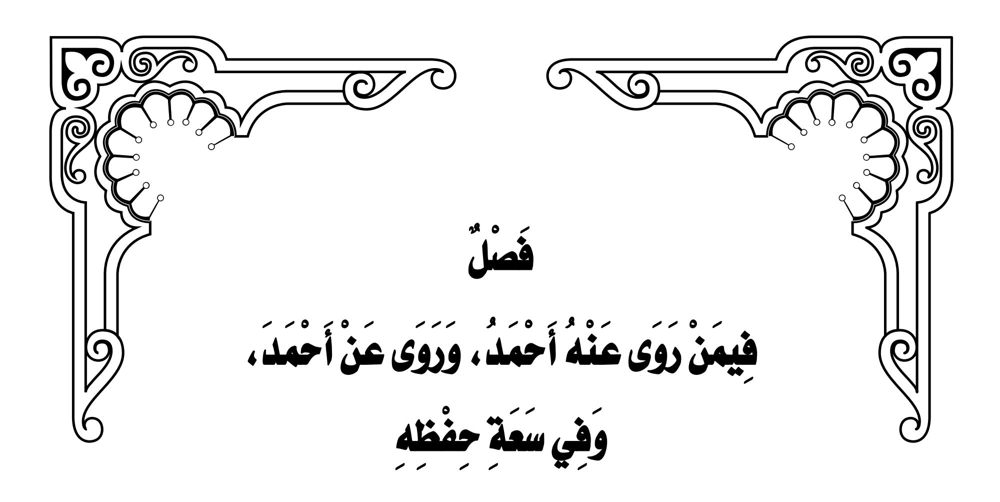
(٥) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٢٦).

(٦) في (ص) و (ر): (فألقي).

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص٣٧٥).

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَأَوْصَافُهُ الْجَمِيلَةُ لَا تَنْحَصِرُ.



فَصْلٌ

فِيمَنْ رَوَى عَنْهُ أَحْمَدُ، وَرَوَى عَنْ أَحْمَدَ، وَفِي سَعَةِ حِفْظِهِ

طَلَبَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الْعِلْمَ سَنَةَ وَفَاةِ مَالِكٍ، وَهِيَ سَنَةُ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ، فَكَانَ يَتَأَسَّفُ عَلَى عَدَمِ اجْتِمَاعِهِ بِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «فَاتَنِي الْإِمَامُ مَالِكٌ، فَأَخْلَفَ اللهُ عَلَيَّ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَفَاتَنِي حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ؛ فَأَخْلَفَ اللهُ عَلَيَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عُلَيَّةَ»[1].

فَرَوَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَمُحَمَّدِ ابْنِ إِدْرِيسٍ الشَّافِعِيِّ، وَيَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَيَحْيَى الْقَطَّانِ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ وَهَيْثَمَ، وَوَكِيعٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَجَرِيرِ ابْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَمُعْتَمِرَ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَعَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَخَلَائِقَ لَا يُحْصَوْنَ بِمَكَّةَ، وَالْبَصْرَةِ، وَالْكُوفَةِ، وَبَغْدَادَ، وَالْيَمَنِ، وَالْجَزِيرَةِ.

---

(١) أورده الذّهبيُّ في «ميزان الاعتدال» (١/ ٢١٧).

وَخَرَجَ إِلَى الْيَمَنِ وَإِلَى طَرْسُوسَ مَاشِيًا.

وَشَارَكَ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ فِي أَكْثَرِ شُيُوخِهِ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ حَجَرٍ.

وَاشْتُهِرَتْ عَنْهُ رِوَايَةُ الْحَدِيثِ.

وَرَوَى عَنْهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ مَا لَا يُمْكِنُ حَصْرُهُ، حَتَّى رَوَى عَنْهُ كِبَارُ مَشَايِخِهِ؛ فَرَوَى عَنْهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَيَحْيَى بْنُ آدَمَ، وَأَبُو الْوَلِيدِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَمَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ[1]، وَالْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ وَإِبْرَاهِيمُ (الْحَرْبِيُّ)[2]، وَأَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ، وَأَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ الْأَثْرَمُ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّاغَانِيُّ، وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ، وَمُوسَى بْنُ هَارُونَ، وَحَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَعُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِّيُّ، وَخَلَائِقُ كَثِيرُونَ ذَكَرَهُمُ الْحَافِظُ أَبُو الْفَرَجِ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ.

وَكَانَ يَقُولُ: «مَا تَزَوَّجْتُ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ»[3].

وَكَانَ مُكْثِرًا مِنَ الْحَدِيثِ وَمِنَ الْمَشَايِخِ الْمَعْرُوفِينَ بِالْحَدِيثِ حَتَّى

---

(١) في (ر): (علي المديني).

(٢) ساقطة من (ر).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٨٧).

وَقَعَ لَهُ أَنَّهُ أَخَذَ عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنَ الشُّيُوخِ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الضَّرِيرُ: «قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: كَمْ يَكْفِي الرَّجُلَ مِنَ الْحَدِيثِ حَتَّى يُمْكِنَهُ أَنْ يُفْتِيَ، أَيَكْفِيهِ مِائَةُ أَلْفِ حَدِيثٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمِائَتَا أَلْفٍ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: خَمْسُمِائَةِ أَلْفٍ؟ قَالَ: أَرْجُو»[1].

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «وَمِنْ عَظِيمِ مَا اتَّصَلَ بِي مِنْ حِفْظِهِ: قَوْلُ أَبِي زَرْعَةَ الرَّازِيِّ أَنَّ كُتُبَهُ كَانَتْ اثْنَي عَشَرَ حِمْلاً، وَكَانَ يَحْفَظُهَا كُلَّهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ»[2].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: «سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ: كَانَ أَبُوكَ يَحْفَظُ أَلْفَ أَلْفِ حَدِيثٍ»[3].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٤/٤٢٤).

(٢) انظر قول أبي زرعة في «تهذيب الأسماء» (١/١٥٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١١/١٨٨).

(٣) أورده الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/١٨٧) بلفظ: «قال عبد الله بن أحمد: قال لي أبو زرعة: أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرتُه فأخذتُ عليه الأبواب». وانظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (١/٥٧).

وَقِيلَ لِأَبِي زُرْعَةَ: «مَنْ أَحْفَظُ مَشَايِخِ الْمُحَدِّثِينَ؟ قَالَ: أَحْمَدُ»(١).

قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ؛ قَالُوا لَهُ: وَأَيُّ شَيْءٍ بَانَ لَكَ مِنْ فَضْلِهِ وَعِلْمِهِ عَلَى سَائِرِ مَنْ رَأَيْتَ؟ قال: رَجُلٌ سُئِلَ عَنْ سِتِّينَ أَلْفَ مَسْأَلَةٍ؛ فَأَجَابَ فِيهَا بِأَنْ قَالَ: حَدَّثَنَا وَأَخْبَرَنَا»(٢).

وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ؛ قَالَ صَالِحٌ ابْنُهُ: «رَأَى رَجُلٌ مَعَ أَبِي مَحْبَرَةً؛ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ هَذَا الْمَبْلَغَ وَأَنْتَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ! فَقَالَ: مَعَ الْمَحْبَرَةِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ»(٣).

وَقَالَ: «أَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَى أَنْ أَدْخُلَ الْقَبْرَ»(٤).



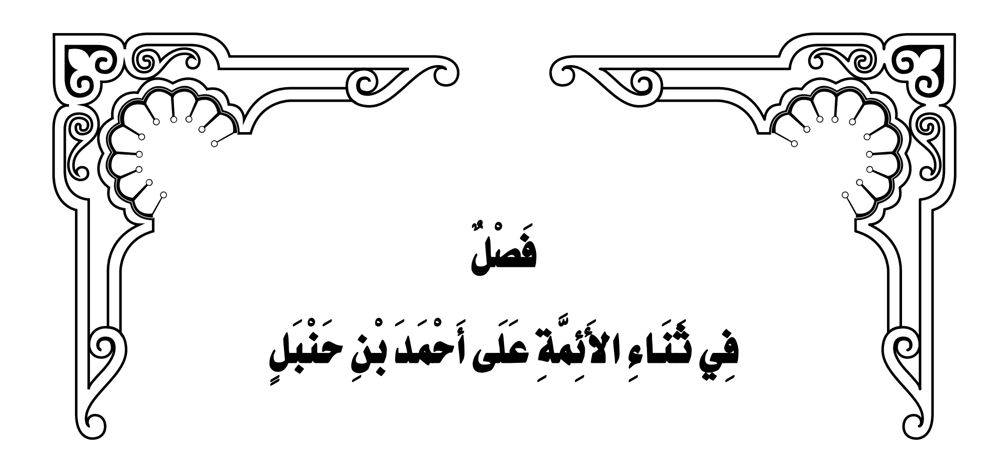
---

(١) «شذرات الذهب» لابن العماد (٢/٩٦)، «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/٣٣٧).

(٢) «المقصد الأرشد» لابن مفلح (١/٦٦)، «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/٥).

(٣) بنحوه في «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص٥٥).

(٤) رواه الخطيب بسنده في «شرف أصحاب الحديث» (١/١٧٢).



فَصْلٌ

فِي ثَنَاءِ الأَئِمَّةِ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ وَمَا خَلَّفْتُ بِهَا أَحَدًا؛ أَوْرَعَ وَلَا أَتْقَى وَلَا أَفْقَهَ، وَأَظُنُّهُ قَالَ: وَلَا أَعْلَمَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ»(١).

وَقَالَ الرَّبِيعُ: «قَالَ لَنَا الشَّافِعِيُّ: أَحْمَدُ إِمَامٌ فِي ثَمَانِ خِصَالٍ: إِمَامٌ فِي الْحَدِيثِ، إِمَامٌ فِي الْفِقْهِ، إِمَامٌ فِي اللُّغَةِ، إِمَامٌ فِي الْقُرْآنِ، إِمَامٌ فِي الْفَقْرِ، إِمَامٌ فِي الزُّهْدِ، إِمَامٌ فِي الْوَرَعِ، إِمَامٌ فِي السُّنَّةِ»(٢).

وَحَدَّثَ الشَّافِعِيُّ عَنْهُ؛ فَقَالَ: «أَنْبَأَنَا الثِّقَةُ مِنْ أَصْحَابِنَا» يَعْنِي: أَحْمَدَ.

وَامْتَدَحَهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ بِالْبَيْتَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ(٣):

---

(١) «تاريخ بغداد» (٤/٤١٩)، «طبقات الحنابلة» (١/١٨).

(٢) «المقصد الأرشد» لابن مفلح (١/٦٥)، «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/٣).

(٣) «شذرات الذهب» لابن العماد (٢/٩٧)،

قَـالُوا يَـزُورُكَ أَحْمَـدٌ وَتَـزُورُهُ * قُلْـتُ الْفَضَـائِلُ لَا تُفَـارِقُ مَنْزِلَـهْ
إِنْ زَارَنِي فَبِفَضْــلِهِ أَوْ زُرْتُــهُ * فَلِفَضْـلِهِ؛ فَالْفَضْـلُ فِي الْحَـالَيْنِ لَـهْ

وَيُقَالُ: إِنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ أَجَابَهُ بِقَوْلِهِ[1]:

إِنْ زُرْتَنَـا فَبِفَضْـلٍ مِنْـكَ تَمْنَحُنَـا * أَوْ نَحْنُ زُرْنَا فَلِلْفَضْلِ الَّذِي فِيكَا
فَلَا عُدِمْنَا كِلَا الْحَالَيْنِ مِنْكَ وَلَا * نَالَ الَّذِي يَتَمَنَّى فِيكَ شَانِيكَا[2]

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِذَا رَأَيْتَ الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ (فَأَخْبِرْنِي حَتَّى أَذْهَبَ إِلَيْهِ)[3]».

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ الشَّافِعِيُّ لِأَحْمَدَ: «أَنْتَ أَعْلَمُ بِالْأَخْبَارِ الصِّحَاحِ مِنَّا؛ فَإِذَا كَانَ خَبَرٌ صَحِيحٌ فَأَعْلِمْنِي بِهِ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَيْهِ؛ كُوفِيًّا كَانَ، أَوْ مِصْرِيًّا، أَوْ شَامِيًّا»[4].

وَقَالَ وَكِيعٌ: «مَا قَدِمَ الْكُوفَةَ مِثْلُ أَحْمَدَ»[5].

---

(١) «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» للسفاريني (١/٢١٩).

(٢) في (ر): (شاكيكا).

(٣) في (ص): (فأخبرني أذهب إليه)؛ وينظر: المراجع اللّاحقة.

(٤) «تاريخ دمشق» (٥١/٣٨٥)، «سير أعلام النبلاء» (١٠/٣٣)، «شذرات الذهب» لابن العماد (٢/٩).

(٥) «صفة الصفوة» (٢/٣٣٨)، وفي «سير أعلام النبلاء» (١١/١٨٨-١٨٩)قال: «قال العباس بن محمد الخلال: حدثنا إبراهيم بن شماس، سمعت وكيعًا وحفصَ =

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «كَادَ أَحْمَدُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ»[1].

وَسُئِلَ أَبُو مِسْهِرٍ الدِّمَشْقِيُّ: «أَتَعْرِفُ أَحَدًا[2] يَحْفَظُ دِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ إِلَّا شَابًّا بِنَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ -يَعْنِي أَحْمَدَ-»[3].

هَذَا كَلَامُ بَعْضِ مَشَايِخِهِ فِيهِ.

وَأَمَّا ثَنَاءُ نُظَرَائِهِ عَلَيْهِ:

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْحُمَيْدِيُّ: «مَا دُمْتُ بِالْحِجَازِ، وَأَحْمَدُ بِالْعِرَاقِ، وَإِسْحَاقُ بِخُرَاسَانَ = لَا يَغْلِبُنَا أَحَدٌ»[4].

= ابنَ غياث يقولان: «ما قدم الكوفة مثل ذاك الفتى»، يعنيان: أحمد بن حنبل».

(١) أورده ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/٣٣٨) بلفظ: «وكان ابن مهدي يقول: ما نظرت إليه إلا ذكرت به سفيان الثوري، ولقد كاد هذا الغلام أن يكون إمامًا في بطن أمِّه».

(٢) في (ص): (أحمدًا).

(٣) رواه الرّازيُّ في «الجرح والتعديل» (١/٢٩٢) عن الحارث بن العباس قال: «قلتُ: لأبي مسهر: تعرف أحدًا يحفظ على هذه الأمَّة أمرَ دينها؟ قال: لا أعلمه إلا شابًّا في ناحية المشرق - يعني أحمد بن حنبل». وانظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢/٢٩).

(٤) رواه ابن عساكر مسندًا في «تاريخ دمشق» (٥/٢٨٨)، «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢/١٤١).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: «أَحْمَدُ سَيِّدُنَا»(١).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَنْمَاطِيُّ: «كُنَّا فِي مَجْلِسٍ فِيهِ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ؛ فَأَثْنَوا عَلَى أَحْمَدَ؛ فَقَالَ رَجُلٌ: لَا تُكْثِرُوا؛ فَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: وَكَثْرَةُ الثَّنَاءِ عَلَى أَحْمَدَ تُسْتَكْثَرُ! لَوْ اقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِهِ فَقَطْ فِي مَجْلِسِنَا لَمَا وَفَّيْنَا»(٢).

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيهِ؛ وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَحْمَدُ: «لَا نُدْرِكُ(٣) فَضْلَهُ».

وَقَالَ أَيْضًا: «أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حُجَّةٌ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ عَبِيدِهِ فِي أَرْضِهِ»(٤).

وَقَالَ أَيْضًا: «لَوْلَا أَحْمَدُ، وَبَذْلُهُ نَفْسَهُ فِيمَا بَذَلَ؛ لَذَهَبَ الْإِسْلَامُ»(٥).

وَأَتَى بِشْرًا رَجُلٌ مِنَ الْمَشَايِخِ الْعُبَّادِ لما أُخِذَ أَحْمَدُ؛ فَقَالَ: قُمْ بِنَا نَنْظُرْ هَذَا الرَّجُلَ؛ فَقَالَ: هَذَا مَقَامُ النَّبِيِّينَ لَا أَسْتَطِيعُهُ».

وَثَنَاءُ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ لَا يَحْصُرُهُ كِتَابٌ.

---

(١) رواه الخطيب مسندًا في «تاريخ بغداد» (٤/٤١٧)، «المقصد الأرشد» (٢/٢٣٠).

(٢) «المقصد الأرشد» (٣/١٠٤)، «حلية الأولياء» (٩/١٦٩)، «سير أعلام النبلاء» (١١/١٩٦)، «طبقات الحنابلة» (١/١٨).

(٣) في (ر): (لا تدرك).

(٤) «تاريخ بغداد» (٤/٤١٧)، «طبقات الحنابلة» (١/١٥).

(٥) «المقصد الأرشد» (١/٦٩)، «تاريخ دمشق» (٥/٢٧٨)، «طبقات الحنابلة» (١/١٣).



فَصْلٌ
فِي تَوَاضُعِهِ وَحُسْنِ أَخْلَاقِهِ

قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: صَحِبْنَا أَحْمَدَ خَمْسِينَ سَنَةً فَلَمْ يَفْتَخِرْ عَلَيْنَا، وَكَانَ رُبَّمَا أَخَذَ الْقَدُومَ، وخرج ليصلح دَارَ سُكَّانِهِ بِيَدِهِ، وَرُبَّمَا اشْتَرَى الْحَطَبَ بِنَفْسِهِ وَحَمَلَهُ.

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: «جَزَاكَ اللهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا؛ فَقَالَ: بَلْ جَزَا اللهُ الْإِسْلَامَ عَنِّي خَيْرًا، وَمَنْ أَنَا، وَمَنْ أَنَا؟»[1].

وَقَالَ لَهُ آخَرُ: «مَا أَكْثَرَ الدَّاعِينَ لَكَ! فَقَالَ: أَخْشَى أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا؛ أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا خَيْرًا مِمَّا تَظُنُّونَ، وَيغْفِرَ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُونَ»[2].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/٢٢٥)، «حلية الأولياء» (٥/٣٣١)، «المقصد الأرشد» (٢/٤١٢).

(٢) الورع - ابن حنبل (ص: ١٥٢)، وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/٢١٠): «وأخبرنا المرُّوذي: قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الدّاعي لك! قال: أخاف أن يكون =

وَكَانَ يُحِبُّ الْفُقَرَاءَ، وَلَمْ يُرَ الْفَقِيرُ فِي مَجْلِسٍ أَعَزَّ مِنْهُ فِي مَجْلِسِهِ، وَيُعْرِضُ عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَيَعْلُوهُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ.

وَقَالَ الْبُوشَنْجِيُّ[1]: «مَا رَأَيْتُ أَحْمَدَ جَالِسًا إِلَّا الْقُرْفُصَاءَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الصَّلَاةِ»[2].

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «جِلْسَةُ الْمُتَخَشِّعِ الْقُرْفُصَاءُ»[3].

وَالْقُرْفُصَاءُ: أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ عَلَى إِلْيَتَيْهِ؛ رَافِعًا رُكْبَتَيْهِ إِلَى صَدْرِهِ؛ مُفْضِيًا بِأَخْمُصِ قَدَمَيْهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَرُبَّمَا احْتَبَى بِيَدَيْهِ؛ فَلَا جِلْسَةَ أَخْشَعُ مِنْهَا[1].

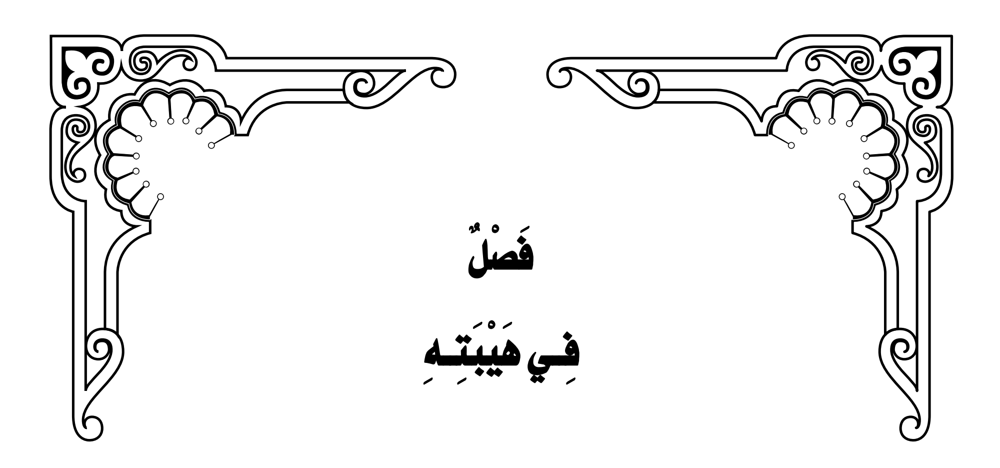
= هذا استدراجًا؛ بأيِّ شيءٍ هذا؟!».

(١) في جميع النسخ: (البوسنجي)، والصحيح ما أثبتُّه.

(٢) «المبدع شرح المقنع» لابن مفلح(٢/ ١٥٩).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن رأيته من قول قيلة بنت مخرمة رضي الله عنها أنّها قالت: «رأيت النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعدًا القرفصاء، فلمّا رأيتُ النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتخَشّع في الجلسة، أرعدت من الفرق». أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم ١١٧٨). قال الشيخ الألباني بعد ذكره: «قلت: وهذا إسناد حسن في الشواهد، العنبري هذا روى عنه جمْعٌ من الثِّقات؛ منهم عبد الله بن المبارك، وقال الحافظ فيه: مقبول». «السلسلة الصحيحة (٥/١٢٣).

(١) «المبدع شرح المقنع» لابن مفلح (١٥٩/٢).



فَصْلٌ فِي هَيْبَتِهِ

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ -وَالِي الْجِسْرِ-: «دَخَلْتُ عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ -وَذَكَرَ السَّلَاطِينَ-؛ فَمَا رَأَيْتُ أَهْيَبَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ؛ صِرْتُ إِلَيْهِ لِأُكَلِّمَهُ فَوَقَعَتْ عَلَيَّ الرِّعْدَةُ حِينَ رَأَيْتُهُ مِنْ هَيْبَتِهِ»(١).

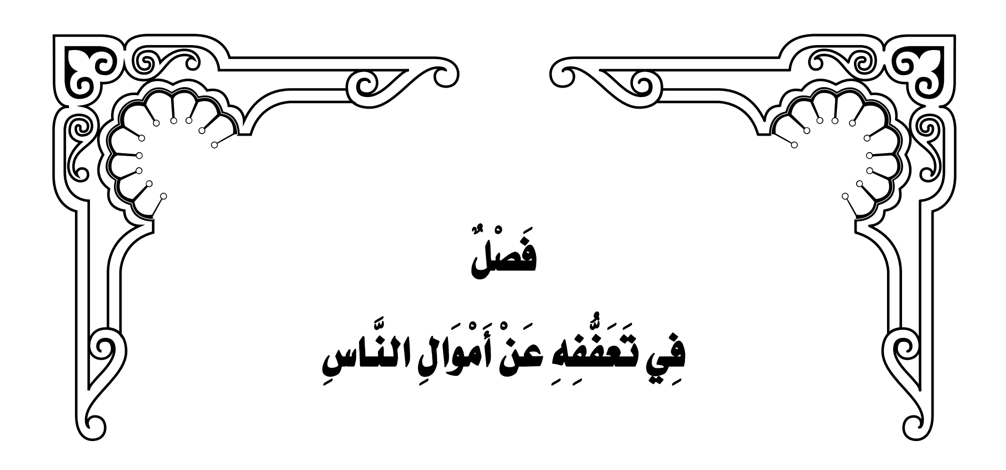
وَزَارَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ؛ فَمِنْ هَيْبَتِهِ لَمْ يَقْرَعُوا بَابَهُ، وَإِنَّمَا قَرَعُوا بَابَ عَمِّهِ فَخَرَجَ حِينَ سَمِعَ(٢).



---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص٢٩١)، وعنه في «المنهج الأحمد» (١/٢٦).

(٢) الذي وجدتُه في«مناقب الإمام أحمد» (ص٢٩١)، وفي «سير أعلام النبلاء» (١١/٣١٧): «قال المرُّوذيّ: ولقد طرقه الكلبي - صاحب خبر السر- ليلاً؛ فمِن هيبته لم يقرعوا، ودقّوا بابَ عمِّه».



فَصْلٌ
فِي تَعَفُّفِهِ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: «قَدِمَ عَلَيْنَا أَحْمَدُ؛ فَأَقَامَ سَنَتَيْنِ إِلَّا شَيْئًا؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ لَيْسَتْ أَرْضُنَا هَذِهِ بِأَرْضِ مَتْجَرٍ، وَأَرَى أَنْ تَقْبَلَ مِنِّي كَذَا وَكَذَا -شَيْءٌ مِنَ الذَّهَبِ- فَقَالَ أَنَا بِخَيْرٍ، وَلَمْ يَقْبَلْ شَيْئًا»[1].

وَرَهَنَ نَعْلَهُ[2] عِنْدَ خَبَّازٍ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْيَمَنِ، وَأَكْرَى نَفْسَهُ مِنَ الْجَمَّالِينَ[3].

وَقَالَ حَمْدَانُ الْوَاسِطِيُّ: «قَدِمَ عَلَيْنَا أَحْمَدُ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ قَدْ نَفِدَتْ نَفَقَاتُهُمْ، فَبَرَرْتُهُمْ؛ فَقَبِلُوا، وَجَاءَنِي أَحْمَدُ بِفَرْوَةٍ فَقَالَ: قُلْ لِمَنْ يَبِيعُ لِي

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٠٩)، والخبر في «تاريخ دمشق» (٣٠٣/٥)، «تهذيب الكمال» (٤٥٩/١).

(٢) في (أ) و(ص) و(ر): (بغليه)، والمثبت من المناقب.

(٣) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣١٠).

هَذِهِ؛ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ صُرَّةَ دَرَاهِمَ فَلَمْ يَقْبَلْهَا، فَقِيلَ لِي هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ فَأَضْعِفْهَا؛ فَفَعَلْتُ؛ فَلَمْ يَقْبَلْ، وَأَخَذَ الْفَرْوَةَ وَخَرَجَ»(١).

وَأَرَادَ مَرَّةً يَبِيعُ جُبَّتَهُ زَمَنَ الْبَرْدِ؛ لِحَاجَتِهِ، فَصَرَفَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَأُخِذَ لَهُ مِنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ مِائَةُ دِرْهَمٍ؛ فَقَالَ: «إِنِّي مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا وَابْنُ سَبِيلٍ، وَلَكِنْ لَا أُعَوِّدُ نَفْسِي ذَلِكَ، ثُمَّ رَدَّهَا وَبَاعَ جُبَّتَهُ»(٢).

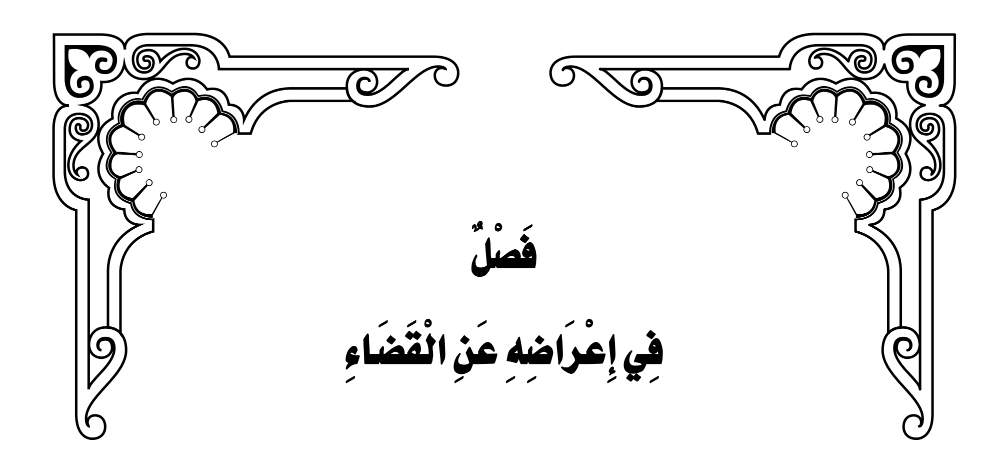
وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدْ وَرِثَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ؛ فَرَدَّهَا إِلَيْهِ، وَقَالَ: «أَنَا فِي كِفَايَةِ اللهِ»(٣).

❁ ❁ ❁

(١) المرجع السابق (ص٣١١).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣١٢).

(٣) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣١٧)، وهو في «حلية الأولياء» (٩/ ١٧٥).



فَصْلٌ
فِي إِعْرَاضِهِ عَنِ الْقَضَاءِ

قَالَ الْمُزَنِيُّ: «قَالَ الشَّافِعِيُّ: لَمَّا دَخَلْتُ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ قُلْتُ: إِنِّي خَلَّفْتُ الْيَمَنَ ضَائِعَةً تَحْتَاجُ إِلَى حَاكِمٍ؛ فَقَالَ: انْظُرْ رَجُلاً مِمَّنْ يَجْلِسُ إِلَيْكَ حَتَّى تُوَلِّيَهُ قَضَاءَهَا، فَلَمَّا رَجَعَ الشَّافِعِيُّ إِلَى مَجْلِسِهِ، وَرَأَى أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ مِنْ أَمْثَلِهِمْ؛ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، وَقَالَ: تَهَيَّأْ لِلِقَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُوَلِّيكَ قَضَاءَ الْيَمَنِ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّمَا جِئْتُكَ لِأَقْتَبِسَ مِنْكَ الْعِلْمَ؛ فَكَيْفَ تَأْمُرُنِي بِتَوْلِيَةِ الْقَضَاءِ، وَغَضِبَ مِنْهُ؛ فَاسْتَحْيَا الشَّافِعِيُّ»[1].

وَفِي رِوَايَةٍ: «قَالَ الشَّافِعِيُّ (لَهُ)[2]: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَأَلَنِي أَنْ أَلْتَمِسَ لَهُ قَاضِيًا لِلْيَمَنِ، وَأَنْتَ تُحِبُّ الْخُرُوجَ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ،

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٦٠)، والخبر في «مناقب الشافعي» (١/ ١٥٤).

(٢) ساقطة من (ر).

قَدْ نِلْتَ حَاجَتَكَ؛ تَقْضِي بِالْحَقِّ وَتَنَالُ مَا تُرِيدُ. فَقَالَ لِلشَّافِعِيِّ: إِنْ سَمِعْتُ مِنْكَ هَذَا ثَانِيَةً لَمْ تَرَنِي عِنْدَكَ»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٦١)، والخبر في «السير» (١١/ ٢٢٤).



فَصْلٌ
فِــي وَرَعِــهِ

ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ أَتَى عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا طَعِمَ فِيهَا، ثُمَّ أُمْضِيَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الدَّقِيقِ، فَعَرَفُوا فِي الْبَيْتِ شِدَّةَ حَاجَتِهِ إِلَى الطَّعَامِ، فَخَبَزُوا لَهُ بِالْعَجَلَةِ؛ فَلَمَّا أَنْ وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: خَبَزْتُمْ بِسُرْعَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: كَانَ التَّنُّورُ فِي دَارِ صَالِحٍ مُسَجَّرًا، فَقَالَ: ارْفَعُوهُ، وَلَمْ يَأْكُلْ، وَأَمَرَ بِسَدِّ الْبَابِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَالِحٍ؛ لِأَنَّهُ أَخَذَ بِجَائِزَةِ الْمُتَوَكِّلِ، فَلَمْ يَأْكُلِ الْخُبْزَ الَّذِي خُبِزَ فِي تَنُّورِهِ[1].

وَاحْتَاجَ يَوْمًا وَهُوَ مَرِيضٌ إِلَى مَاءِ قَرْعَةٍ مَشْوِيَّةٍ فَقَالَ لِوَلَدِهِ صَالِحٍ: «لَا تَشْوِهَا فِي مَنْزِلِكَ وَلَا فِي مَنْزِلِ عَبْدِ اللهِ». وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ الْمَرُّوذِيُّ: «فَمَضَيْتُ فَشَوَيْتُهَا لَهُ»[2].

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/١٧٧)، «تاريخ دمشق» (٥/٣٠٢)، «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٥٠).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٥٣).

وَأَمَرَ أَنْ يُشْتَرَى لَهُ سَمْنٌ؛ فَجِيءَ بِهِ إِلَيْهِ عَلَى وَرَقَةٍ فَأَخَذَهُ، وَقَالَ رُدَّ الْوَرَقَةَ[1].

وَكَانَ يَزْرَعُ أَرْضَ دَارِهِ؛ فَيُخْرِجُ زَكَاتَهَا؛ ذَهَابًا إِلَى قَوْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَرْضِ السَّوَادِ[2].

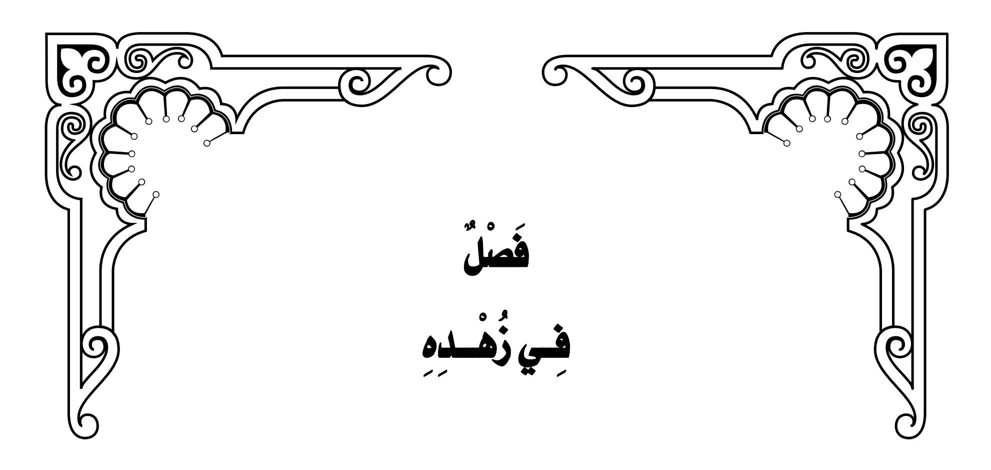
وَأَمَّا مَا يُنْقَلُ عَنْهُ أَنَّهُ امْتَنَعَ مِنْ أَكْلِ الْبَطِّيخِ لِعَدَمِ عِلْمِهِ بِكَيْفِيَّةِ أَكْلِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَكَذِبٌ[3].



(١) المرجع السابق (ص٣٥٣).

(٢) قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣١٩/١١): «قال ابن المنادي: حدثنا جدي، قال لي أحمد بن حنبل: أنا أزرع هذه الدار، وأخرج الزكاة عنها في كل سنة؛ أذهب إلى قول عمر في أرض السواد».

(٣) انظر المسألة في: «الإنصاف» للمرداوي (٢٨٨/١٠).



فَصْلٌ فِي زُهْدِهِ

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ: «مَا رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَذْكُرُ الدُّنْيَا قَطُّ»(١)، وَقَدْ صَبَرَ عَلَى الْفَقْرِ سَبْعِينَ سَنَةً(٢).

وَقِيلَ لَهُ: «إِنَّ فُلَانًا(٣) أُعْطِي أَلْفَ دِينَارٍ؛ فَقَالَ: وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى»(٤).

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٢٩).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٧٦/٩) بسنده عن السمرقندي أنه قال: «سألت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن عن أحمد بن حنبل قلتُ: هو إمام؟ قال: إي والله، وكما يكون الإمام؛ إنّ أحمد أخذ بقلوب النّاس، إنّ أحمد صَبَرَ على الفقر سبعين سنة». وانظره كذلك في «تاريخ دمشق» (٢٨٨/٥).

(٣) في (ص): (فلان).

(٤) رواه الرازي في «الجرح والتعديل» (٣٠٢/١) بسنده؛ فقال: «حدثنا عبد الرحمن نا صالح قال: قلتُ لأبي: إن أحمد الدورقي أعطي ألف دينار؛ قال: يا بني! ورزق ربك خيرٌ وأبقى»، وهو كذلك في «حلية الأولياء» (١٧٩/٩).

وَكَانَ يَقُولُ: «مَا أَعْدِلُ بِالْفَقْرِ شَيْئًا، وَلَا أَعْدِلُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ شَيْئًا»(١).

وَقَالَ ابْنُه صَالِحٌ: «رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ الْكِسْرَةَ يَنْفُضُ غُبَارَهَا، ثُمَّ يَبُلُّهَا بِالْمَاءِ؛ وَيَأْكُلُهَا بِالْمِلْحِ، وَلَمْ أَرَهُ اشْتَرَى فَاكِهَةً قَطُّ إِلَّا بَطِّيخَةً أَكَلَهَا فِي الْحَرُورِ»(٢).

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ: «دَخَلْتُ دَارَهُ؛ فَإِذَا فِيهِ حَصِيرٌ خَلِقٌ، وَكُتُبُهُ حَوْلَهُ، وَقَالَ: أَسَرُّ أَيَّامِي إِلَيَّ يَوْمَ أُصْبِحُ وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ»(٣).

وَأَمَرَ يَوْمًا بِأَنْ يُخْلَى لَهُ الْحَمَّامُ؛ فَلَمَّا أُخْلِيَ قَالَ لِي: خَمْسُونَ سَنَةً لَمْ أَدْخُلِ الْحَمَّامَ، وَيَجُوزُ أَنْ لَا أَدْخُلَهُ السَّاعَةَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ يُطْلَقَ النَّاسُ(٤).



(١) أورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢١٦/١١) بلفظ: «ما أعدل بالفقر شيئًا، ولو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر».
(٢) «الجرح والتعديل» للرازي (٣٠٤/١)، «سير أعلام النبلاء» (٢٠٨/١١).
(٣) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٣٤)، «صفة الصفوة» (٣٤٥/٢).
(٤) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٣٣).



فَصْلٌ
فِي إِيثَارِهِ الْعُزْلَةَ وَالْخُمُولَ

فَكَانَ لَا يُرَى إِلَّا فِي مَسْجِدٍ أَوْ حُضُورِ جَنَازَةٍ أَوْ عِيَادَةِ مَرِيضٍ، وَكَانَ يَكْرَهُ الْمَشْيَ فِي الْأَسْوَاقِ[1]، وَيَقُولُ: «الْخَلْوَةُ أَرْوَحُ لِقَلْبِي»[2].

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ آتِيَكَ وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكْرَهَ؛ فَقَالَ: إِنِّي لَأَكْرَهُ[3] ذَلِكَ»[4].

وَسُئِلَ: «لِمَ لَا تَصْحَبُ النَّاسَ؟ فَقَالَ: خَشْيَةَ الْفِرَاقِ»[5].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/٢٢٦).

(٢) «حلية الأولياء» (٩/١٨٤)، «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص٣٧٣) من إخبار ابنه عبد الله عن أبيه.

(٣) في (ر): (لا أكره ذلك).

(٤) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٧٣)، والرجل القائل هو المسيبي.

(٥) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/١٨٥)، «سير أعلام النبلاء» (١١/٣١٨).

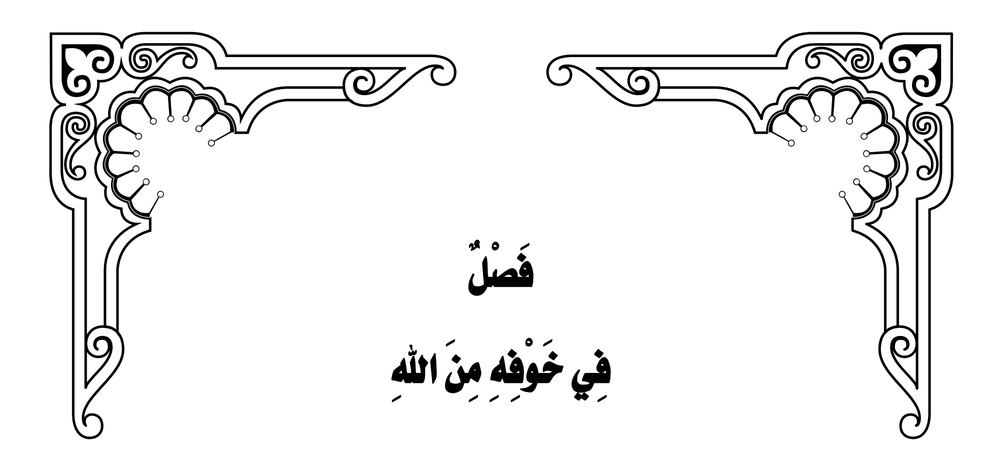
وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَتْبَعَهُ فِي مَشْيِهِ أَحَدٌ[1]، وَرُبَّمَا وَقَفَ حَتَّى يَذْهَبَ الَّذِي يَتْبَعُهُ[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) أورده ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٧٣)؛ من قول محمد بن الحسن بن هارون.

(٢) نفس المصدر؛ من قول ابن عبد الله.



فَصْلٌ

فِي خَوْفِهِ مِنَ اللهِ

كَانَ إِذَا دَعَا لَهُ رَجُلٌ: قَال: الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا، وَكَانَ كَثِيرًا يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ(١).

وَجِيءَ لَهُ بِطَشْتٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَبَالَ فِيهِ دَمًا عَبِيطًا؛ فَقَالَ الْمُتَطَبِّبُ: هَذَا رَجُلٌ فَتَّتَ الْحُزْنُ جَوْفَهُ(٢).

وَقِيلَ لَهُ يَوْمًا: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَقَالَ: «كَيْفَ أَصْبَحَ مَنْ رَبُّهُ يُطَالِبُهُ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَنَبِيُّهُ يُطَالِبُهُ بِأَدَاءِ السُّنَّةِ، وَالْمَلَكَانِ يُطَالِبَانِهِ بِتَصْحِيحِ الْأَعْمَالِ، وَنَفْسُهُ تُطَالِبُهُ بِهَوَاهَا، وَإِبْلِيسُ يُطَالِبُهُ بِالْفَحْشَاءِ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ

---

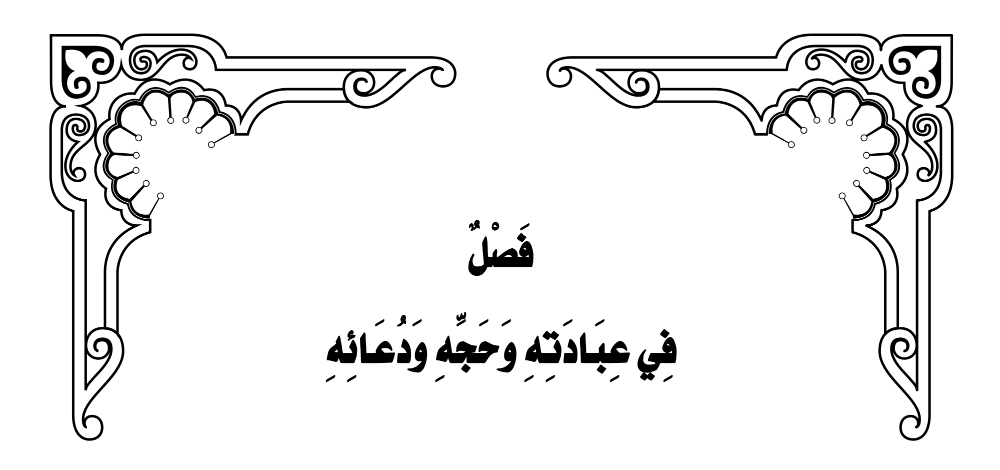
(١) «حلية الأولياء» (٩/ ١٨٢)، «سيرة الإمام ابن حنبل» لابنه صال (ص٤٨).

(٢) أورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٣٦)، بلفظ: «هذا رجل قد فتت الحزن والغم جوفه»، وهو كذلك في «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (١٨/ ١٣٩).

يُطَالِبُهُ بِقَبْضِ رُوحِهِ، وَعِيَالُهُ يُطَالِبُونَهُ بِالنَّفَقَةِ»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «المقصد الأرشد» (١/١٥٧)، «سير أعلام النبلاء» (١١/٢٢٧).



فَصْلٌ
فِي عِبَادَتِهِ وَحَجِّهِ وَدُعَائِهِ

رَوَى الْأَئِمَّةُ أَنَّهُ لَمْ يُرَ أَحَدٌ أَقْوَى عَلَى الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَجَهْدِ النَّفْسِ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ؛ كَانَ يَصُومُ النَّهَارَ وَيُعَجِّلُ الْفِطْرَ، وَيُصَلِّي بَعْدَ الْعِشَاءِ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ يَنَامُ خَفِيفًا، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، وَيُصَلِّي إِلَى الصَّبَاحِ، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ، وَكَانَ هَذَا دَأْبَهُ، وَلَمْ يُرَ مُفْطِرًا إِلَّا فِي يَوْمٍ كَانَ احْتَجَمَ فِيهِ[1].

وَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ: «حَجَّ أَبِي خَمْسَ حَجَّاتٍ؛ ثَلَاثًا مِنْهَا مَاشِيًا، وَثِنْتَيْنِ رَاكِبًا»[2].

وَرُوِيَ أَنَّهُ أَنْفَقَ فِي بَعْضِ حَجَّاتِهِ عِشْرِينَ دِرْهَمًا، وَفِي أُخْرَى ثَلَاثِينَ[3].

---

(١) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٨٤).

(٢) «حلية الأولياء» (٩/ ١٧٥)، «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٨٨).

(٣) «الجرح والتعديل» (١/ ٣٠٤)، «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٨٨).

وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِكَ؛ فَصُنْهُ عَنْ سُؤَالِ غَيْرِكَ»[(١)].

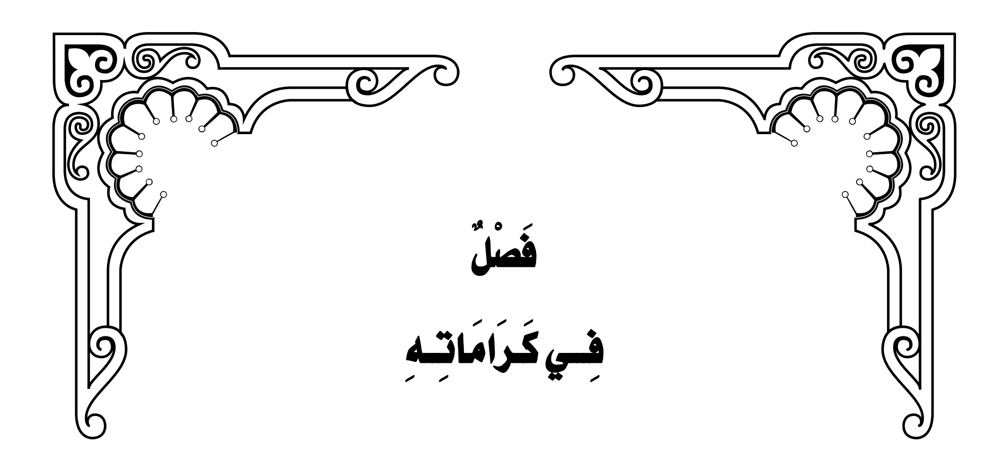
وَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ مَنْ كَانَ عَلَى هَوًى، أَوْ عَلَى رَأْيٍ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ فَرُدَّهُ إِلَى الْحَقِّ حَتَّى لَا يَضِلَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، اللَّهُمَّ لَا تَشْغَلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا بِهِ، وَلَا تَجْعَلْنَا فِي رِزْقِكَ خَوَلًا لِغَيْرِكَ، وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ لِشَرِّ مَا عِنْدَنَا، وَلَا تَرَنَا حَيْثُ نَهَيْتَنَا، وَلَا تَفْقِدْنَا حَيْثُ أَمَرْتَنَا، (اللَّهُمَّ)[(٢)] أَعِزَّنَا وَلَا تُذِلَّنَا؛ أَعِزَّنَا بِالطَّاعَةِ، وَلَا تُذِلَّنَا بِالْمَعْصِيَةِ»[(٣)].



(١) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٨٨).

(٢) من (ص).

(٣) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٩٢)، «المقصد الأرشد» (٢/ ٨٧).



فَصْلٌ
فِي كَرَامَاتِهِ

رُوِيَ أَنَّهُ دَعَا لِوَلَدِ ابْنِهِ، وَقَدْ يَئِسَ مِنْهُ مِنْ كَثْرَةِ الرُّعَافِ، وَعَجزَ عَنْهُ الْأَطِبَّاءُ؛ فَانْقَطَعَ[1].

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يكْتُبُ عِنْدَهُ؛ فَانْكَسَرَ قَلَمُهُ؛ فَأَعْطَاهُ قَلَمًا؛ فَرُوِيَ أَنَّهُ وَضَعَهُ عَلَى نَخْلَةٍ لَمْ تَحْمِلْ؛ فَحَمَلَتْ[2].

وَسُئِلَ الدُّعَاءَ لِمُقْعَدَةٍ فَقَالَ: «نَحْنُ أَحْوَجُ إِلَى الدُّعَاءِ، ثُمَّ دَخَلَ فَدَعَا لَهَا؛ فَلَمَّا ذَهَبَ السَّائِلُ إِلَى الْمَرْأَةِ دَقَّ عَلَيْهَا الْبَابَ، فَخَرَجَتْ بِرِجْلَيْهَا، فَفَتَحَتْ؛ فَقَالَتْ: قَدْ وَهَبَ اللهُ لِيَ الْعَافِيَةَ»[3].

---

(١) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٩٧).

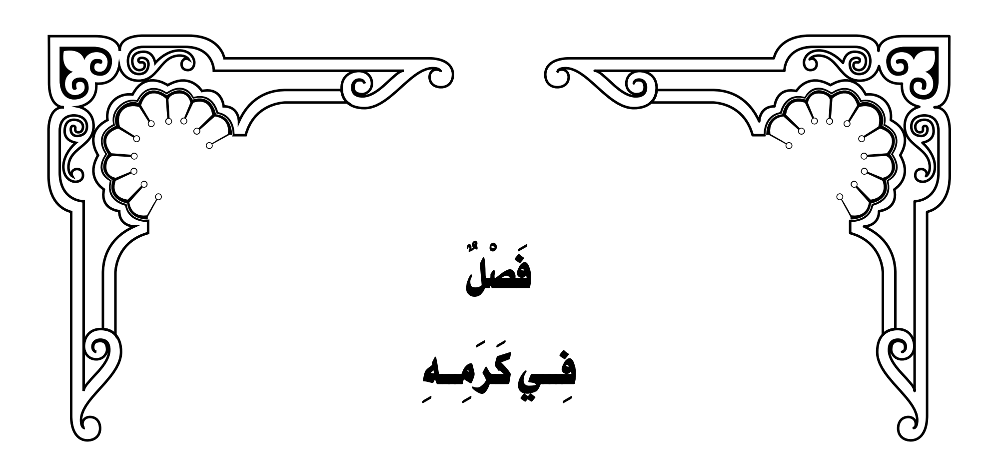
(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٩٧). ولم تثبت هذه القصّة، وقد رواها المؤلّف بصيغة التّضعيف إشارةً إلى ضعفِها.

(٣) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٩٨).

وَرُوِيَ أَنَّهُ احْتَرَقَ بَيْتٌ بِمَا فِيهِ إِلَّا كِتَابٌ كَانَ بِخَطِّ يَدِهِ[1].

❁ ❁ ❁

(١) رواه الأصبهاني «حلية الأولياء» (٩/١٨٧)، وابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٠٠).



فَصْلٌ
فِي كَرَمِهِ

قَالَ هَارُونُ الْمُسْتَمْلِي: «قُلْتُ لِأَحْمَدَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ؛ فَأَعْطَانِي خَمْسَةَ دَرَاهِمَ، وَقَالَ: مَا عِنْدَنَا غَيْرُهَا»[1].

وَكَانَ شَدِيدَ الْحَيَاءِ كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ يُعْجِبُهُ السَّخَاءُ[2]، وَكَانَ رُبَّمَا وَاسَى بِقُوتِهِ.

وَكَانَ إِذَا حَضَرَ طَعَامَهُ أَحَدٌ بَسَطَهُ لِيَأْكُلَ عِنْدَهُ كَمَا يَأْكُلُ فِي بَيْتِهِ.

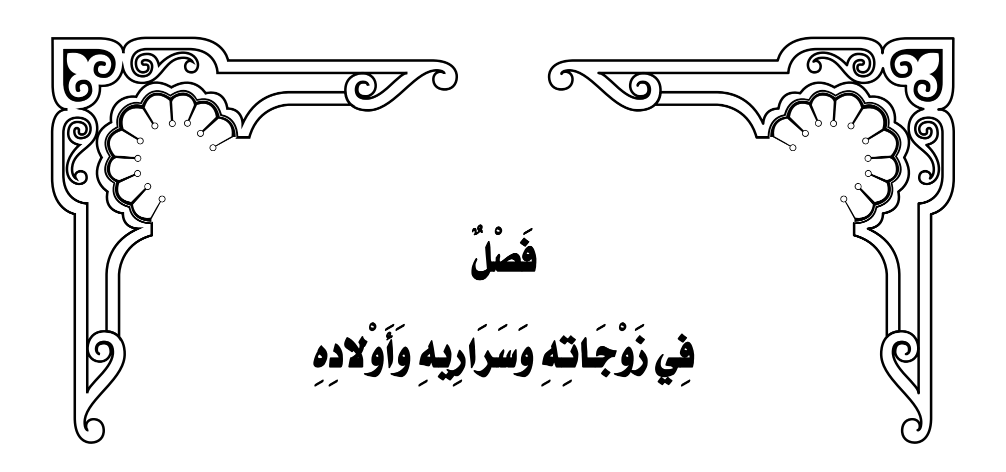
وَأَهْدَى إِلَيْهِ رَجُلٌ فَاكِهَةً فَبَعَثَ إِلَيْهِ ثَوْبًا، وَأَهْدَى إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ يَسْمَعُ عَلَيْهِ ثَوْبًا فَقَبِلَهُ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِثْلَيْهِ، وَقِيلَ: بِأَرْبَعَةِ أَمْثَالِهِ.



---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٢٥)، «سير أعلام النبلاء» (٢١٩/١١).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٢٥).



فَصْلٌ
فِي زَوْجَاتِهِ وَسَرَارِيهِ وَأَوْلَادِهِ

رُوِيَ أَنَّ أَوَّلَ زَوْجَاتِهِ عَبَّاسَةُ، وَلَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْهَا سِوَى صَالِحٍ[1]، وَأَقَامَتْ مَعَهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً.

وَبَعْدَهَا تَزَوَّجَ بِرَيْحَانَةَ[2]، وَلَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْهَا سِوَى عَبْدِ اللهِ.

فَلَمَّا تُوُفِّيَتِ اشْتَرَى جَارِيَةً اسْمُهَا: حُسْنُ؛ فَوَلَدَتْ زَيْنَبَ، (ثُمَّ الْحَسَنَ، ثُمَّ الْحُسَيْنَ تَوْأَمًا)[3]، ثُمَّ مَاتَا قُرْبَ وِلَادَتِهِمَا، ثُمَّ وَلَدَتِ الْحَسَنَ، ثُمَّ مُحَمَّدًا، ثُمَّ سَعِيدًا[4].



(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٠٢).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٠٣).

(٣) هكذا في جميع النسخ، والصحيح: (ثم الحسن والحسين توأمًا).

(٤) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٠٦).



[فَصْلٌ]

[فِي طَلَبِهِ الْعِلْمَ وَمِحْنَتِهِ]

وَأَمَّا طَلَبُهُ الْعِلْمَ، وَابْتِدَاؤُهُ بِالتَّحْدِيثِ، وَالْفَتْوَى، وَالتَّصْنِيفِ، وَتَمَسُّكُهُ بِالسُّنَّةِ، وَنَهْيُهُ عَنِ الرَّأْيِ، وَإِعْرَاضُهُ عَنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَمِحْنَتُهُ؛ فَفِي الْأَصْلِ(١).

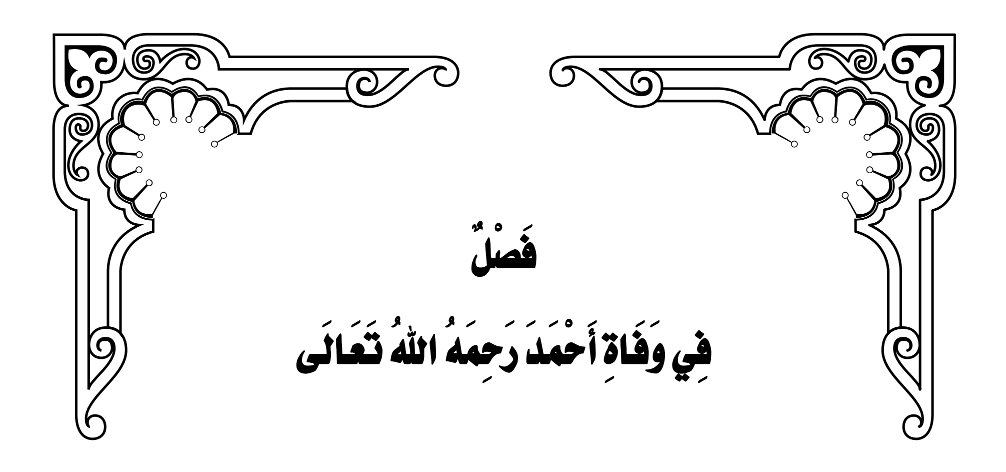
وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهِ فِي الْحَبْسِ وَالضَّرْبِ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ شَهْرًا(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ مَكَثَ فِي السِّجْنِ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَكَانَ ضَرْبُهُ فِي الْعَشْرَةِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ؛ فَقَامَ مَقَامَ الصِّدِّيقِينَ.



(١) ينظر: «تنوير بصائر المقلدين» من (ص ٢٢١) إلى (ص ٢٦٤).

(٢) المصدر السابق.



فَصْلٌ
فِي وَفَاةِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

قَالَ أَهْلُ التَّارِيخِ: لَمَّا اسْتَكْمَلَتْ لِأَحْمَدَ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً وَدَخَلَ الثَّامِنَةَ حُمَّ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ(١).

قَالَ ابْنُهُ صَالِحٌ: «فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَحْمُومٌ فَتَنَفَّسَ تَنَفُّسًا شَدِيدًا؛ فَقُلْتُ: عَلَامَ أَفْطَرْتَ الْبَارِحَةَ؟ فَقَالَ: عَلَى مَاءِ بَاقِلَاءَ، ثُمَّ أَرَادَ الْقِيَامَ فَقَالَ: خُذْ بِيَدِي، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ؛ فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْخَلَاءِ ضَعُفَتْ رِجْلَاهُ حَتَّى تَوَكَّأَ عَلَيَّ، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ غَيْرُ مُتَطَبِّبٍ؛ كُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ»(٢).

وَبَالَ دَمًا عَبِيطًا؛ فَقَالَ الطَّبِيبُ: «هَذَا رَجُلٌ فَتَّتَ الْحُزْنُ وَالْغَمُّ

---

(١) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٥٤٠).

(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٥٤٠-٥٤١).

جَوْفَهُ»[١].

وَاسْتَأْذَنَهُ ابْنُهُ فِي إِدْخَالِ النَّاسِ عَلَيْهِ لِلْعِيَادَةِ؛ فَأَذِنَ؛ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ أَفْوَاجًا أَفْوَاجًا، وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنِّي قَدْ حَضَرْتُ ضَرْبَكَ يَوْمَ الدَّارِ؛ فَإِنْ شِئْتَ فَهَا أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ؛ فَاقْتَصَّ مِنِّي، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَنِي فِي حِلٍّ؟ فَقَالَ: تَتُوبُ أَنْ لَا تَعُودَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ؛ فَقَالَ: قَدْ حَلَلْتُكَ؛ ثُمَّ إِنَّهُ بَكَى، وَأَبْكَى مَنْ حَضَرَهُ مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ لَهُ خُرَيْقَةٌ[٢] فِيهَا قُطَيْعات فَنَظَرَهَا وَلَدُهُ؛ فَإِذَا فِيهَا دِرْهَمٌ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: وَجِّهْ إِلَى بَعْضِ السُّكَّانِ فَاقْبِضْ مِنْهُمْ دَرَاهِمَ، وَاشْتَرِ تَمْرًا، وَكَفِّرْ عَنِّي كَفَارَةَ يَمِينِي. فَاشْتَرَيْتُ، وَكَفَّرْتُ، وَأَخْبَرْتُهُ؛ فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ[٣].

وَقَالَ لِوَلَدِهِ: أَحْضِرِ الْوَصِيَّةَ وَاقْرَأْهَا، وَكَانَ كَتَبَهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِذَا فِيهَا: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ، أَوْصَى أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَأَوْصَى مَنْ أَطَاعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ فِي

---

(١) سبقت الإشارة إليه قريبًا.

(٢) في (ر): (حديقة).

(٣) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٥٤١).

الْعَابِدِينَ، وَأَنْ يَحْمَدُوهُ فِي الْحَامِدِينَ، وَأَنْ يَنْصَحُوا لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَأُوصِي أَنِّي رَضِيتُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا، وَأُوصِي أَنَّ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِبُورَانَ عَلَيَّ نَحْوًا[1] مِنْ خَمْسِينَ دِينَارًا، وَهُوَ مُصَدَّقٌ فِيمَا قَالَ؛ فَيُقْضَى مَا لَهُ عَلَيَّ مِنْ غَلَّةِ الدَّارِ إِنْ شَاءَ اللهُ فَإِذَا اسْتَوْفَى؛ أَعْطَى وَلَدَ صَالِحٍ وَعَبْدِ اللهِ كُلَّ ذَكَرٍ وَأُنْثَى عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، شَهِدَ أَبُو يُوسُفَ وَصَالِحٌ وَعَبْدُ اللهِ ابْنَا أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ[2].

وَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ: «لَمَّا مَرِضَ أَبِي وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ.. مَا أَنَّ؛ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: بَلَغَنِي عَنْ طَاوُسَ أَنَّهُ قَالَ: أَنِينُ الْمَرِيضِ شَكْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَمَا أَنَّ حَتَّى مَاتَ»[3].

وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ ثَقُلَ مَرَضُهُ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ قُبِضَ، وَجَعَلَ يَقْبِضُ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ مُوَجَّهٌ، وَجَعَلُوا يُلَقِّنُونَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ يُرَدِّدُ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ مَلَأُوا السِّكَكَ، فَمَا كَانَ صَدْرُ النَّهَارِ إِلَّا وَهُوَ مَقْبُوضٌ؛ فَصَاحَ النَّاسُ، وَعَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْبُكَاءِ حَتَّى كَأَنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَجَّتْ.

---

(١) في (ص): (نحو).

(٢) «حلية الأولياء» (٩/٢١٢)، «تاريخ دمشق» (٥/٣٢٦).

(٣) «تاريخ دمشق» (٥/٣٢٥)، وانظر في «مناقب الإمام أحمد» (ص٥٤٥-٥٤٦).

وَكَانَ تَارِيخُ مَوْتِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ[1].

وَقِيلَ: مَاتَ فِي ثَانِي عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ[2].

وَأُخْرِجَتْ جَنَازَتُهُ بَعْدَ انْصِرَافِ النَّاسِ مِنْ جُمُعَتِهِمْ[3].

وَأَمَّا الْجَمْعُ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ؛ فَقَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقُ: «مَا بَلَغَنَا أَنَّ جَمْعًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ مِثْلُهُ، لَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ الْمَوْضِعَ مُسِحَ وَحُرِّرَ عَلَى التَّصْحِيحِ؛ فَإِذَا هُوَ نَحْوٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ، وَحَزَرْنَا عَلَى السُّورِ نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ امْرَأَةٍ»[4].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: «سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قُولُوا لِأَهْلِ الْبِدَعِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَوْمُ الْجَنَائِزِ»[5].

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٥٤٩).

(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب (٤/٤٢٢)، «مناقب الإمام أحمد» (ص٥٤٩).

(٣) «مناقب الإمام أحمد» (ص٥٥٠).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١١/٣٣٩).

(٥) «العقود الدرية» لابن عبد الهادي(ص٣٩٠)، «سير أعلام النبلاء» (١١/٣٤٠).
قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/٣٧٦): «وقد صدق الله قول أحمد في هذا، فإنه كان إمام السنة في زمانه، وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته، ولم يتلفت إليه، ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان».

وَأَسْلَمَ مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَالْمَجُوسِ عِشْرُونَ أَلْفًا، وَأَظْهَرَتِ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَدْحَ السُّنَّةِ وَذَمَّ الْبِدْعَةِ، وَلَعَنُوا أَهْلَ الْبِدَعِ بِأَصْوَاتٍ عَالِيَةٍ، وَأَظْهَرَ اللهُ السُّنَّةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَنَاحَتِ الْجِنُّ عَلَيْهِ، وَهَتَفَتِ الْهَوَاتِفُ بِمَوْتِهِ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَحْمُودٍ: كُنْتُ فِي الْبَحْرِ مُقْبِلًا مِنْ نَاحِيَةِ السِّنْدِ؛ فَقُمْتُ فِي اللَّيْلِ فَإِذَا هَاتِفٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَحْرِ يَقُولُ: مَاتَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؛ فَقُلْتُ لِبَعْضِ مَنْ مَعَنَا: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا مِنْ صَالِحِ الْجِنِّ، فَكَانَ مَوْتُ أَبِي عَبْدِ اللهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ[1].

وَسَمِعُوا هَاتِفًا مِنَ الْجِنِّ يَقُولُ: «مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ[2] بِالْعِرَاقِ فَذَهَبَتِ الْجِنُّ كُلُّهَا تُصَلِّي عَلَيْهِ إِلَّا الْمَرَدَةَ»[3].

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْفُضَلَاءِ لَيْلَةَ دَفْنِهِ لِبَعْضِهِمْ: «أَتَدْرِي مَنْ دَفَنَّا؟ فَقَالَ: مَنْ؟ فَقَالَ: سَادِسُ خَمْسَةٍ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ»[4]، يُرِيدُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ.

---

(١) بنحوه في «سير أعلام النبلاء» (١١/٣٥٣).

(٢) في (ص) و(ر): (رجلاً).

(٣) أوردها السّفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (١/٦٨).

(٤) «حلية الأولياء» (٩/١٦٦)، «تاريخ دمشق» (٥/٣٠٩)، «البداية والنهاية» (١٠/٣٧٦).

وَرَثَاهُ الْأَئِمَّةُ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ؛ مِنْهَا[1]:

أَضْحَى ابْنُ حَنْبَلٍ مِحْنَةً مَأْمُونَةً *** وَبِحُبِّ أَحْمَدَ يُعْرَفُ الْمُتَنَسِّكُ

وَإِذَا رَأَيْتَ لِأَحْمَدٍ مُتَنَقِّصًا *** فَاعْلَمْ بِأَنَّ سُتُورَهُ سَتُهَتَّكُ

وَرُئِيَ [فِيهِ] مَنَامَاتٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا:

قَالَ عَبْدُ اللهِ وَلَدُهُ: «رَأَيْتُ أَبِي فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَتِ مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ فَقَالَ: أَوْقَفَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَقَالَ لِي: يَا أَحْمَدُ بِسَبَبِي ضُرِبْتَ، وَامْتُحِنْتَ مِنْ أَجْلِي؛ هَا وَجْهِي قَدْ أَبَحْتُكَ النَّظَرَ إِلَيَّ»[2].

وَقَالَ بُنْدَارُ بْنُ مُحَمَّدٍ: «رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي الْمَنَامِ شَبِيهَ الْمُغْضَبِ؛ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: وَكَيْفَ لَا أَغْضَبُ، وَقَدْ جَاءَنِي مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ؛ فَسَأَلَانِي: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْتُ: وَلِمِثْلِي يُقَالُ مَنْ رَبُّكَ؟!! فَقَالَا لِي: صَدَقْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، وَلَكِنْ بِهَذَا أُمِرْنَا فَاعْذُرْنَا»[3].

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥/٣٢٣)، «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/٣٣).

(٢) رواها بسنده ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (٥٩٣).

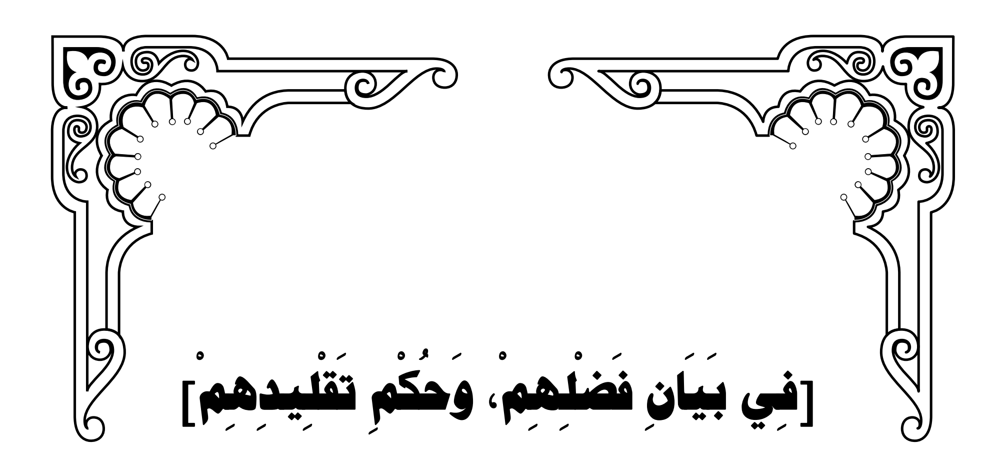
(٣) روى هذه الرؤيا ابنُ الجوزي بسنده عن بندار في «مناقب الإمام أحمد» (ص٦٠٦).
قال الدكتور عبد الله التركي تعليقًا على هذه الرّواية: «هذه الرّواية غير مسلّمة، فسؤال منكر ونكير للموتى ثابت، ولم يُستثنَ منه أحدٌ من العلماء أو الصالحين، فيتنبه لمثل هذا الكلام الذي يُظَنُّ أنَّ دافعه المبالغة في إكرام الإمام أحمد رحمه الله، وأحمدُ -بلا شكٍّ- يُكرمه اتباعُ السُّنّة والتّسليم والرّضا بما جاءت به».

وَرَآهُ آخَرُ فِي النَّوْمِ؛ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي، وَأَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، وَتَوَّجَنِي بِهَذَا التَّاجِ بِيَدِهِ، وَقَالَ لِي: هَذَا بِقَوْلِكِ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا هَذِهِ الْخَطْرَةُ الَّتِي لَمْ أَعْرِفْهَا لَكَ؟ فَقَالَ: هَذِهِ مِشْيَةُ الْخُدَّامِ فِي دَارِ السَّلَامِ[1].



(١) روى هذه الرؤيا ابنُ الجوزي بسنده عن أبي يحيى زكريا بن يحيى السمسار في «مناقب الإمام أحمد» (ص٦٠٦).


الخَاتِمَةُ



[فِي بَيَانِ فَضْلِهِمْ، وَحُكْمِ تَقْلِيدِهِمْ]

إِذَا عَلِمْتَ مَا تَقَدَّمَ.. وَجَبَ عَلَيْكَ تَعْظِيمُ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ؛ فَكُلُّهُمْ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ؛ يَجِبُ تَعْظِيمُهُمْ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مُوَحِّدٍ، وَالْأَدَبُ مَعَهُمْ، وَلَا يُشْتَغَلُ بِتَفْضِيلِ بَعْضِ الْمَذَاهِبِ عَلَى بَعْضٍ تَفْضِيلًا يُؤَدِّي إِلَى تَنْقِيصِ الْمُفَضَّلِ عَلَيْهِ.

وَقَدْ أَفْضَى بِبَعْضِ مُقَلِّدِيهِمُ الْهَوَى وَالْحَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ إِلَى تَرْجِيحِ مَذْهَبِ إِمَامِهِ، وَإِطْلَاقِ لِسَانِهِ فِي غَيْرِهِ بِعَدَمِ أَدَبٍ وَغَيْرِ خَوْفٍ مِنَ اللهِ؛ فَانْتَصَرَ بَعْضُ مَنْ خَالَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ، وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ فِيهِ وَتَعَدَّى إِلَى إِمَامِهِ، وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْمُقَابَلَةِ. وَلَوْ عُرِضَ كَلَامُ كُلٍّ مِنْهُمَا عَلَى إِمَامِهِ الَّذِي قَلَّدَهُ لَزَجَرَهُ وَهَجَرَهُ وَتَبَرَّأَ مِنْهُ.

وَيَرْحَمُ اللهُ الْإِمَامَ [أَبَا][1] حَنِيفَةَ وَيَرْحَمُنَا بِهِ؛ حَيْثُ قَالَ لَمَّا سُئِلَ

---

(١) في جميع النسخ (أبي)، وهو خطأ.

عَنِ الْأَسْوَدِ وَعَطَاءٍ وَعَلْقَمَةَ؛ أَيُّهُمْ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «وَاللَّهِ مَا نَحْنُ بِأَهْلٍ أَنْ نَذْكُرَهُمْ؛ فَكَيْفَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»(١).

وَقَالَ التَّاجُ السُّبْكِيُّ: «هَؤُلَاءِ الْحَنَفِيَّةُ، وَالشَّافِعِيَّةُ، وَالْمَالِكِيَّةُ، وَفُضَلَاءُ الْحَنَابِلَةِ: يَدٌ وَاحِدَةٌ؛ كُلُّهُمْ عَلَى رَأْيِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ»(٢).

ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ كَلَامِهِ يُخَاطِبُ أَهْلَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ: «وَأَمَّا تَعَصُّبُكُمْ فِي فُرُوعِ الدِّينِ وَحَمْلُكُمُ النَّاسَ عَلَى مَذْهَبٍ وَاحِدٍ؛ فَهُوَ الَّذِي لَا يَقْبَلُهُ اللهُ مِنْكُمْ. وَلَا يَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا مَحْضُ التَّعَصُّبِ وَالتَّحَاسُدِ، وَلَوْ أَنَّ الشَّافِعِيَّ وَأَبَا حَنِيفَةَ وَمَالِكًا وَأَحْمَدَ أَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ لَشَدَّدُوا النَّكِيرَ عَلَيْكُمْ وَتَبَرَّؤُوا مِنْكُمْ فِيمَا تَفْعَلُونَ»(٣). انتهى.

فَمَنِ انْتَقَصَ أَحَدًا مِنْهُمْ أَوْ مَذْهَبَهُ.. هَلَكَ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ: «لُحُومُ الْعُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ، وَهَتْكُ أَسْتَارِ مُنْتَقِصِيهِمْ مَعْلُومَةٌ»(٤).

وَقَالَ أَيْضًا: «لُحُومُ الْعُلَمَاءِ؛ مَنْ شَمَّهَا مَرِضَ، وَمَنْ ذَاقَهَا مَاتَ».

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٤٦/١).

(٢) «معيد النعم ومبيد النقم» للسبكي (ص٧٥)، ط: الخانجي بالقاهرة.

(٣) المصدر السّابق (ص٧٦).

(٤) «تبيين كذب المفتري» (ص ٢٩).

فَلَا يَجُوزُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ (فِي)[1] عِرْضِ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا لَا يَلِيقُ؛ فَكَيْفَ بِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَوَرَثَةِ الْمُرْسَلِينَ.

ثُمَّ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى مَنْ لَيْسَ فِيهِ أَهْلِيَّةٌ لِلِاجْتِهَادِ: أَنْ يُقَلِّدَ أَحَدَ الْأَئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ؛ سَوَاءً كَانَ عَالِمًا، أَمْ لَيْسَ بِعَالِمٍ.

قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ: «أَجْمَعَ الْمُحَقِّقُونَ عَلَى أَنَّ الْعَوَامَّ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَتَعَلَّقُوا بِمَذَاهِبِ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، بَلْ يَتَّبِعُوا مَذَاهِبَ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ سَبَرُوا وَنَظَرُوا وَبَوَّبُوا؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ الله عَنْهُمْ لَمْ يَعْتَنُوا بِتَهْذِيبِ مَسَائِلِ الِاجْتِهَادِ وَإِيضَاحِ طُرُقِ النَّظَرِ بِخِلَافِ مَنْ بَعْدَهُمْ»[2].

وَقَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ مَا مُلَخَّصُهُ: إِنَّ التَّقْلِيدَ يَتَعَيَّنُ لِهَذِهِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّ مَذَاهِبَهُمُ انْتَشَرَتْ وَانْبَسَطَتْ حَتَّى ظَهَرَ فِيهَا تَقْيِيدُ مُطْلَقِهَا وَتَخْصِيصُ عَامِّهَا وَشُروطُ فُرُوعِهَا؛ (فَإِذَا)[3] أَطْلَقُوا حُكْمًا فِي مَوْضِعٍ وُجِدَ مُكَمَّلًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَتُنْقَلُ عَنْهُمُ الْفَتَاوَى مُجَرَّدَةً فَلَعَلَّ لَهَا مُكَمِّلًا أَوْ مُقَيِّدًا أَوْ مُخَصِّصًا لَوِ انْضَبَطَ كَلَامُ قَائِلِهِ لَظَهَرَ؛ فَيَصِيرُ فِي تَقْلِيدِهِ عَلَى غَيْرِ ثِقَةٍ، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَكُلُّ مُجْتَهِدٍ

(١) ساقطة من (أ) و(ر).

(٢) «البرهان في أصول الفقه» (٢/ ٧٤٤) بتصرف يسير.

(٣) في (ص): (فإن).

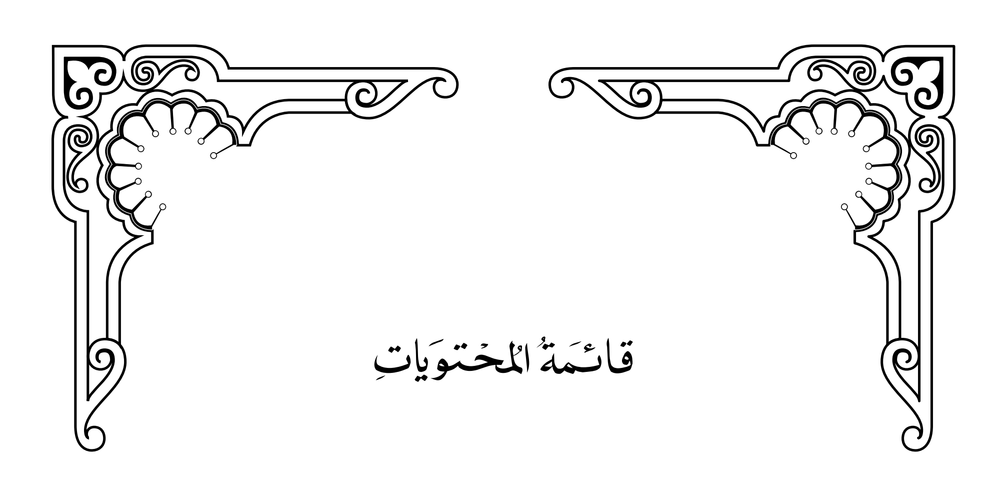
مُنْهُمْ مُصِيبٌ، وَالْخِلَافُ بَيْنَهُمْ مِنْ بَابِ: **جَائِزٌ وَأَفْضَلُ**، لَا مِنْ بَابِ: **صَوَابٌ وَخَطَأٌ**، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنَّا بِهِمْ[1].

قَالَ مُؤَلِّفُهُ فَسَحَ اللهُ فِي مُدَّتِهِ: وَقَدِ انْتَهَى مَا أَرَدْتُهُ فِي الْعَاشِرِ مِنَ السَّادِسِ مِنَ الثَّالِثِ مِنَ السَّابِعِ مِنَ الْحَادِي عَشَرَ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ.



---

(١) ينظر: «نهاية السول» للإسنوي (٢/٣٣٢)، «البحر المحيط» للزركشي (٤/٥٧١).
وفي قولِهِ: «**رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنَّا بِهِم**»: توسّلٌ غيرُ مشروع؛ لأَنَّهُ توسّل بذواتِ المخلوقِين، ولم يأتِ في الكتاب والسُّنَّة ما يدلُّ على جوازِهِ. وأَمَّا التَّوسّل إلى الله بأسمائِهِ جلَّ شأنُهُ، وبصفاتِهِ، وباتِّباعِ رسولِهِ، والعملِ بما جاءَ بِهِ مِن عقيدةٍ وأحكامٍ؛ فهذا مشروعٌ، وهُو الَّذي عليهِ جماهيرُ أهلِ العلم.



قائمة المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

قائمة إصدارات

الوعي الإسلامي

- القدس في القلب والذاكرة
- حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية
- المجموعة القصصية للاطفال (الأولى)
- الحوار مع الآخر المنطلقات والضوابط
- النقد الذاتي رؤية نقدية إسلامية
- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح
- الحج ولادة جديدة
- الفنون الإسلامية تنوع حضاري فريد
- لا إنكار في مسائل الاجتهاد
- المجموعة الشعرية للأطفال
- التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط
- مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي
- مقالات الشيخ عبد العزيز بن باز في مجلة الوعي الإسلامي
- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام
- موسوعة الأعمال الكاملة الخضر حسين
- علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي
- براعم الإيمان نموذج رائد في صحافة الأطفال
- الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره
- الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام
- الحوالة
- التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف فيها عن الإمام مالك بن أنس
- الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي
- الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة
- التوفيق والسداد في مسألة التصويب والتخطئة في الاجتهاد
- فقه المريض في الصيام
- القسمة
- أصول الفقة عند الصحابة- معالم في المنهج
- السنن المتنوعة الواردة في موضع واحد في أحاديث العبادات
- لطائف الأدب في استهلال الخطب
- نظرات في أصول البيوع الممنوعة
- الإعلاء الإسلامي للعقل البشري

- ديوان شعراء الوعي الإسلامي
- ديوان خطب ابن نباتة
- الإظهار في مقام الإضمار
- مسألة تكرار النزول في القرآن الكريم
- الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي وجهوده في كتابه تهذيب الكمال
- في رحاب آل البيت النبوي
- الصعقة الغضبية في الرد على المنكري العربية
- منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب
- معجم القواعد الفقهية ومصادرها
- كيف تغدو فصيحا
- موائد الحيس في فضائل امرؤ القيس
- اتحاف البرية فيما جد من المسائل الفقهية
- تبصرة القاصد على منظومة القواعد
- حقوق المطلقة في الشريعة الإسلامية
- اللغة العربية الفصحى
- المذهب عن - الحنفية - المالكية - الشافعية - الحنابلة
- منظومات أصول الفقه
- أجواء رمضانية
- المنهج التعليلي بالقواعد الفقهية عند الشافعية
- نحو منهج إسلامي في رواية الشهر ونقده
- دراسات وأبحاث نشرت في مجلة الوعي الإسلامي
- ابن رجب الحنبلي وأثره في الفقه
- التقصي لما في الموطأ من حديث النبي
- المجموعة القصصية للأطفال (الثانية)
- كراسة لون للأطفال
- موسوعة رمضان
- جهد المقل
- العذاق الحواني على رسالة القيرواني
- قواعد الإملاء
- العربية والتراث
- النسمات الندية في الشمائل المحمدية
- اهتمامات تربوية
- أثر الاحتساب في مكافحة الإرهاب
- القرائن وأثرها في علم الحديث

- جهود علماء الحديث في توثيق النصوص وضبطها
- سيرة حميدة ومنهج مبارك
- أبحاث مؤتمر الصحافة الإسلامية الأول
- نظام الوقف
- قراءة في دفتر قديم الأصمعيات
- قراءة أخرى في دفتر قديم الكامل
- الترجيح بين الأقيسة المتعارضة
- التلفيق وموقف الأصوليين منه
- التربية بين الدين وعلم النفس
- مختصر السيرة النبوية
- معجم الخطاب القرآني في الدعاء
- المسائل الطبية المعاصرة في باب الطهارة
- المسائل الفقهية المستجدة في النكاح
- دليل قواعد الاملاء
- علم المخطوط العربي
- التراث العربي
- من قضايا أصول النحو عند علماء أصول الفقه
- نهاية المرام في معرفة من سماه خير الأنام (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ١)
- الجزء المسلسل بالأولية والكلام عليه (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٢)
- مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٣)
- السراج الوهاج في ازدواج المعراج (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٤)
- الاستدراك (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٥)
- تلوين الخطاب
- التاريخ في الإسلام
- رسالة في الوقف
- أغاريد البراعم
- أخلاقنا الجميلة
- قصص للأطفال
- قواعد العدد والمعدود
- جواب العلامة السفاريني (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٦)
- أسرار العربية
- علماؤنا وتراث الأمم، القوس والعذراء وقراءة التراث
- المسائل الأصولية
- إتحاف المهتدين بمناقب أئمة الدين

